

كتاب المونس

في

أخبار إفريقية وتونس

تأليف

الفقيه النبيل العلامة أبي عبد الله الشيخ

محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني

المعروف

بأبي دينار

رحمهما الله تعالى

طبعة أولى

في مطبعة الدولة التونسية بمصاحفها المحمية

١٢٨٦

کتاب المودس



آخر فیصلہ شد و تو لیس

۱۲۸۶ سنہ

كتاب المائيس

في

اخبار افريقية وتونس

تأليف

الفقيه النبيل العلامة أبي عبد الله الشيخ

محمد بن أبي القاسم الرعيي القيرواني

المعروف

بأبن أبي دينار

رحمهما الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة أولى

في مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية

سنة ١٢٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله الذي لا يبدأ احد في كتاب إلا باسمه ليصل الى التمام *
لا يدون ديوانا إلا ويشحنه بالنناء عليه بما له على العباد من الفضل
الانعام * ولا يورخ تاريخا إلا ليعلم من عجائب مخلوقاته وكرامات مصنوعاته
ما تعجز عنه العقول وتقتصر عنه الافهام * الملك الذي بيده مقادير الامور
مدى الدهور والاموات * الذي اخترع العالم بحكمته وبرزه للوجود بقدرته
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام * احده جد سن اقر برؤوسه واعترف
بوحدة انبيائه من غير شك ولا ايهام * واشكره شكر من وهبه جزلا من فضله
فطلب منه المزيد بالشكر لقوله اشكروني ازيدكم من الخير والانعام * واسهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المتفرد بالتصرف في ملكه وملكوته
بالعدل والاكرام * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جاء بالصدق
وقطع دعة الماسد ببلاغته من كلام العزيز العلام * وهاجر من اعز البقاع الى
اعز البقاع فاقام الدين وظهر شرائع الاسلام * ويوم هجرته صار تاريخا لمن
تمسك بشريعته بين الانام * صلى الله عليه وسلم صلاة عاطرة يتصوع من
نشرها مسك الختام * وعلى اله الطاهرين الطيبين الذين اتى عليهم الملك
العلام * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
من جميع الانام * وعلى اصحابه الذين فتحوا مشارق الارض ومغاربها

وهدموا صوامع الشرك وقتلوا عباد الاصنام * واعلنوا بكلمة التوحيد فتالار
الهدى وانقطع الباطل وارتفع الخصام * صلاة وسلاما ادخرهما ليوم العوض
والزحام * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه تكون لي نجاة من النار ومشوبة بالفوز
في دار السلام * ورضي الله عن التابعين وقابع التابعين لهم باحسان الى يوم
الدين السادة الفضلاء الاعلام * ما ترنم طير على ايكه ورقمت على منابر الاصابع
خطباء الاقلام * وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة الملك الغفار * محمد بن
ابي القاسم الرعيثي القيرواني المشهور بابن انبي دينار * عامله الله بلطفه *
واسبل عليه ستائر حلمه وعطفه * بمنه وكرمه * امين * قال بعض اهل العلم
ان في علم التاريخ عبرة لمن يعتبر * وتذكرة لمن يتذكر * لانه ينبي عن صنع
الله في القرون الخالية * وكيف تصرف قدرته بارادته في الامم الماضية *
وحكمته تعالى جلويته في مخلوقاته بعدله واحسانه بحسب ارادته على
مر الدهور والازمان * وهو سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن
من شأن * وقيل تعالى فل سيروا في الارض على احد اقوال المفسرين هو
النظر في كتب السير * والتطلع على اخبار الماضيين من البشر * فمن امعن
النظر في اخبار الماضيين رأى ما يعجب منه العجب * وان تأمل سير الملوك
سرح طرفه بهرمة الزمان في مروج الذهب * وان شنف سمعه باخبار
الزمان * افتم ازهار حدائقها عن فلائد المرجان * وعلم ان الدر المشرق *
في اخبار اهل المشرق * وان استغرب فالعرب * عن احوال اهل المغرب *
فان اختصر فالختصر في اخبار البشر * والحديث شجون * والعشق جنون *
والجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولهذا كثرت كتب السير
في غالب المعمور من الارض الا ان كل امته يستمد بعضها من بعض * والبلاد
متفاوتة على قدر مراتبها * والحقول مختلفة فيما تجمع من عجائبها وغرائبها *
الا ان مدينتنا الحضراء العلية * وعروس البلاد الافريقية * تونس حرسها
الله تعالى لم يتقيد لجمع اخبارها مصنف * واذا تأمل المتأمل الى معناها
وترتيبها وجدها احق بالتصنيف من غيرها اذا كان المتأمل منصفا لا

متعسف * لانها عروس بلاد المغرب ونزهة الاقليم الافريقي ودار الخلفاء
من بني ابي حفص * وهي اشهر من نار على علم وخبرها روتها الثقة بالنقل
والنص * وتمت محاسنها وان كانت غير نافعة بالدولة العثمانية * وعظم
صيتها بين حبايبها لما نشرت عليها الاعلام الخاقانية * إلا انه تقدم لابن
الهيتمي مجموع لطيف اخبر فيه عن احوال القوم * وانفق من بضائع بني
ابي حفص ما تيسر له ولكنه غلى في السوم * وما ذاك إلا لانه لم ينظر الى
حليته ترنس في هذا الزمان * ولم ينظر الى معناها ومعناها الذي له شأن
واي شأن * ولو ادرك زماننا لطغى بقلبه والقي العصا * ولو شاهد حسنها
في حلل الهناء لقال هذا مما لا يعد ولا يحصى * ولما تمت محاسنها اصابها
سهم من نظر المعيان * فلم تخطأ رمية حتى راينا مصارع العشاق في حرب
الاخوين ومقاتل الفرسان * وكانت قبل اليريم في ذروة الشرف * واحلها في
نعيم مقيم في الرعة والترف * الى ان قدر الله علينا بخطوب واي خطوب *
وقابلها الزمان بعد التبسم بوجه قطوب * فتكدرت احوال اهل البارد *
واصبح كل انسان يقول نفسي نفسي ولا يسأل احد عن احد * وقد كنت
اتمنى ان اجد من فيه نبأه ليجمع ما حدث في زماننا من الوقائع العجيبة *
ويضيفه الى ما جمعه ابن السماع في تلك المدة البعيدة الى هذه المدة القريبة *
وكم تشوقت الى هذا الجمع بنفسي * وملت اليه بحسبي وحسبي * الى ان قدر
الله علي بفرقة الاحباب وموت الاولاد * ودعيت بما تقطع منه كبدي وكبد
غيري من اهل البلاد * فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد * واستشرت
مامونا في مشورته فرسم لي برايم الرشيد * فجمعت ما كان متفرقا بالرواية
والسند * وجعلته مقام تبريد اشتعال الكبد بموت الولد * وجعلت اتسلى به
من حزني * لاني في غمرات امتلا القلب منها وقال قطبي * ورحم الله ابن الوردي
حيث قال - لي مهجة في النازعات وعبرة : في المرسلات وفكرة في هل افى -
والا فكيف لي ان اكون من فرسان هذا الميدان * ولست من ابناء
الخصراء على الحقيقة حتى يحصل لي هذا الشأن * ورحم الله الاخف حيث

قال : فسد الزمان فسدت غير مسود : ومن الشقاء للفردى بالسودد - ولكن
لي العذر وقد نطفت على موائد الكرام وأساء في مغفورة عند العلماء من اهل
المحضرة وان كنت معدودا من العوام * وإلا فكيف لي ان أصرب بقداحي
بين القوم وأفوز بهم * ام كيف يكون لذلي بين العقلاء نصيب او قسم *
وانا خائن في ضياع الجبال * وسارح في مروج اللهو والبطالة * فصرت
كخاطب ليل او جامع سيل * وطلع صباح الشيب فبدت آية النهار مبصرة
فمحت آية الليل * وفقد الشباب والاحباب * اعظم المصائب * قال بعضهم -
شيئان لو بكت الدماء طيهما ينساي حتى تؤذنا بذهاب

لم يبلغ العشار من حقيهم - فقد الشباب وفرقة الاحباب
وها انا استهدفت للرامي * وبرزت مرامي * وقدمت ما اورده ابن الشماخ
ليكون البناء على اساس * واجمع الى كلام ما انتله عن غيره وما رويته عن غير
واحد من الناس * واذا ذكرت شيئا مما ثبت عنده * اذيل عليه بنكت
من كلام الغير وكل احد ينفق ما عنده * وابذل جهدي بقدر الطاقة صى
ان يحصل لي نصيب * واجتهد فيما اردتم ان شاء الله وما كل مجتهد
مصيب * فان ظفرت بشيء مما رتمه وبلغت المنا * كنت ابن ظفر على
الحقيقة ونظمت في سلك نجباء الابنا * ومن الله استمد الاعانة والطول *
لاني عاجز ولا قوة لي ولا حول * واسأل التوفيق في القول والعمل * والنجاة
من الخطأ والزلل * ان شاء الله تعالى * وسميت * تونس في اخبار
افريقية وتونس * * ورتبته على سبعة ابواب بعدد ابوابها وخاتمته *

الباب الاول في التعريف بتونس : الباب الثاني في التعريف بافريقية :
الباب الثالث كيف فتحتها الجيوش الاسلامية : الباب الرابع كيف
استولت عليها الخلفاء العبيديون : الباب الخامس في الامراء الصنهاجية :
الباب السادس في الدولة الحفصية : الباب السابع في الدولة
العثمانية : والخاتمة تتضمن احداثا ظهرت في الديار التونسية . ومآثر
فتخر بها بين جيرانها الافريقية . وما تميزت به في البلاد المغربية *

الباب الاول

في التعريف بتونس

قال ابن الشماخ مدينة تونس هي اسلامية احدثت بعد الثمانين من
 الهجرة * وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول صاحب
 القبروان يقول له ما فعلت احدى القيروانيين يعني تونس تعظيما لها *
 وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وام بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء
 الحفصيين ومهاجر اهل الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرها * فكثر خلقها
 واتسع بشورها ورغب الناس في سكانها وحدثوا بها المباني والكروم وبينها
 وبين قرطاجنة عشرة اميال * وبين تونس ومرساها بحيرة يقال انها كانت
 كثيرة الجنات والمياه والزرع طيبة الفواكه فغلب عليها ماء البحر * قلت
 عرف بها صاحب الجغرافية حيث قال ومدينة تونس في الجزء الثاني من
 الاقليم الثالث * ومدينة تونس في ذاتها قديمة اسمها في التواريخ ترشيش
 ولما افتتحها المسلمون وحدثوا البناء بها سموها تونس * ومدينة تونس في
 جوار خارج من البحر وهي على بحيرة محفورة وعرضها اكثر من طولها وذلك
 ان طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ولها فم يتصل بالبحر وهو المسمى
 فم الوادي * وذلك ان هذه البحيرة لم تكن قبل وانما حفر في البر حفر
 انتهى به الى مدينة تونس ومن فم هذه البحيرة الى مدينة قرطاجنة ثلثة
 اميال ونصف * قلت الذي ذكره صاحب الجغرافية انها قديمة
 لا شك فيه لقول غيره وذكر سبب فتحها وكذلك حفر البحيرة يدل انه
 كان في زمن الاسلام لان قبل الاسلام كانت قرطاجنة حائلة بينها وبين
 البحر والبحر بعيد عنها جدا وانما احدث البحر بعد خراب قرطاجنة *
 وما ذكره ابن الشماخ انها كانت بستين ومزارع تشهد له الابار التي في
 وسطها وربما وقع فيها صيادو السمك احيانا ويتجنبون مواضعها ولهم بها
 خبرة * قال ابن الشماخ ومدينة تونس سور يدور بها وان دورها

اربعة وعشرون الف ذراع * قسست ولم يذكر الباني لسورها حيث كانت عنده اسلامية والحجاري على السنة اهلها ان بناءه كان على يد الشيخ سيدي محرز والشيخ المذكور كان في اول المائة الرابعة إلا ان يكون الشيخ جدده بعد المحنة التي وقعت عليها من ابي يزيد الخارجي وذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة لانه نهب افرقيقة ومدينة تونس ونهب منها نحو اثني عشر الف خابية زيتا غير الاموال والعبيد والامتعة والدواب والنساء والاطفال وغير ذلك وسياتي خبر ابي يزيد بعد ان شاء الله تعالى وكذلك القصة لم يذكر بناءها * وقال عند ذكر المولى عبد الواحد انه سكن بقصبتها عند حلوله بتونس وهذا يدل على ان قصبتها متقدمة عن زمن بني ابي حفص * قسست ولعلها من بناء بني الاغلب كما سياتي والعمال كانوا يسكنون بها وابناء خراسان كانوا بها لما خرجوا من طاعة بني باديس * والغالب على ظني انها القصة القديمة واما هذه فهي بناء بني ابي حفص كما سياتي ان شاء الله تعالى * قال ابن الشماخ وجامع تونس مليح الصنعة حسن الموضع مطل على البحر بناء عبيد الله بن الحبحاب ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة وانفذ اليها البحر * قسست عبيد الله بن الحبحاب كان عاملا لهشام بن عبد الملك بن مروان على مصر وارسله الى افرقيقة سنة عشر ومائة فلما وصل القيروان اخرج المستنير من السجن وارسله الى تونس واليا عليها ولعله لم يدخل الى تونس وتقدمه البكري حيث قسسال ومدينة تونس دورها اربعة وعشرون الف ذراع وذكر بناء عبيد الله بن الحبحاب * قسسال ومدينة تونس اسمها في الاوائل ترشيش ويقال لبحرها بحر رانس ومرساها مرسى رانس وان حسان بن النعمان افتتحها وذكر غيره ان زهير بن قيس البلوي افتتحها * قسست وقع التناقض بين قوله من بناء بني امية وبين قوله افتتحها حسان وقول غيره افتتحها زهير وزهير كان سنة سبع وستين وحسان سنة سبع وسبعين والبناء سنة ثمانين إلا ان يكون الفتح اولاً ثم استقر بها قدم المسلمين واستوطنوها

واخذوا بها المنازل والديار وكان نزولهم بها في سنة ثمانين فلذلك نسبت
الى بني امية ولم يكن قبل ذلك ينزلها احد من المسلمين وابن الشماع ادرى
ببلدة * وقال البكري وبمدينة تونس بحيرة دورها اربعة وعشرون ميلا
وهي في جبل يعرف بجبل ام عمرو وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسمى
شكلي تنبت الكنخ وبها اثار قصر عروب * قسلت في زماننا هذا بها
قصر مشيد والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الاربعين
والسعمائة على ايدي النصارى وهنوا فيه حصارا منيعا الى ان اخذه من
ايديهم العسكر العثماني وسياتي ان شاء الله تعالى وخرب وما تبقى منه الا
اثاره وجدد في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والالف وهو الى يومنا
هذا غير عامر * قال ابن الشماع وتونس دار فقه وطم وعلى عشرة اعيال
منها غربا وادي مجردة ويقال ان سن شرب منه قسا قلبه . وسميت تونس
لان المسلمين لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ترشيش ويثابسون
بزاهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم * قسلت
ذكر غيره ان العرب كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم
فيثابسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس * وقال ابن الشباط وجدوا
زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع
الزيتونة * وذكر غيره انهم لما نزلوا بازاء صومعة تونس الراهب الذي
نسبت اليه الصومعة فقالوا صومعة تونس اطعمهم دشيش المخططة فصار
عادة لاهل البلد في راس كل سنة حتى كاد ان يكون عندهم من الواجب
وانهم راوا مكانا محرقا عنه بالشوك فسالوا الراهب عن سببه فاخبرهم انه
يرى في بعض الليالي نورا ساطعا من تلك البقعة قال - فعليت ان سيكون
لها شان فصنتها من الذرات وبول الكلاب - فصلوا في تلك البقعة وهي
موضع الحراب واتخذوا هناك مصلاهم * قسست ان صح هذا
قالشرف سابق لهذه البقعة بحيث صلى بها الصدر الاول من المسلمين
والفصلاء من المتأخرين وام بالناس فيها عدة اعلام ونجباء كرام وهي بقعة

مباركة يستجاب فيها الدعاء الى يومنا هذا والله الحمد * وقسـال البكري
يدور بتونس خندق حصين ولها خمسة ابواب * وقسـال ابن الشباط
لها في زماننا عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبـة *
قلت وفي زماننا لها سبعة ابواب ولم يبق في القصبـة إلا باب غدر وهو
مغلق في هذا الوقت * وذكر غير واحد ان لها خمسة أسماء . ترشيش .
وتونس وقيل تناس . والحضراء . والحضراء . والدرجة العليا * فتروثش
اسمها في القديم . وتونس حادث لها واشتقاقه من التنيس . والحضراء لانها
حضرة السلاطين من بني حفص . والحضراء لكثرة زيتونها . والزيتون لا يزال اخضر
طول الزمان وهو الشجرة المباركة . اولان خيراتها كثيرة عن غيرها وسعة ارزاقها
وقد يقال لمن هم في سعة من الرزق خضر المربع فلذلك عبر عنها بالحضراء .
والدرجة العليا قيل لان بها الجامع الاعظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان
وارتفاع صيتها في كل اوان * ولقد اخبرني من اثق به ان السلطان احمد
صاحب مراکش لما ارسل جيشه صحة محمود باشا مملوكه الى بلد السودان
وفتحها الى تنبكت واخذ على اهلها البيعة لاستاذة وكان بها اذ ذاك
الاستاذ العالم العلامة الشيخ ابو العباس احمد عروف بابا رحمه الله سال
الناس لمن بايعوا فاجابوه بسلطان مراکش فقال لست اعلم في اقليم الغرب
سلطانا إلا صاحب مدينة تونس حرسها الله تعالى * انظر ايها المتأمل كيف
ثبت عند هذا العلامة خبر تونس وسلطانها مع قرب بلاد من مراکش
وبعدها عن تونس والشيخ احمد صاحب الطلاع وهو من اكابر علماء وقتهم
وما ذاك إلا لفخامة ذكرها وعلو قدرها زادها الله علوا * ولنرجع الى قول
ابن الشباط قال وجامع تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر المجالس فيه الى
جميع جواره ويرقى الى الجامع من جهة المشرق على اثني عشرة درجة * قلت
ابن الشباط يحقق فيما ينقله ولم يذكر من الباني لهذا الجامع إلا ما ذكره
غيره وهو ان عبيد الله بن الحجاب هو الباني له كما مر * انفا ولعل عبيد الله
هو الذي اسمه * وذكر ابن ناجي ان زيادة الله بن الاغلب بنا جامع

الزيتونة وسور تؤذس وقصبتها فهي من بناء بني الاغلب * قلت
ولعل البناء الضخم هو من بناء الاغالبة ويشهد لذلك ما هو مكتوب في
القبعة التي فوق الحراب اسم امير المؤمنين المستعين بالله العباسي سنة
خمس ومائتين وزيد فيه على بنائه كلال كما زيد فيه في ايام بني حنص
والله اعلم * وقسال ابن الشباط وبتونس اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة
وفنادق كبيرة رفيعة وبها خمسة عشر حاما * قلت في وقتنا هذا
بها اربعون حاما * قال ومضادات ابواب دورها كلها رخام بديع وهي دار
علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة * ويصنع بتونس عانية الماء
من الخرف شديد البياض في نهايتها الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير
في سائر الاقطار * ومدينة تونس من اشرف مدائن افريقية واعظمها ثمرة
وانفسها فاكهة وبها من اجناس الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها *
قلت رحم الله ابن الشباط وغيره لو شاهدوا ما في هذا الوقت من خيراتها
وكثرة بساتينها وجنائها لاعجزهم الوصف وراوا من الفواكه ما ليس له حد ولا
طرف وشهادة الله انه يوجد فيها ما لا يوجد في غيرها كثرة وحسن بحيث
لا يدخل تحت حصر واذا افتخر المصريون بدصرهم فلنا لهم هذه اخت مصر
وناهيك ان في فصل الخريف يدخل اليها كل يوم ازيد من الف حمل من
العنب هذا خلاف ما يباع مع العنب من تين وبطيخ وغيرها من الفواكه
الرطبة واليابسة * ولقد اخبرني بعض خدمة المحتسب في سنة احدى وستين
الف انه حصر ما بيع للخمائر من العنب فكان مقداره ستين الف
حمل خلاف ما بيع في اسواقها وقس على هذا القدر وفيه كفاية واما الخرف
فهو اقل شيء في النخز وهم اهل المحصرة اعلى من ذلك * وقسال صاحب
اقتباس الانوار وتونس من بلاد افريقية بينها وبين القيروان اربع مراحل
وهي مما بناه بنو امية والمدينة القديمة الرومية اسمها قرطاجنة وينسب الى
تونس جماعة من العلماء منهم ابو الحسن علي بن زياد التونسي سمع من مالك
الوطا وثقته عليه وثقته به سحنون وعاش بعد مالك نحو من خمس سنين

وقبره بداره داخل باب المنارة * وقسمال ابن الشماع ومنهم الشيخ الامام
العابد سيدي محرز بن خلف وقبره بداره داخل باب السويقة ، وبقبلي
مدينة تونس جبل يعرف بجبل التوبة لا ينبت شيئا وهو المسمى بجبل
الجلاز وفي اعلاه قصر مبني مشرف على البحر * قلست القصر الذي
ذكره هو مقام الشيخ العارف بالله سيدي ابي الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته
والعجب كيف غفل عن التعريف بالمقام مع ان الشاذلي متقدم على ابن
الشماع بزمن او لعل المقام لم يشتهر الا من بعده * قال شرقي القصر غار
منحني الباب يسمى بالمعشوق وبالقرب منه عين جارية * قلست
لم يبق له اثر الا ان يكون المغارة التي تنسب للشاذلي ايضا في زماننا
هذا والغار الذي ادركناه قبل اليوم تحت الجبل وبه عين ماء يقال لها الحمام
وخرب واليوم في موضعه ماجل وهو على الطريق على شاطئ البحيرة * قال
وجامع تونس يرقى اليه من ناحية المشرق على اثنتي عشرة درجة وقد تقدم هذا
النقل عن غيره بزيادة اوضح * وقسمال ابن الشباط وحاسن تونس ومبانيها
في عصره مما يقصر منه الوصف وانشد لبعض الشعراء يمدحها

فتونس تونس من جاءها * وتذكرك حيرة حيث سار

فلو حل عنها لارض العراق * لحن اليها حنين الحساسوار

يحن اليها ويشاقها شقيق الفرزدق فقد النوار

والنوار امرأة الفرزدق الشاعر المشهور وله فيها عدة قصائد في محبته اياها *
وذكر البلاذري ان زهير بن قيس افنتها * وقسمال البكري افنتها
حسان بن النعمان وقاتل النصارى بفحصها فاذنوا له وسالوه ان لا يدخل
عليهم ويضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحملونه واصحابه فاجابهم الى ذلك
وكانت لهم سفن فاحتملوا فيها اموالهم واهليهم ليلا واسلموا المدينة فدخلها
حسان فحرق وخرب وبني فيها مسجدا وخلف فيها طائفة من المؤمنين قال
واشارت الروم من البحر على من بقي فيها من المسلمين فقتلوا وسبوا وغنموا ولم
يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم ووصل الخبر الى حسان فرحل الى

تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمون من البلاء فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه الامر وكان اذ ذلك التابعون متوافرين وفيهم اثنان من الصحابة انس بن مالك وزيد ابن ثابت فقالا للمسلمين من رابط يوما برادس فلم الجنة وقالوا لعبد الملك ادرك هذه البلاد وانصر اهلها ليكون لك ثوابها فانها من البلاد المقدسة فكتب عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو وال على مصر ان يوجه لتونس الف قبضي باهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عنهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب الى حسان بن النعمان يامره ان يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى غابر الدهر وان يصنع بها المراكب ويغير منها على سواحل الروم . فوصل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرى البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجعل فيها المراكب الكثيرة وامر القبط بعمارها * فقال ابن الشباط وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب هو الذي بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يريد ان عبيد الله جددوها وزادها تحصينا فلم تنزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويتشرون فيهم النكاية والاذايت * وذكر البكري ان حسان هو الذي خرق البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة * وقال غيره ان الوليد ابن عبد الملك بن مروان لما علم ان الروم اشاروا على تونس وبلغ ذلك من المسلمين كل مبلغ وان علماء المشرق كتبوا الى اهل افريقية من رابط يوما برادس فاجبنا عند حجة وعظم قدر رادس عند العلماء وزاد فضلها وان حسان بعث الى الوليد يعلم باذايت الروم كتب الوليد الى عمه عبد العزيز بن مروان وهو وال على مصر وافريقية ان يوجه الف قبضي والى قبضة ويحملهم الى بلاد افريقية وامره ان يخرق البحر الى تونس * وذكر غيرها ان الذي خرق البحر الى تونس هو موسى بن نصير وجعل دار الصناعة بتونس وجر البحر اثني عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت ميناء المراكب وامر بصناعة مائة مركب وغزا بها بلاد الروم وعقد لولده عبيد الله

عليها وامره بالانصراف الى صقلية وكانت اول غزوة غزيت في بحر افريقية
فسار عبد الله الى صقلية فافتتح فيها واصاب ما لا تدرى قيمته ثم انصرف
قافلا سالما وكانت تسمى غزوة الاشراق وعقد بعد ولده لبعض اصحابه على
مراكب اخر فوصل سرقوسة وملكها والله اعلم بحقيقة ذلك * وحاصل
الامر ان تونس ليست محتاجة الى تعريف وذكرها طبق الوجود فهي كما
قيل في المثل طابق الاسم المسمى لانها تونس الغريب وقلنا يوجد غريب
دخلها الا وحصلت له بها علاقة ولا يفارقها الا وهو متكسر عليها وسن قطن
بها حنت عليه وحن لها ان فارقها وعزت عليه * وذكرها غير واحد من
العلماء واثني عليها بعناص كثيرة لا تعد ولا تحصى * وزعم الحداة بذكرها
في المسجد الحرام والمسجد الاقصى - وكيف يصح في الاذعان شيء : اذا احتاج
النهار الى دليل - وهي حرسها الله واسطة البلاد الافريقية كما ان افريقية
واسطة البلاد العربية فهي بمنزلة الرأس من الجسد بل بمنزلة العين من
الرأس واذا ثبت ما قلته ونقرر ما نقلته فالذي صح عندي انها قديمة من
بناء الاوائل والذي ذكر فتحها هو اقرب من غيره وان حسان هو الذي
فتحها وبنى بها مسجدا وعبد الله بن المحجوب زاد في ضخامته كما ان
زيادة الله بن الاغلب زاد فيه وضخمه وكملت ضخامته في ايام بني حفص
كما سيأتي بعد ان شاء الله تعالى * وحسان بن النعمان هو الذي فتح
قرطاجنة وقطع عنهم القناة المجلوب عليها الماء وفتح تونس واتخذ بها
مسجدا وهو الجامع الاعظم وسمي بجامع الزيتونة كما مر في اول الكتاب *
وتونس لا شك انها قديمة البناء وكانت معاصرة لقرطاجنة * واسمها ترشيش
وقيل هذا الاسم علم لها من قديم الزمان الذي هو تونس * وسسالت
بعض النصارى ممن لهم علم بالتاريخ فقال اسمها تنس في كتبنا وهذا الاسم
باللسان الاعزبقي معناه تقدم واوقني على كتاب حنده في التاريخ وكتبنا
المدينتين فيه مصورتان تونس وقرطاجنة والحناينة ووادي بجردة وتونس اصغر
جمعا من قرطاجنة وسالته عن تاريخيهما فقال اريد من الذي علم * والنصارى

لهم اهتمام بهذا العلم والبلاد كانت لهم وصاحب الدار ادرى بالذي فيها ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى * وأما سن قال بناها بنو أمية في حدود الثمانين والذي بنى الجامع ودار الصناعة عبيد الله بن المحجوب سنة اربع عشرة ومائة فبعيد اذ كيف يمكن ان يقال مكثوا نيف وثلاثين سنة بغير مسجد وهؤلاء القوم كانوا في صدر الاسلام إلا ان يكون تاسيس المسجد في الاول والبناء الضخم في الآخر وبهذا يرتفع الاشكال بحول الله * وأما السور فمن بناء بني الاغلب والتصبية ايضا وكانت شمال افريقية سكنهم القيروان واول من سكن تونس من العمال الاغالبية * قال ابن ناجي رحمه الله واتخذ بنو الاغلب تونس لمتنزهاتهم وبنوا الجامع الاعظم * قلست ومات بتونس عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست بعد التسعين والمائتين مقتولا قتلهم بعض خدمته بانقاضي من ابنة زيادة الله واستغل بالملك بعك * وبالجملته فان مدينة تونس لها حظ وافر * وحسن باهر * حازت قصبات السبق في البلاد الغربية * وعظم شأنها بين جيرانها وحبايبها الافريقية * ولا سيما في هذه الدولة التركية * والسلطنة الحاقانية * خلد الله ايامها * وسير بالعدل احكامها * تميزت بجمع المحاسن * وصفا منها كل اسن * واتسعت عماراتها * وكثرت خيراتها * وعمرت فيها الاسواق والدور * وبنيت فيها المنازة والقصور * وظهر فيها كل حسن غريب * وهاجر اليها البعيد والقريب * وطابق الاسم المسمى كما يقال تونس الغريب * إلا انها في هذا الزمان اصبحت بالحن * وقسم بها سوق الخوف من بعد كلام من شدة الفتن * عسى الله ان يجعل بعد عسر يسرا * واهلها والله الحمد لهم اخلاق رضية ونفوس اية * وعقل ثاقب * ورأي صائب * وعلو شان * وحدة اذهان * وعلماوها مميزون عن سن سواهم بالذكاء والنباهة حتى ان الواحد منهم اذا لازم الاشتغال يحصل له في سنة ما لا يحصل لغيره في عدة سنين * ورزقها الله تعالى سرا تميزت به بين البلدان * واعظم سرها جامعها الاعظم كانه بين المساجد مسجد سليمان * وذكرها العبداني في رحلته وانتي على اهلها خيرا * وذكر

علماءها بما هم اهلهم ولما ذكر مصر قال سماعك بالمعيدى وستن كابر في النفل
فلينظر الاصل * وكان العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن مصطفى الازهري
نزىل تونس رحمه الله لما استوطن هناك الديار التونسية وثانف بها وحضر
عند اهلها وامراقها يقول لو سئلت عن ثلاث لاجبت بلا ولو قطع راسي
لو قيل لي هل رايت اعلم من الشيخ ابراهيم اللثاني لقلت لا . ولو قيل لي
هل رايت اسر من جامع الزيتونة لقلت لا . والسؤال الثالث ياتي في محله
ان شاء الله تعالى * ولقد غالى بعض العلماء في مدح تونس وحريمها حتى قال
من لم يتزوج بتونسية ليس بمحصن وفي هذا التندر كفاية * لمن له خبرة ودراية *
ولو تتبعنا محاسنها لطال بنا الكلام وخرجنا عن الشرط * ولما مد القلم لسانه
في هذا المحل حكىنا عليه بالثظ * ونسبى ان نصل الى ما هو اهم * وننتقل
من الخصوصية الى ما هو اهم * وما توفيتي الا بالله عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم *

الباب الثاني

سيفه التعريف بافريقيته

افريقيته من بلاد المغرب وعند اهل العلم ان اطلق اسم افريقيته فانما
يعنون به بلد القيروان واما اهل السير فيجعلونه اقليما مستقلا وله حدود ولهم
اختلاف فيه وافريقيته اوسط بلاد المغرب وخير الامور اوسطها * وقيل انما
سميت بافريقيته لانها فرقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الاثنين
الا احسنهما * وقيل سميت افريقيته باسم اهلها وهم الافارقة والافارقة من
ولد فاروق بن مصرايم وقال آخرون الافارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح
عليه السلام سموا باسم البلاد * وقيل ان افريقش بن ابرهة بن ذي القرنين
لما غزا بلاد المغرب ودوخ البلاد بنى مدينة سميت باسمه فقاتلوا افريقيته
وسموا اهلها الافارقة ذكره المقريزي * وقيل اسمه افريقين بن قيس بن صفي

المحميري افتتحها وقتل ملكها واسمه جرجير فسميت به. ويومئذ قال لاهلهما
ما اكثر بربرتكم فسموا بربر قاله ابن خلكان * وقيل كان اسمه افريقس
بالسين المهملة فعربت بها العرب بالشين المعجمة * ونقل ابن الشباط عن
بعضهم انه كان يقول اسمها ابريقية من البريق لان سماءها خال من السحب
قلست وهذا القول بعيد لان افريقية كثيرة السحب حتى قال
بعضهم ان القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة ويعبر من فحص
القيروان بمزاق لان السحب تتمزق منه حتى قال بعضهم تنشا السحابة
بالقيروان وتطر بصقلية وغالب بلاد افريقية كثيرة البرد والامطار وغالب
الاوراق لا تخلو من السحب * وسمعت بعض الفقهاء يقول معنى قوله
تعالى - اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرزم - يعني الارض المحرشفة على
أحد التأويل ولا يوجد في غالب المعمور اكثر خرشفا من افريقية والله
علم * وافريقية اقليم عظيم جمع المحاسن الجميلة * والفوائد الجليلة *
والمدن العظيمة * والمزارع الكريمة * والمياه العذبة * والفواكه اليابسة
والرطوبة * والمباني المنيفة * والمعادن الشريفة * والمسارح المعدة للصرع *
والاثار البديعة للزروع * وجميع ما يحتاج اليه * وتقبل النفوس عليه *
وجعلوا حدود المغرب من سيب بحر النيل بالشرق الى ساحل البحر المحيط
من ناحية المغرب * وحد افريقية بالطول من برقة الى طنجة وصرعها من
البحر الشامي الى الرمال التي اول بلاد السودان قاله غير واحد * قلست
في زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من واد الطين الى بلد باجة * وقال
ابن الشباط واصاف افريقية اشهر من ان تذكر * او يخاف طيها من ان
تجحد وتتكبر * ولم يزل بها على مر الزمان من العلماء والكتاب * وذوي البراعة
في المعارف والاداب * تن تزدان باوصافه لاقطار * وتشرق بانوار كلامه
الاسطار * وذكر احاديث شريفة في فضل المغرب وفضل افريقية * وتقدم
ابن الدباغ في ذلك واورد احاديث وردت في فضل المنستير ورادس * وقال
ابن ناجي لا شك ان الاحاديث التي في المنستير ورادس موضوعة * وها انا

أورد من تلك الأحاديث ما ثبتت صحته على وجه التبرك * ذكر ابن الشباط
 قسالة في كتاب مسلم حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا هشام عن داود
 ابن أبي هند عن أبي عثمان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم - لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة *
 وفي كتاب الطبقات في علماء إفريقية حدثني فرات بن محمد قسالة
 حدثنا عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي
 عبد الرحمن الحجابي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 - لياتين أناس من امتي من إفريقية يوم القيامة وجوههم أفضل نورا من نور
 القمر ليلة البدر * وذكروا عدة أحاديث وردت في إفريقية وإن المنستير
 باب من أبواب الجنة * ولا شك أن لها فضلا وشانا والله أعلم * وحكى
 بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه قال كانت إفريقية
 من طنجة إلى طرابلس طلا واحدا وقرى متصلة عامرة فاخربت جميع ذلك
 الكاهنة وذلك لما هزمت حسان بن النعمان الغساني بعد ما فتح قرطاجنة
 وتونس وهزم البربر هزيمة شنيعة وفروا أمامه إلى برقة ورجع إلى القيروان
 فسأل هل بقي أحد ممن لم شوكة قوية من البربر فقليل لم امرأة ساحرة
 يقال لها الكاهنة وهي بجبل أوراس في عدد عظيم * فسار إليها والتقى
 معها فاقتلوا أشد قتال فقتل من العرب خلق كثير وانهمز حسان واتبعه
 الكاهنة حتى خرج من عمل قابس وأسرت من أصحابه ثمانين رجلا وذلك
 في خلافة عبد الملك بن مروان * وكتب حسان إلى عبد الملك يخبره
 بما لقي المسلمون فوافاه الجواب يأمره بالمقام حيث أدركه كتاب أمير المؤمنين
 فادركه وهو في عمل برقة فاقام هنالك خمسة أعوام بموضع يقال له قصور
 حسان وبه سمي إلى الآن * ومسلكت الكاهنة إفريقية خمس سنين منذ
 انصرف حسان منها وقالت للبربر أن العرب يطلبون من إفريقية الهدائن
 والذهب والنصه ونحن إنما نطلب منها المزارع ولا نرى لكم إلا خراب
 إفريقية حتى يياسوا منها وأرسلت قومها إلى كل ناحية لقطع الشجر والزيتون

فخربت البلاد بأسرها وهدمت الحصون وكانت كلها قرى متصلة * وفي
تواريخ النصارى انه كان لملك افريقية وهو صاحب قرطاجنة مائة الف
جن بين حصن ومدينة يحكم عليها وانه لما غزا الى رومة المداين اخذ
من كل بلدة رجلاً وديناراً وسار اليها على ناحية المغرب على بحر الزقاق من
ناحية لاندلسية وافرنجة واناخ على رومة وحاصرها حصاراً شديداً وبعث
صاحب رومة عسكرياً في البحر الى قرطاجنة واناخ عليها ووقع القتال بينهم
على وادي بجودة وكان بينهم قتال شديد وكان الحيلة من اهل قرطاجنة ثمانين
الف الف رجل فجند ذلك رجل صاحب قرطاجنة عن رومة ورجع الى
بلاده ومن ذلك الوقت بقيت الافارقة في لاندلسية وملكوها مئين من
السنين والله اعلم * وقال الملشوني لم يدخل افريقية نبي قط واول
من دخلها بالايمن حواري عيسى عليه السلام * قالت الحواري الذي
دخلها اسمه متى العشار وقتل بقرطاجنة وهو اول من كتب الانجيل بلسان
العبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين * وقال غيره بل دخلها نبي الله
خالد بن سنان العسبي وكان في زمن الفتنة ولكن لم يدخلها بدعوة وهو
مدفون في المغرب في بلد بسكرة وانكر بعض الفقهاء ذلك وصححه آخرون
والشيخ التواتي ممن اثبت انه هو * ورايت بخط والذي رحمة الله عليه
قسال حضرت الشيخ المذكور وهو متوجه لزيارة نبي الله خالد بن سنان
العسبي وله كتاب صنفه الشيخ وثبت عنده صحته وهو في تلك البلاد
يسمونه خالد النبي ويزورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم *
ومن مدن افريقية - برقة - وطرابلس - وغدامس - وفزان - واوجلة -
وردان - وكوار - وقنصة - وقسطيلية - وقابس - وجربة - وتيهرت -
وباجة - والاريس - وشقبارية - وصبرة - وسيطة - وباغاية - وليس -
واذنة - ودرعة - وجبالة - وسوسة - وبنزرت - وزغوان - وجلول -
وقرطاجنة - وتونس - وكل هذه وقع عليها الفتح * وانما كانت دار الملك
اولاً في قديم الزمان بقرطاجنة لما كانت بيد الافارقة لاغريقيين الى ان

دخلت عليهم البربر من بلاد المشرق بعد ما قتل ملكهم جالوت وتفرقوا في
البلاد فأنحاز أكثرهم إلى إفريقية والمغرب واستوطنوا البلاد سبلها ووعرها إلى
ن ظهر فيهم دين النصرانية فتغلبت الروم على سواحل البلاد وصارت إلى
من لهم ذمة * وكانت قرطاجنة أعظم مدن المغرب وهي قديمة البناء قال
بعضهم أنها بنيت في زمن داود عليه السلام وأن بين بنائها وبناء رومة
اثنين وسبعين سنة ولم يذكر ما السابق منهما * قلست هذا بعيد
جدا إلا أن يكون بناءها الثاني أو الثالث لقول أحد المفسرين أن الذي
كان يأخذ كل سفينة غصبا هو صاحب قرطاجنة * وموسى كان قبل داود
عليهما السلام بزمان طويل * وذكر أن مجمع البحرين برادس والجدار
بالمحمدية وهي طنبة وأهل تلمسان أيضا يسمون بلدهم بالجدار إلى الآن
والله أعلم * ويشهد لقدمها ما رويته الثقة عن عبد الرحمن بن زياد بن
انعم قال كنت وأنا غلام مع عدي بقرطاجنة نتمشى في أثارها ونعتبر بعجائبها
فاذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية - أنا عبد الله بن لاوإسي رسول رسول الله
صالح * وفي رواية بعضهم - شبيب بعثني إلى أهل هذه القرية ادعهم إلى
الله تعالى أتيتهم صحن فقتلوني ظلما حسيبهم الله * وذكر بعض المؤرخين
أن موسى بن نصير لما فتح الأندلسية ذكر له بها شيخ كبير فدعا به
فاذا الشيخ وقعت حاجباه على عينيه فقال له أخبرني كم أتى عليك من
السنين قال خمسمائة عام فسأله عن أشياء فاجابه إلى أن قال له أين
بلدك قال قرطاجنة قال له كم عمرت بها قال ثلثمائة عام وبهذه البلاد
ماتني عام فسأله عن خبر بناء قرطاجنة فقال بقيت من قوم عاد الذين
أهلكهم الله بالريح العقيم فعمروها ما شاء الله ثم خربت وبقيت ألف سنة
خرابا حتى أتى النمرود بن لاوذ بن النمرود الجبار فبناها على البناء الأول
ثم احتاج إلى الماء العذب فبعث إلى أبيه وكان أبوه بالشام والعراق وعنه
على السند والهند فأرسل إليه أبوه المهندسين والفعلة فهندسوا له الماء حتى
أوصلوه إلى المدينة ومكثوا يريثون الماء أربعين سنة * ولما حفروا

أساسه وجدوا حجراً مكتوباً عليه بالخط الأول سبب خراب هذه المدينة
 إذا ظهر فيها الملح فينما نحن ذات يوم عند غدير بدار الصناعة بقرطاجنة
 إذ نحن بالملح منعقد على الحجر فعند ذلك رحلت إلى هنا ونحن كان على مثل
 رأي في ذلك ، وسأله عن عمر الملك فقال عمر سبعمائة عام والله أعلم *
 وهذه الحناية من اصجوبة الدنيا وإذا افتخر المصريون بالاهرام تفتخر
 أهل افريقية بهذه الحناية على مصر لأن أصل الماء منبعث من حين جنقار
 واليوم اسمها الحميدية وهي وراء زغوان بمسافة بعيدة وجلبوا ماء زغوان معها
 وكما وجدوا في طريقهم ماء جلبوه من اليمين والشمال عدة فراسخ وكانت
 من أولها إلى آخرها مخلوطة بالبساتين والامياء جارية بينهما * وفي توارينج
 النصراني أن طول مسافة الحناية من منبعثها إلى المدينة ستون ميلاً على
 الاستقامة ويتعرجها وعطفاً ثلثمائة ميل ونيف وثلثون ميلاً وإنما كملت
 في ثلثمائة سنة وأربع مئة * قلست لا يستغرب طول هذه المدة
 لأن هذا البناء من أغرب الأبنية وإذا كان طولها ثلثمائة ميل ونيف وثلثين
 ميلاً فلا يبعد أن يكون البناء في كل سنة ميلاً مع هذا الانتقال الذي
 بها وطول أعمار النعم ونحن شاهدنا حكم بعقله بصحة ذلك * وعند
 النصراني كان بقرطاجنة ثلثة أسوار دائرة بها والبحر يضرب في سورها وهي من
 أعجب بلاد الله وكان تكسيرها أربعة عشر ألف ذراع وهي من أعظم بلاد
 افريقية * وقال البكري لو دخلها الداخل أيام حمزة لراى كل يوم
 اصجوبة وبها قصر يعرف بالمعلقة مفرطاً في العلو فيه طبقات كثيرة مطل على
 البحر * قلست لم يبق مما ذكر إلا هذا الاسم وبقيت خرائب بها يسمونها
 المعلقة إلى الآن * قال وبها قصر يسمى الطباطر فيه دار الملعب وقصر
 يقال له ترمس فيه سوارى من رخام مفرطة في الطول يتربع على رأس
 السارية عشرة رجال وبينهم سفرة وسبعة مواجيل تعرف بمواجيل الشياطين
 فيها ماء لا يدري من أين دخلها * قلست المواجيل موجودة ليومنا
 هذا * قلست وداخل المدينة منذ قد دخلها السفن بشرعها وهي اليوم

ملاحته عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابي سليمان * قالسست الملاحته التي ذكرها وبرج ابي سليمان هي الآن البلد التي عمرها لاندلس وبرج ابي سليمان بها معروف وملاحته اخرى قريبة من اوهم المرسى والله اعلم ايها كانت * قسسسال وبها قصران من رخام يعرفان بالاختين فيهما ماء مجلوب من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعه * قلست هو والله اعلم الماء الذي عليه ابار سكرة مجلوب من الجوف من تحت الجبل الذي خلف جعفر وفيه ايضا ماء مجلوب من تحت الملاحته التي بها لانهم وجدوا ارض سكرة كثيرة المياه والغالب عليها الرمل فحسروا الماء بتحكيم البناء العظيم وجعلوه متصلا ببعضه ببعض واداروا بالبناء كالحلقة لجمع الماء فيها وانحصاره ولها منفذ الى نحو قرطاجنة * واخبرني بعض من اطلع عليها انه راي المنفذ الجاري ورأى بعض بنيانها من ناحية الجوف والذي من ناحية قمرة من تحت الملاحته * ويقول من لا خبرة له ان هذا الماء بقصد بسائين سكرة وهذا شيء لا يفي بعضه ثمن سكرة اضعاق مرات وانما هذا من عمل الملوك لامرهم * وكبذلك الخناية لما احبب بعضها المولى المنصر الحفصي وجلب الماء عليها الى بسائينه بابي فهر ويعبر عنه اليوم بالبطوم عجز عن بنائها بالحجر وجعل اقواسها طابية وهي اقواس يسيرة وجلب الماء الى البركة التي هنالك وهي باقية الى الآن هذا مع ضخامة ملكه وعلو سلطته وارتفاع صيته لم يستطع اصلاح بعض ما فسد منها ولا قدر على ردها كما كانت اول مرة * وبقية الخناية واثارها باقية الى يومنا وهي تدل على امر عجيب * واما اثار المدينة فلم يبق منها الا بقية خراب يعبر عنها بالمعانة فيها اماكن كان يستقر بها الماء * واثار المدينة يراها من يركب البحر وبقية البنيان ظاهرة من تحت الماء وهي ممتدة في البحر بين القبلية والمشرق * ولا شك ان البحر الذي في حلق الوادي اليوم لم يكن قبل هذا الوقت وانما حدث بعد ما خربت قرطاجنة * واذا كانت المعلقة قصرا من قصورها وبرج ابي سليمان متصل

فيها ومحسوب منها بل كما قالوا انه من البناء الذي في وسطها تكون مسافرتها
ازيد من اثني عشر ميلا والله اعلم * ومسمعت من يذكر ان باب جهنم من
بعض ابوابها وهي متصلة الى الجبل الذي باراه بلد سليمان المسماة به
في زمانها هذا * وفي سليمان المذكورة قصر ابي سليمان السابق ذكره
وبه داموس لم يعلم احد منتهى طرفه * فسبحان المتصرف في البلاد
والعباد * وسبحان من ايد دين الاسلام وعصايمه بالنصر على اهل العناد *
وتمزيقهم في كل واد * وفتح الله تعالى هذه المملكة العظيمة على يد حسان
ابن النعمان * في خلافة عبد الملك بن مروان * في سنة تسع وسبعين من
الهجرة ودخل الى افريقية في جيش لم يدخل بمثله احد قبله ومقداره اربعون
الفا * ولسنا نزل على قرطاجنة وبها خلق عظيم التقى الفريقان والتحم
الحرب وقتل حسان شجعانهم وابطالهم فاجتمع رايهم على الهرب وكانت لهم
مراكب معدة فارتحل الملك ومن قدر معه ليلا * فسمهم من هرب
الى لاندلس ومنهم من هرب الى جزيرة صقلية * ولسنا علم اهل بواديهما
يهربون الملك تحصنوا بها فقاتلهم حسان وحاصرهم الى ان دخلها بالسيف
وارسل الى من حولها وامرهم بهدمها وكسر القناة المجلوب عليها الماء وذلك
من قبل ان ينفذ البحر الى تونس وانما حدث من بعد والله عاقبة الامور *
وانما اطلت الكلم عليها لانها بديعة الآثار قريبة من هذه الدار واثارها
تنبي عن اخبارها والله يعلم وانتم لا تعلمون *

الباب الثالث

في فتح جيوش المسلمين افريقية وذكر كل امير دخل اليها في زمن الصحابة
وفي زمن التابعين وفي زمن الخلفاء ومن بعدهم الى ان
يتهي بنا الغرض ان شاء الله تعالى

اصح مسلم ان الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم فتح في ايامهم جل
بلاد المشرق ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية بعث عقبه

ابن نافع إلى برقة وزويلة وما جاورهما من البلاد فصار تحت ذمة
الاسلام وسار عمرو بن العاص فغزا مدينة طرابلس وفتحها وافتتح جبال نفوسة
وكانوا على دين النصرانية كل هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه في سنة ثلث وعشرين * وفي اقامته عمرو بن العاص على طرابلس
بعث بشر بن ارطأت ففتح ودان وجبال نفوسة ولم يتجاوز عمرو بن العاص
إلى اقليم افريقية ورجع إلى مصر قافلا رضي الله تعالى عنه *

الخبر عن قدوم عبد الله بن ابي سرح

وفي خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اقر كل
عامل كان لامير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان لا يعزل احدا إلا عن شكاية
فاقر عمرو بن العاص على مصر وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح من
جند مصر * فسامره عثمان على الجند وسرحه إلى افريقية وكان اخا عثمان
من الرضاعة وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع
ابن الحصين فساروا حتى وصلوا افريقية واوغلوا فيها ونزل قابس في طريقه
ورحل منها وبث سراياه في افريقية وكان معهم من الجند عشرون الفا
إلى ان وصلوا سيظلة * وكان الملك اذ ذاك جرجير وهو اعظم ملك
بافريقية * وقيل انه كان عاملا لهرقل وطلع طاعة هرقل واستقل
بالمملك وضرب الدينار باسمه اي باسم جرجير وكان سلطانا من برقة إلى
طنجة ودار ملكه سيظلة وكانت بين عبد الله بن ابي سرح وبين جرجير
مراسلات فابى جرجير عنها وتاهب للهرب وجعل ابنته على ديدبان عال
واقسم بدينه لا يقتل احد امير العرب إلا زوجها ابنته * وبلغ الخبر إلى
عبد الله بن ابي سرح فاقسم بالذي جاء به محمد لا يقتل احد جرجير إلا
نقله ابنته * والتحم القتال وكان عسكر جرجير مائة الف وعشرين الفا *
فانصر الله المسلمين وقتل جرجير قتله عبد الله بن الزبير واخذ ابنته
جرجير * وقتل المسلمون المشركين وهزمهم إلى ان دخلوا مدينتهم *
فسنزل عليها المسلمون وحاصروهم بها وفتحها الله عليهم وذلك في سنة سبع

وعشرين وأصابوا فيها ما لا يحصى من ذهب وفضة وبعث بالفتح إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وكان رسوله ابن الزبير فيقال انه بلغ المدينة في خمسة وعشرين يوما وبعث عبد الله بن أبي سرح سرايا فبلغت المدينة قصور قصصه فذلت الروم بأفريقية والتجأ أكثرهم إلى الحصون وداخلهم الرعب وبعثوا إلى عبد الله يطلبون الصلح وبذلوا له ثلثمائة قنطار من الذهب وأن يرجع من حيث جاء * فاجابهم عبد الله في ذلك وصالحهم وقبض المال ثم انصرف عن أفريقية بعد اقامة سنة وشهرين وكر راجعا إلى مصر بعد ما ادعنت له بلاد أفريقية كلها وقسم الغنائم على الجند * وقسّس ليل انه بعث عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك إلى لا فرنجة والاندلسية فاتياها من قبل البحر وغنما ما شاء الله * وقسّس ليل لما رجع عبد الله إلى مصر استعمل على حمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس وهذا قول من قال ان لاندلس كان فتحها في زمن عثمان واكثر الناس من المورخين يقولون في زمن الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح او لعل الفتح مرتان قاله غير واحد والله اعلم *

الخبر عن قدوم معاوية بن حديج إلى أفريقية

وفيه خلافا بين المورخين

قسيل انه غزا أفريقية في سنة اربع وثلثين قبل مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وله ثلث غزوات الاولى سنة اربع وثلثين والثانية سنة اربعين والثالثة في خلافة معاوية ولم يذكر احد من المورخين ما كان في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولا ولده الحسن إلا ان معاوية بن حديج كان سنة خمسين وكان معاوية بن أبي سفيان اذ ذاك خليفة سنة اربعين كان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه والله اعلم * وفي سنة خمس واربعين في زمن معاوية بن أبي سفيان ارسل معاوية بن حديج إلى أفريقية في عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان ويحيى بن

فقال له اصحابه: وعلى من تسلم يا ولي الله فقال على قوم يونس ولولا البحر
لا ربتمكم ايهاهم * ثم قال - اللهم انك تعلم اني انما اطلب السبب الذي طلبه
وليك ذو القرنين الا يعبد الا الله - ثم كثر راجعا وتخلي الناس عن طريقه
خوفا من جيوشه وقد دوح البلاد وليس بافريقية تن يخالفه * ووصل
الى مدينة طينة وكان ملكهم كسيلة فتقدمت جيوش عقبة وبقي في نفر
يسير من اصحابه الى ان بلغ اليهود وبادس فغلقت ابوابهم دونهم وشتموه من
اعلى اسوارهم ودعاهم الى الله فلم يجيبوا وبعثوا الى كسيلة وكان مبعث اسلم
على يد ابي المهاجر لما فتح تلمسان * ثم صار في عسكر عقبة فاستخف به
عقبة وكان ذبح عنما لاصحابه فامر كسيلة بسلح شاة فقال كسيلة ايها
الامير هولاء غلاني فابى عليه فقام مضطربا وجعل يسلخ الشاة ويمسح يده
على ذقنه والعرب تسخر منه فمر بهم رجل من العرب فقال ان البربري
يتوعدكم * وقال ابو المهاجر لعقبة ان الرجل قريب عهد بالاسلام
فلا تهنه فلم يلتفت اليه عقبة * ولما ارسل له الروم امكنته الفرصة
فقال ابو المهاجر لعقبة عاجله قبل ان يجتمع اليه امره فزحف اليه عقبة
ففر امامه ووافاه بمقبرة من تهودة فنزل عقبة وصلى ركعتين واطلق ابا
المهاجر وقال له عقبة الحق بالمسلمين فقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فقال
ابو المهاجر وانا اغتنمها ايضا فكسرا اعماذ سيوفهما وتن معهما من المسلمين
والتحم القتال بينهم فتكاثر العدو فقتل عقبة وابو المهاجر وتن معهما
ولم يفلت الا القليل * واجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من الروم
والبربر واشتعلت افريقية نارا وزحف كسيلة الى القيروان فلما سمع زهير
حرص الناس على لقائه فامتنعوا منه واقبل كسيلة الى القيروان بعساكر
البربر فخرج اهل القيروان عاريين منه ولم يبق بالقيروان الا الذراري
والضعفاء فبعثوا الى كسيلة وطلبوا منه الامان فامتنعوا ودخل كسيلة القيروان
وفر زهير بمن معه الى برقة واقام بها الى ان مات يزيد بن معاوية بن
ابي سفيان والله اعلم بالصواب

الملك بن مروان * فلما اشتد سلطانهم سألوه أن ينظر في أحوال إفريقية وتخليصها من يد كسيلة فقال ما أرى لها إلّا زهيرا لدينهم وورعهم وهو أعرف الناس بسيرة عقبة فبعث له زهير وأمدّه بالجيش والاموال وأرسله إلى إفريقية * فلما تراءفت عليه الجموع أقبل إلى إفريقية في جيش عظيم وذلك في سنة سبع وستين وقيل تسع وستين من الهجرة والله أعلم بحقيقة ذلك *

الخبر عن إمارة زهير بن قيس البسولي

ولما قدم زهير إلى إفريقية وسمع به كسيلة رحل من القيروان ونزل على ليس وقيل ممس * ولما بلغ زهيرا خبره لم يدخل إلى القيروان وأقام على بابها ثلاثا وأرتحل رابع يوم حتى أشرف على كسيلة فنزل الناس وباتوا على مصافهم ولما أصبح صلى بالناس ثم زحف بهم والتهم الحرب فقتل من البربر خلق كثير وفر كسيلة وقفل إلى ممس وصلى المسلمون في طلب البربر يقتلونهم كيف شاءوا ورجع زهير إلى القيروان فخافه جميع من بإفريقية وتحصنوا بمعاقلهم ولم تقم لهم شوكة بعد ذلك وفتح تونس على أحد أقوال بعض المؤرخين كما سبق * وقسّيل أن حسان بن النعمان افتتحها وقد مر في أول الكتاب * وقسّيل أن زهيرا كانت ولايته من قبل عبد العزيز بن مروان وعبد العزيز على مصر من قبل عبد الملك أخيه ثم أن زهيرا رأى بإفريقية ملكا عظيما فكرة الإقامة بها لفأهية عيشها وقال إنما جئت للجهاد وأخاف أن تميل بي الدنيا وكان من الراعدين العابدين فسكر قافلا إلى المشرق فلما انتهى إلى برقة أمر العسكر بالمسير على الطريق وأخذ هو في صابرة قليلة على طريق البحر فوجد أقواما من النصاري أخذوا جلّة من المسلمين أسارى فاستغاث بهم المسلمون فوقع فيهم بكن معه فاستشهد رجلة الله عليه وسن معه * ولما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان عظم عليه ذلك وكانت مصيئته به

مثل مصيبة عقبة رجهما الله * واستغاث المسلمون لعبد الملك وسأله أن ينظر في أمر إفريقية فاتفق رأيهم على حسان بن النعمان الفسائي وكان بمصر في عسكر ظيم عدة لما يحدث * وفستحت في أيام زهير بن قيس باجة وشقبارية وهي اليوم تسمى الكاف والأربص وهي قرية قريبة منها ومدينة تونس وقرطاجنة على الاختلاف في هذين البلدين والله أعلم *

الخبر عن ولاية حسان بن النعمان الفسائي

فكتب إليه عبد الملك يأمره بالتوجه إلى إفريقية وأطلق يده على أموال مصر يعطي منها ما شاء لمن يرد عليه من الناس فوصل إفريقية في أربعين ألفاً ولم يدخل إفريقية أعظم منه قبله وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل في سنة ست وسبعين وقيل تسع وسبعين * فسلما بلغ القيروان سال عن أعظم ملك بإفريقية ف قيل له صاحب قرطاجنة * وكانت مدينة عظيمة تضرب أمواج البحر سورها وبينها وبين تونس اثني عشر ميلاً وبين تونس والقيروان مائة ميل وقد سبق التعريف بها ولصكن جئت بها هنا لانتظام الفائدة * وأعجب ما بقرطاجنة دار الملعب ويسمونه الطياطر وقد بنيت أفواساً على سواري وعليها مثلها * وصور في حيطانها جميع الحيوانات وأصحاب الصنائع * وفيه صور الرياح فصورة الصبا وجه مستبشر وصورة الدبور وجه عبوس * ورخصام قرطاجنة لو اجتمع أهل إفريقية على نقله لم يمكنهم ذلك لكبرته * قلست لم يبق بها في زماننا من الرخام شيء * وضبط ابن الشباط قرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء المهملة وبعدها طاء مهملة وفتح الجيم وتشديد النون وطاء مؤنثة وقيل بكسر الجيم * وقسالة سمعت من يقول قرطاجنة بفتح الجيم وكانت دار الملك بإفريقية * فبسمعت إليها الخيل وضائق بها وقطع القناة التي جلب عليها الماء وكان البحر لم يخرق له تونس وإنما خرق بعد ذلك * وهدم المدينة وشتت أهلها واستقام أمره * ثم ان حساناً بلغه ان النصارى تجمعوا له وساعدتهم البوابة * فسار إليهم وهزمهم إلى برقة ورجع إلى القيروان فاستأمن بها

وسال هل بقي احد اذا قتل خضفت البربر والنصارى فقبل له امرأة يقال
لها الكاهنة وهي بجبل اوراس تخافها النصارى والبربر فتوجه اليه لتأنها
وعلمت الكاهنة بامره فقدمت اليه في عسكر عظيم من البربر والروم * فالتقى
الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا ففر حسان منهزما وقتل من العرب خلق كثير
واسرت من اصحاب حسان ثمانين رجلا وانبعث حسانا حتى خرج من
عمل قابس ونزل في بركة بمكان يعرف به الى اليوم يقال له قصور حسان
وقد سبق في اول الكتاب بما فيه كفاية ومكث هنالك خمسة اعوام الى
ان جاءه كتاب عبد الملك بن مروان وامده عبد الملك بالمال والرجال وكر
راجعا الى افريقية * فلما سمعت به الكاهنة بعثت الى عمال افريقية
كلها وقطعت اشجارها وخربت مساكنها علما بان العرب لا يطالبون الا المدن
واذا اخليت المدن لم يكن لهم ارب في افريقية واسم الكاهنة دامية بنت
ينفاق وهي من مظالم البربر الذين ملكوا افريقية وكما سبق في اول الكتاب
انها كانت ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة * وكانت الكاهنة اطلقت
سنة اسرقة من العرب الا واحدا اسمه خالد فآخمت بينه وبين ولديها
وقالت لهم اني مقتولة وكانها تنظر الى راسها يركض به الى ناحية المشرق
ثم امرت ابنيها وخالدا ان يمشوا الى حسان ويستامنوه فتوجهوا الى حسان
واعلموه بالخبر * ثم تقدم حسان حتى التقى بها واقتل قتالا عظيما حتى
ظن الناس انه القنا * فانهزمت الكاهنة وتبعها حسان وقتلها بمكان يعرف
ببئر الكاهنة وقيل في طبرقة وبعث براسها الى عبد الملك * وثمة لولدي
الكاهنة على انى عشر الفا من البربر الذين اسلبوا وبعضهم الى المغرب
يجاهدون في سبيل الله ولم يبق له بافريقية منازع فرجع الى القيروان
وقد دانت له البلاد وذلك في سنة اربع وثمانين وكتب الخراج على
النصارى وعلى سن تمسك بدين النصارى من البربر وتقدم ان زهيرا اخت
تونس نقله ابن الشباط عن البلاذري وعن البكري ان حسانا افتتحها *
قال ابن الشباط واول النسخ كان مرتين والله اعلم * وسبق في اول

أبي الحكم بن العاص وعدة أشراف من قريش ففتح مدينة سوسة وكان
 أرسل إليها عبد الله بن الزبير وقائل النصاري الذين بها وظهرت منه شجاعة
 قوية على باب سوسة بحيث أنه صلى صلاة العصر والعدو قريب منه ولم
 يكتوث به ورجع إلى معاوية بن حديج وأرسل ابن حديج عبد الملك
 ابن مروان إلى جلولا فحاصرها أياما وقتل من أهلها عددا كثيرا وفتحت
 عنوة وسبوا الذرية وأصابوا معنما كثيرا وقسم معاوية الشيء بين المسلمين والله
 أعلم هل كانت في سنة أربع وثلاثين أو خمس وأربعين وبين جلولا والقيروان
 أربعة وصنرون ميلا وبقرب جلولا متنزة لبني عبيد يعرف بسرذانية ليس
 بأفريقية أجل منه وكانت كثيرة الثمار وأكثر ربا حينها الياسمين والورد وبها
 قصب السكر * قسسال ابن ناجي كان يدخل إلى القيروان أربعون
 جلا ورضا جلولا في اليوم ويوردها يتسرب المثل * وأرسل معاوية بن حديج
 جيشا في البحر في مائتي مركب إلى صقلية ففتحوها وسبوا وغنموا وأقاموا شهرا
 وانصرفوا بغنائم كثيرة * وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي
 سفيان * وفي سنة إحدى وأربعين فتح بنزرت وكان معه عبد الملك بن
 مروان فشذ عن الجيش فمر بامرأة من العجم فقرته وأكرمته فشكر لها
 ذلك ولما ولي الخلافة كتب إليه عامله بأفريقية أن يحسن لها ولاهل
 بيتها * وبنزرت قديمة البناء وهي أجل بلاد على ساحل البحر * قلت
 وسمعت سن يقول معنى قوله تعالى - ونعود الذين جابوا الصخر بالوادى -
 هي بنزرت * وسمعت سن يقول في قوله عز وجل - وسئلهم عن القرية
 التي كانت حاضرة البحر - هي بنزرت * وسمعت سن يقول كان
 للحاكم بها يهوديا في الزمن السابق ولما ضعف أمرهم وصاروا تحت الذمة
 عاملهم المسلمون الذين تملكوهم بأن جعلوا سوقهم يوم السبت نكايته لهم من
 ما سبق من إذاهم حتى لا يتصرفوا معهم في معاشهم يوم السبت والله أعلم
 بحقيقة ذلك * وسمعت معاوية بن حديج روي عن ثابت الأنصاري
 أنه جربة ففتحها وهي جزيرة في البحر تقرب من قابس وبينهما وبين

البر بجاز وفيها بساطين كثيرة وزيتون كثير * وقيل ان رويثع بن ثابت كان عاملا لمعاوية بن حديج على طرابلس سنة ست واربعين فغزا افريقية من طرابلس سنة سبع واربعين وفتح جزيرة والذ اعلم * ورجع معاوية بن حديج الى مصر فلما وصل مصر عزله معاوية بن ابي سفيان عن افريقية واقرة على مصر ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهري الى افريقية في عشرة آلاف من المسلمين وقاتل سن بها من النصارى والبربر حتى افناهم واتخذ قيروانا للعسكر وهي القيروان التي في زماننا هذا * وسبب بنائها منكور في غير هذا المكان مبسوط بزيادة بيان واخط بها الجامع الاعظم وصلى فيه * وكان عقبة رضي الله تعالى عنه مستجاب الدعوة * وقيل ان غزوته هلك كانت سنة اثنتين واربعين والله اعلم * وفي سنة احدى وخمسين عزل معاوية بن ابي سفيان عقبة عن افريقية وولى مسلمة بن مخلد على مصر وافريقية *

الخبر عن ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري

فلما وصل الى مصر بعث مولى له اسمه دينار ويكنى بابي المهاجر الى افريقية فلما وصل اليها فكر ان ينزل في بلد اختطه عقبة فبعد عن القيروان وبني مدينته واخلى القيروان وامر الناس بعمارة تلك واسمها تيكروان فلما سمع عقبة بذلك حنق عليه ودعا الله تعالى ان يمكنه من ابي المهاجر فاستجاب الله دعاءه وسيأتي بعد * وفي ولاية ابي المهاجر فتحت جزيرة شريك * قسملت جزيرة شريك هي الجزيرة المعلومه في زماننا هذا التي بها جام لانف وبنها لاندلس مثل سليمان وتركى وغيرهما واليها ينسب باب الجزيرة في يومنا والله اعلم * وجزيرة شريك كانت عامرة في ذلك الوقت وبها مدن وقصور كثيرة وخيرات ومزارع حسنة وهي بين مدينته سوسة ومدينة تونس * وسميت جزيرة شريك نسبة الى شريك العبي الذي كان واليا عليها وبعث اليها ابو المهاجر حنش بن عبد الله الصنعاني فافتكها وغنم منها وقتل اهلها وسبى سبا عظيم * ورجسه عقبة الى

المشرق فشكى إلى معاوية ما فعله أبو المهاجر به فوجه بالرجوع إلى
عمله * وتسوفي معاوية رضي الله تعالى عنه واستخلف ولده يزيد بعده
فولي عقبه بن زافع أفريقية في سنة اثنين وستين من قبل يزيد بن معاوية
فسار عقبه حنقا على أبي المهاجر * فلما بلغ أفريقية أوثقه بالحديد وأمر
بتخريب مدينته التي بناها وأعاد الناس إلى القيروان وعمروها واجمع عقبه
على الغزو في سبيل الله * واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان
ومضى في عسكر عظيم حتى نزل مدينة باغاية وهي قرية من جبل
اوراس والجبل مطل عليها وكان قد لجأ إليها جمع من البربر والنصارى
فقاتلهم عقبه قتالا شديدا وهزم الروم والبربر وغنم منهم خيلا لم يروا أحسن
منها * ولجأ جلهم إلى الحصن وأرتحل منهم إلى مدينة ليس وهي إذ ذاك
من أعظم مدائن الروم فقاتلهم أشد قتال وهزمهم إلى باب الحصن * وليس
قرية من بلد قسطينة وبينهما مرحلتان وأكثر أشجارها التين والعنب
والخوخ والجوز * فاستحت في أيام عقبه غدامس أيضا ولكن في ولايته
الأولى سنة اثنين وأربعين قتل وسبي وبلغ في غزوته إلى بلد السودان وعامة
بلاد البربر وفتح فزان وفتح ودان وقصصة وقسطينة فتحا ثانيا لأنها فتحت
قبله وأرثدوا فأعادهم بغزوته هذه حتى أذلوا له * وكذلك نطقة وتقييس
وتابس والحامة * ولما غزا فزان خرج إليه ملكهم فصالحه على ثلثمائة
عبد وستين عبدا * وغزا قصور حكوار وفرض على أهلها ثلثمائة عبد وستين
عبد وهنالك أدركه هو وأصحابه العطش فصرى ركحين وسأل الله سبحانه
وتعالى الماء فجعل فرسه يبعث برجليه حتى طلع الماء وهو الذي يقال له
تين الفرس إلى زماننا هذا * وصايق على أهل كوار ورحل منهم وأخذهم بغتة
بعد ما رحل عنهم وأطمأنوا فأباح ما في مدينتهم وسبي نساءهم وذرائعهم ثم
نصرف إلى زويلة ثم رجع إلى معسكره فأقام فيه مدة أشهر وسار بعد
ذلك إلى قصصة وقسطينة * وذكروا أن باني سور قصصة غلام النمرود *
سم توجه إلى المغرب ففتح مدينته سبتة ومدينة طنجة * وسبستة

مدينة على بحر الزقاق من ناحية المغرب وكان صاحبها البسان وهو الذي
 اعان طارق بن زياد على دخول بلاد الاندلس * وهي مدينة قديمة من بناء
 الاول وهي في زماننا في يد اعداء الدين اعادها الله للاسلام * فصالحه صاحبها
 واقرة على بلاده وسار الى طنجة ففتحها وقتل رجالها وسبى سن فيها وهي طنجة
 البيضاء وكانت دار ملك للملوك المغرب * وقيل انه كان ملك من ملوكها
 في سكرة ثلاثون فيلا وهي اخر حدود افريقية في المغرب وبينها وبين
 القيروان الف ميل وهي اليوم في يد الكفرة اعادها الله تعالى للاسلام وما
 ذاك الا من اصل الفتن التي كانت بين ملوك المغرب الاشراف الذين
 كانوا بمدينة مراكش حرسها الله وملكوا العرايش والمعمورة والبريجية ووهران
 وحدة اماكن بالمغرب اعادها الله تعالى للاسلام وذلك بعد الف من الهجرة *
 ووصل عقبه الى السوس الادنى والسوس الاقصى ومن طنجة الى تاجرا
 مدينة السوس الادنى عشرون يوما وليس في بلادهم شجر ولا نخل ولا
 زيتون ومندهم القمح والشعير والاعناب ولباسهم الصوف * ومن تاجرا الى
 طرفلة مدينة السوس الاقصى مسيرة شهرين * وليس وراء طرفلة انيس
 في المغرب الى متهي بحر الرمل * ومن طرفلة الى غانة ثلثة اشهر والله
 اعلم * فقال وقافل عقبه اهل السوس وسبى منهم سبيا كثيرا وفتح
 مدينة يغلي وسبى منها سبيا لم ير مثله حسنا * وكانت الجارية منه
 تباع بالف واكثر من ذلك اي الدنانير * وفتح درعة وهي مدينة
 عظيمة لها وادي يجري بالماء وعليه اسواق بعدد ايام الجمعة كل يوم سوق
 وربما كان موافق في اليوم الواحد في اماكن متفرقة وذلك لكثرة اهلها وطول
 عمارتها * وفتح مدينة نلبس وكانت حصينة واليهما التجا كثير من
 البربر والنصارى لحصانتها فحاصروهم ثمانية وقافلهم حتى فتحها واصاب غنائم
 كثيرة * ووصل الى درعة من بلاد السوس الاقصى ودخل الى بلاد لثونة
 في الصحراء وفر الناس امامه لا يقوم بين يديه احد ولا يعارضه الى ان
 بلغ الى البحر المحيط قال فادخل فيه قوائمه فرسه وقال - عليكم السلام -

الكتاب ان حسانا هو الذي خرق البحر الى تونس وانه بعث الى عبد الملك بن مروان يخبره بحال تونس حتى بعث له الثبط كما مر وانفا ومهد قواعد افريقية الى ان نزل بموسى بن نصير والله اعلم *

الخبر عن اماره موسى بن نصير القرشي

من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ما عزل عنها حسانا وقيل انه استعفى منها وان الوليد اراده الى افريقية فامتنع منها وحلف عنها فكتب الوليد الى عمه عبد العزيز ان يبعث موسى بن نصير الى افريقية وقطع افريقية عن عمه عبد العزيز وارسل اليها موسى بن نصير فقدم لافريقية سنة ثمان وثمانين فوجد البلاد خالية لاختلاف ايدي البربر عليها ولمسا سمعوا به فروا امامه الى المغرب فتبعهم يقتل ويسبي ولا يداخعه احد حتى بلغ السوس لادنى فاستامن البربر فامنهم وولى عليهم واليا واستعمل على بلاد طنججة طارق بن زياد مولاه وترك معه سبعة عشر الف فارس من العرب والبربر ثم رجع الى افريقية ففتح بجانة * وقيل كان فتحها على يد بسر بن ارطاة استعمله موسى بن نصير وبعث بخمسة الى الوليد وفتح زغران وكان بها عدة قري وبها من البربر عالم عظيم فغزاها موسى بن نصير وقل جمعهم وسبي منهم سبيا عظيما فبلغ سبيهم عشرة آلاف وهو اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير وغزا هوارة وزناتة وصنهاجة * وقيل ان موسى كانت اول ولايته من قبل عبد الملك بن مروان سنة ثمان وسبعين ولم يزل الى ان يم الوليد بن عبد الملك فتوالت عليه فتوحات موسى ابن نصير فظمت منزلته عند الوليد * وقيل ان موسى هو الذي خرق البحر الى تونس وبني دار الصناعة وصنع بها مائة مركب وغزا صقلية * وبعث ولده مروان الى السوس لاقصى في خمسة آلاف فارس فغنم منه ما لا يبلغ الحصر * قيل ان السبي بلغ اربعين الفا * وبلغ موسى الى ما لا يبلغه غيره الى البحر المحيط وراى عجائب يتصور عنها الوصف وهي مدونة في غير هذا الموضع بطول شرحها لمن تتبعها وراى ما لم يره غيره * وبعث الى

لاندلس طريقا مولاه ولقبه ابو زرة في سنة احدى وتسعين وبلغ الى جزيرة
طريف وبه سميت الى الان * وفي سنة اثنتين وتسعين بعث مولاه طارقا
الى لاندلس وكان عامله على طنجة واعانه على الدخول اليها اليان صاحب
طنجة وقيل صاحب سبتة وقيل اليان وصل الى القيروان مستنجدا بموسى
ابن نصير لامر حدث عنده من قبل دريق ملك لاندلس وهون على موسى
فتح بلاد لاندلس وان موسى كتب الى طارق بامره بالسير الى لاندلس *
وكانت دار الملك بها مدينة طليطلة وركب طارق في البحر ونزل في
جبل الطار هكذا اسمه في زماننا هذا وانما اسمه جبل طارق لانه سمي
به واعانه اليان صاحب الجزيرة المختصاء من عمل طنجة وشرحه يطول
ذكر ذلك صاحب كتاب المغرب وفي الاكتفاء لابن الكردبوس والطبري
وصاحب المختصر وغير واحد من اهل السير والعمدة عليهم * ولما حل طارق
بجبل طارق وسمع به دريق ملك لاندلس حشد جيشه وجمع جوعه
واقى على طارق فالتقى معه وكانت ايام القتال بينهم ثمانية ايام فهزم
الله الكافرين ومنح النصر للمسلمين * وكان مع طارق اثني عشر الفا
وعسكر الروم شي عظيم واصحاب المسلمون من السبي ما لا حصر له من
الذهب والفضة والجوهر حتى ان الرجل منهم اذا ضلعت دابته وجد في
حافرها مسمارا من ذهب او فضة او حصيات من جوهر وهذا شيء لم يسمع
بمثله * وفتح اشبيلية وقرمونة وشذونة ومورور واستجة وقرطبة وطليطلة
وباجة وماردة وسرقسطة واكثر بلاد لاندلس * ولما سمع موسى بن
نصير بهذا الفتح احب ان يكون شريكا معه فاستخلف ابنه عبد الله على
افريقية وشخص بنفسه وذلك في سنة ثلث وتسعين وكان في عشرة آلاف
فارس * فسار على غير الطريق التي سلك عليها طارق وفتح في طريقه
عدة مدن اخر * وغزا موسى من طليطلة الى الجلائقة فطلبوا الامان من
موسى وسار على سرقسطة مسيرة عشرين يوما وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة
شهر * وكانت اقامته بالاندلس عشرين شهرا وخرج عن لاندلس

وقدم الى الوليد كتابا يقول فيه - يا امير المؤمنين انه المحمدي وليس
بالفتح - واقبل بمائة عجلة وثلثين عجلة مملوءة بالذهب والفضة واللولو
وعدا ذلك لا يعلم قيمتها الا الله ومن ابنساء الملوك والاسرى ما يقرب من
ثمانين الف اسير والمائدة التي كانت لسليمان بن داود عليه السلام واتي
افريقية سنة اربع وتسعين واستخلف وليك عبد الله على افريقية وعلى
الاندلس وليك عبد العزيز * واقسبل يجر الدنيا خلفه ووصل الى مصر
سنة خمس وتسعين ورحل الى الشام فوجد الوليد في شكايته التي ملئت
فيها * وبعث اليه سليمان اخوه يأمرة ان لا يدخل سيفه ايام الوليد
لانه كان ولي العهد فخالفه موسى ودخل دمشق والوليد في مرضه فلما
ولي سليمان الخلافة حلف على موسى بن نصير ومصادرة بمائتي الف دينار *
وحج سليمان ومعه موسى فمات في تلك السنة بعد ما طلب في مصادراته
في احياء العرب وقاسى كربا حتى ان خادمه هم بالهروب عنه لما قلق
منه فلما رأى موسى ذلك دعا الله ان يقبضه فاصبح ميتا رحمة الله
تعالى عليه وكان مجاب الدعوة فسبحان المعز المذل بعد ما ملك ما لم
يملكه غيره وحاز نصف المعمور من الدنيا لم يمت حتى احتاج الى السؤال
في اقرب مدة ومات في مصادراته رحمة الله عليه * وانما اطلت الكلام
هنا لان غالب اهل بلدنا ليس لهم اعتناء بالاخبار فاذا نظر احد في هذه
الاوراق علم ان افريقية لها صيت في كل زمان * وان هذه البلاد كلها
فتحت على يد عمال افريقية * وكانت دار لامارة بالقيروان * ومنها
فتحت صقلية ايضا في اخر المائة الثالثة كما سيأتي ان شاء الله تعالى *
وموسى بن نصير هذا من التابعين يروي عن تميم الداري رضي الله تعالى
عنه * وكان عاقلا كريما شجاعا لم يهزم له جيش قط ذكره ابن خلكان
وانني عليه بزيادة ثناء * ونقل عن الليث بن سعد انه قال بلغ الخمس
ستين الف رأس في غزوة افريقية على يد موسى بن نصير وانه وجهه وليك
عبد الله فاتاه بمائة الف رأس من السبايا ووجهه وليك مروان الى ناحية اخرى

فأثناه بمثلها * وقسمال الصمد في لم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في
 الاسلام واستصحب عند قدومه الى الوليد سبعة وعشرين تاجا مكللة بالدر
 والياقوت تيجان ملوك الاندلس اليونانيين ومن الرقيق ثلاثون الف رأس
 وقيل ان الوليد بن عبد الملك هو الذي تقم عليه واقامه في الشمس
 يوما كاملا حتى خر مغشيا عليه * والاصح انه صادره سليمان بن عبد الملك
 وحج معه في سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين ومات في الطريق بوادي
 القري والله اعلم ذكره السعودي وابن خلكان وغالب المؤرخين باسقاط
 من هذا * وكانت ولايته بافريقية ست عشرة سنة ومات ولم من
 العمر ثلث وسبعون سنة * وتسسما ولي سليمان بن عبد الملك الخليفة
 سنة ست وتسعين عزل عبد العزيز بن موسى بن نصير عن الاندلس *
 وقيل عبد العزيز هذا كان اخا موسى بن نصير * وبسعت اليها الشيخ
 ابن مالك * وكانت ولايته عبد العزيز على الاندلس سنة * وبسعت
 الى افريقية عبد الله بن كرز واقام بافريقية الى ايام امير المؤمنين عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وصيد الله بن كرز هذا هو القاتل كنت
 عامل افريقية في ايام عمر بن عبد العزيز فشكوت اليه الهوام والعقارب
 التي بافريقية فكتب الي وما على احدكم اذا امسى ان يقول - وما لنا
 الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما ءاذيتونا وعلى الله فليتوكل
 المتوكلون - قسنت وعلى رأس المائة الاولى دانت له جميع افريقية من
 برقة الى السوس الاقصى ولم تقم بعد قائمة للنصارى والبربر الذين بها *
 فسمهم من دخل في الاسلام ومنهم من ضربت عليه الجزية * وكانت
 بها عدة قرى عامرة بالكفر الى بعد المائة الرابعة * وكانت الاساقفة
 نائي من الاسكندرية من قبل البترث الذي بها الى نصارى افريقية
 والان طهر الله تعالى هك البلاد من دنس الشرك والله الحمد * وكانت
 الولاية في الرتن لاول سكانهم القيروان ويعثون بعمالهم الى اقصى المغرب *
 وفي ايام عمر بن عبد العزيز عزل عبد الله بن كرز الذي كان عاملا

اسليمان بن عبد الملك وبعث الـ الاندلس حذيفة بن الـ اخوص *
 وبعث لافريقية محمد بن زيد الانصاري فاقام بها الـ ولاية يزيد بن عبد
 الملك بن مروان * فـ عمره يزيد بن عبد الملك بن مروان وبعث الـ
 افريقية يزيد بن ابي مسلم الذي كان وزير الحجاج بن يوسف الثقفي
 وكان سجنه سليمان بن عبد الملك بن مروان وبقي في السجن ايام سليمان
 وايام عمر بن عبد العزيز فلما استخلف يزيد بن عبد الملك اطلقه من السجن
 وبعثه الـ افريقية واليا عليها فلما قدم افريقية واجتمع بمحمد بن يزيد
 الانصاري قال له يزيد الحمد لله الذي مكنتني منك والله لو حال القضاء
 بيني وبينك لسبقته اليك * وقيل كان بينك عنقود عن العنب وانه قال
 والله لو سبقني ملك الموت عن اكل هذا العنقود لسبقته اليك واجر بتقيلك
 وحطه في النطع فيمنعاهم في المحاورة اذ اقيمت صلاة المغرب فقام يزيد ليصلي
 بالناس فلما سجد طعنهم رجل فقتله وأشار الـ محمد بن يزيد ان سرى في
 امن الله قال محمد فسرت وانا متعجب من صنع الله ذكره ابن خلدان باسط
 من هذا * وذكره صاحب الفرج بعد الشدة * وقيل سبب قتل يزيد
 ابن ابي مسلم انه اراد ان يسير في الناس بسيرة الحجاج فدنسوا عليه متن
 قتله * وقيل ان الذي قتله من الخوارج * وقيل ان اهل افريقية
 كتبوا الـ امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك - انا لم نخضع لك طامتوا نما
 عاملك سارينا بالجو فقتلناه - فرد عليهم محمد بن يزيد الانصاري وصرفه
 ببشر بن صفوان الكلبي * وبعث الـ الاندلس عقبه بن الحجاج واقام
 بشر بن صفوان الكلبي بافريقية الى سنة خمس ومائة * فقتل من افريقية
 بهدية عظيمة الـ يزيد بن عبد الملك فبلغه في الطريق وفاة يزيد فاقبل
 بهديته الـ هشام بن عبد الملك فوده الـ صله بافريقية فلم يزل بها الـ
 ان مات في سنة تسع ومائة * واستخلف بشر على افريقية ابن قرط
 الكلبي فعاش بها * ولما بلغ خبره الـ هشام حزنه وولى مكانه عبدة بن
 عبد الرحمن القيسي وذلك في صفر سنة خمس ومائة فلما قدم عبدة الـ

افريقية بعث المستنير بن الحارث غاريا الى صقلية فاصابتهم ريح فاعرقتهم
وسلم المركب الذي به المستنير والقمه الريح الى طرابلس * فكتب
عيده الى عامله بطرابلس يامره باصلاك المستنير وان يشد وثاقه ويرسله
اليه ففعل به ذلك وارسله الى القيروان فلما وصل الى صيده جلك وطيف
به في القيروان والقاه في السجن * وانما انتقم من المستنير لانه اقام بارض
الروم حتى دخل الشتاء واشتدت عليه امواج البحر حتى طبخت المراكب
ولم يزل محبوسا الى ولاية عبيد الله بن الحبحاب فاطلقه ابن الحبحاب
وبعثه الى تونس كما مر في اول الكتاب وسيأتي بقيته خيرة ان شاء الله *
قسمت وهذا ينافي ما تقدم من ان عبيد الله بن الحبحاب هو الذي
بنى دار الصناعة بتونس - ودار الصناعة عبارة عن المكان الذي يشا به
المراكب لان المراكب غزت من بحر تونس من قبل ان يتولى عليها ابن
الحبحاب بزمن طويل - ويؤيد قول من قال ان الذي بنى دار الصناعة
هو حسان بن النعمان او من قال ان موسى بن نصير هو اول من غزا في
بحر تونس او غيره * وابن الشماع صح عنه ان الباني لدار الصناعة عبيد
الله بن الحبحاب والعقل والنقل يشهدان بخلاف ذلك والله اعلم وسياتي
بمزيد ايضاح * واسم يزل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الى سنة عشر ومائة
فقفل الى المشرق يقدم على هشام من افريقية ومعه هدايا كثيرة * وكان في
ما قدم به من العبيد والاماء والحواري المتخيرة سبعمائة جارية وغير ذلك
من الخصيان والحيل والدواب والوانى من الفضة والذهب فقدم على هشام
بهداياه واستغفاه فاعفاه * وكان خلف على افريقية عقبة بن قدامة التجيبي

الخبر عن ولاية ابن الحبحاب

فكتب هشام الى عبيد الله بن الحبحاب وكان عامله على مصر فامره
بالمسير الى افريقية وولاه ايماعها وذلك في ربيع الاخير سنة عشر ومائة
فاستخلف ذلك على مصر وقدم الى افريقية فاستخرج المستنير من السجن
وولاه تونس * وبسعت حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الى

السوس وارض السودان فغنم مغنما لم ير مثله واصاب ذهباً كثيراً وكان في ما
 اصاب جاريشان من جنس تسميه البربر اجان ليس لكل واحدة منهم إلا
 ندي واحد * ووجه خالد بن ابي حبيب الفهري الى البربر بطنجة
 ومعه وجوه اهل افريقية من قريش ومن الانصار فقتل خالد ومن معه ولم
 ينج منهم احد فسميت غزوة الاشراف وقتل عبيد الله بن الحبحاب الى هشام
 في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة ذكره صاحب كتاب الاكتفاء ابن
 الكردبوس * ونقل ابن الشباط ابن عبيد الله بن الحبحاب ارسل حميد
 ابن ابي عبيدة في البحر غازيا الى صقلية في سنة اثنين وعشرين ومائة
 فظفر ظفرا لم ير مثله ونزل على سرقوسة وهي اعظم مدنها بصقلية فقاتلهم
 وقتلوه حتى ضرب بايها بالسيف فاثرو فيه فحاربته النصارى فاذعنوا بلادهم
 الجزية فاخذها منهم ورجع سالما الى عبيد الله بن الحبحاب * وكان ابن
 الحبحاب رئيسا نبيلاً واميراً جليلاً وكان بليغاً حافظاً لايام العرب وهو الذي
 بنى الجامع بتونس ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة كما تقدم كذا نقل
 ابن الشباط وذكر عن غيره ان ولايته كانت سنة ست عشرة ومائة وقتل
 الى المشرق في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة والله اعلم *

الخبر عن ولاية كلثوم بن عياض القيسي

قال صاحب الاكتفاء في جمادى الثانية من سنة ثلث وعشرين ومائة وجه هشام
 ابن عبد الملك كلثوم بن عياض القيسي الى افريقية فلم يقدمها غزا الى طنجة
 فقتله البربر هنالك ولم يذكر وفاته وانما ذكر ذلك اجالا لا تفصيلا ولم اطاع
 على خبره في غيره واهل صاحب تاريخ القيروان ذكره باسط عن هذا واني
 مشوق الى رواية هذا التاريخ ولم اتصل به واهل ما ذكرته في هذا
 المجموع هو موجود في تاريخ القيروان بزيادة ايضاح وما جمعت هذا القدر
 اليسير الا من غيره ولي العذر فيما جمعته من تشتت البال وتراخي المحن
 والاهوال ومن ضيق الوقت وكثرة المقامات وقلته للاطلاع وقصر الباع وقلته
 لمساعد وكثرة الناقص والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله *

الخبر عن ولاية حنظلة بن صفوان

قال بن الكردبوس ولما سمع هشام بن عبد الملك بوفاة ككتوم بن عياض ارسل الى افريقية حنظلة بن صفوان في صفر سنة اربع وعشرين ومائة فاقام بها الى ايام مروان بن محمد * وفي ايام هشام بن عبد الملك عزل حكمة بن الحجاج عن لاندلس وولى مكانه الحسام بن صرار الكلبي فاقام واليا بالاندلس تسعة اعوام وهو الذي جوز اليها من اهل الشام عشرة آلاف رجل وحزم بهم ابن يفرن الزناني اذ كان قلم بها عليه فظفر به وصلبه وصلب عن يمينه كلبا وعن يساره خنزيرا وخلفه قردا وامامه دبا واسكن اهل دمشق البيرة واهل فلسطين شذونة واهل الاردن وشقة واهل قنسرين حيان واهل مصر باجة واهل حص اشيلية وبهم سميت اشيلية حص ومات بها في ايام هشام فولى عوضه الهيثم بن الكلبي وما ذكرت هك النبذة إلا لابين ان لاندلس كانت من تحت ايدي ولاية افريقية ومنها فتحت والمزية لافريقية عما سواها من بلاد المغرب وكل بلد بالمغرب كانت تحت ايدي البلاد لافريقية ولم تزل الولاة تتردد اليها من ايام الفتح من قبل الخلفاء الامويين الى ايام هشام بن عبد الملك * ولما توفي هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاخر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وعشرة ايام قام بلامر بعك الوليد بن يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات هشام فيه * وحكان يحب اللهو والصيد واطهر الملامهي وانهمك في شرب الخمر وجاهر بالكبائر وعم الجور في ايامه حتى كاد يقال فيه جبار بني امية ومثالبه مذكورة في غير ما موضع وقام عليه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم فبعث اليه الوليد جيشا فقتل يحيى في تلك الحروب وجي براسه الى الوليد وصلبت جثة زيد ولم يزل مصلوبا الى ايام ابي مسلم * والوليد هو الذي قرأ في المصحف قوله تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - فنصبه غرضا للنشاب وجعل يقول تهددني بجبار عسنيدي فها انا ذاك جبار عسنيدي

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مرقني الوليد
فلم تطل أيامه حتى عاجله. القدر وقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد
فلم يترك له عينا ولا اثرا وقطع رأسه وحمله إلى دمشق وكانت خلافته
سنة وشهرين وقام بالأمر بعد الوليد المذكور ابن عمه يزيد *
الخبر عن خلافة يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك بن مروان

بسويح بعد موت ابن عمه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين
ومائة ويسمى يزيد الناقص * وقسم عليه مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم غضبا لما فعله يزيد بالوليد * ولمسا دخل دمشق فر يزيد فظفر
به مروان بن محمد فقتله وصلبه وكانت خلافته ستة أشهر * وقسم
بالأمر بعل أخوه إبراهيم *

الخبر عن خلافة إبراهيم بن الوليد
ابن عبد الملك بن مروان

بسويح في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد فلم تطل أيامه ولم يكن
له في دولته أقبال فكانوا تارة يسمونه بسامير المؤمنين وتارة بالأمير فقط
وقام عليه مروان بن محمد وسار إليه في سبعين ألفا * وبعث إبراهيم إليه
سليمان بن هشام في مائة ألف فاقبلوا بغوطة دمشق فظهر عليهم مروان
وقتل منهم خلقا كثيرا ودخل دمشق * وخلع إبراهيم نفسه وكانت
خلافته شهرين وبعد شهرين من خلعه قتل مروان بن محمد واستقل
بالأمر بعل *

الخبر عن خلافة مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم ابن أخيه عبد الملك بن مروان

بسويح في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ولقبه مروان الحمار ومروان
الجعدي * ولمسا ولي الخلافة نبش قبر الوليد وأخرجهم وصلبه وعزل عبد
الملك بن قطن عن لاندلس وقدم عليهما ثوابته بن نعيم الانصاري فقام

واليا بالاندلس أربع سنين إلى أن ظهرت الدولة العباسية فبقي الأمر بالاندلس سدى وانتفى رأيهم على أن يقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري فأقام واليا عشر سنين إلى أن دخل إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان كما سيأتي أن شاء الله * ولـمـنـرجـع إلى ذكر مروان الجعدي * وفي أيام خلافته خالفت عليه حصص ففتحها وهدم سورها ولم يزل في تشتيت من أمره واضطراب النواحي وهو في ذلك يقيم الحج إلى سنة ثلاثين ومائة وقام أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس سنة تسع وعشرين ومائة * وكانت حروب كثيرة بينهم وفر مروان بن محمد وقبـعـه جيش بني العباس إلى قرية من قرى الصعيد يقال لها - أبو صير - سنة اثنتين وثلاثين ومائة * وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وبه انقرضت دولة بني أمية من المشرق وظهرت دولة بني العباس * وكانت أيام بني أمية ألف شهر * ولما دانت لبني العباس بلاد المشرق قتلوا من وجدوة من بني أمية إلا من استخفى منهم أو من كان دخل إلى بلاد المغرب * وممن الذين دخلوا المغرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم دخل بلاد الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة فوجد أحوال الأندلس غير مجتمعة ولم تصل إليهم ولاية من قبل الخليفة والداس فرق بين هاشم وأميه فاجتمع إلى عبد الرحمن كل من كانت في باطنه حرة أو مودة عن يوسف بن عبد الرحمن الفهري فانصاف إلى عبد الرحمن وقاسى بها عبد الرحمن خطوبها * ولمـسـمـ بها وقائع مشهورة إلى أن دانت له البلاد * وقـاـنـل الفهري وهزمه وقتله وملك مدينته قرطبة ودانت له البلاد وبقي ملكا ثلثا وثلاثين سنة وتداولتها بنوه من بعده ولم يخطب أحد منهم لبني العباس ولم يدخل تحت طاعتهم إلى أيام عبد الرحمن الذي تلقب بالناصر لدين الله وتسمى بأمير المؤمنين - لما ظهرت بنو عبيدة في إفريقية وتسموا بأمراء المؤمنين تسمى عبد الرحمن بأمير المؤمنين * وقسميل أن من تقدمه من آبائهم

كان يخطب لبني العباس وعبد الرحمن هذا الذي تلقب بالناصر هو ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي توفي سنة خمسين وثلاثمائة * وكانت أمارته خمسين سنة ونصف سنة وعمره ثلث وسبعون سنة * ولمسا مضت من أمارته سبع وعشرون سنة ورأى ضعف الخلافة بالعراق وظهور العلويين بأفريقية تسمى بأمر المؤمنين * وتولى بعده ابنه المحكم وتلقب بالمستنصر وتوفي سنة ست وستين وكانت أمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلث وستون سنة وسبعة أشهر * وعهد له ذلك هشام وعمره عشرة أعوام وتلقب بالمؤيد وهو الذي حجه محمد بن عبد الله بن أبي عامر الملقب بالناصر واستحكم على أمر المؤيد هشام وأمال إليه الجند ولم يبق للمؤيد إلا الخطبة والسكة فدانت له ملوك الشرع وأنزلهم من صياصيمهم وحكم على ملوكهم وجعلهم عمالا له ودخلوا في طاعته * وكان حازما عاقلا وأكثر الغزوات في بلاد الكفرة حتى أذلهم الله على يده وجعلهم ينقلون التراب من أقصى بلادهم إلى قرطبة وبني به الجامع وفعل بهم ما لم يفعل غيرهم ممن تقدمه وكان يقال في حقه أنجب مولود ولد في الأسلام * ونقل ما في خزائن بيت المال وجعله تحت يده وكان خراج لاندلس حصر في زمن عبد الرحمن الناصر فبلغ خمسة آلاف ألف دينار فكان يجعل ثلثه في بيت المال والثلث للجنود والثلث الباقي لبنائه وصلاته للشعراء والعلماء وغير ذلك * ومسا اطلت في هذا الفصل إلا تكون لاندلسية أصل افتتاحها من هذه البلاد ومنبت بناء الحكاية ليتصل بعضها ببعض وربما لم يخل هذا الموضع من فائدة وإن كانت في غير هذا أبسط من هذا وليعلم الواقف على هذه النبذة أن أفريقية لها الشرف السابق بين بلاد المغرب لأن لاندلسية فتحت منها في زمن الجاهلية وفي زمن الأسلام وكذلك الصقلية فتحت منها * وكانت ممالها من تحت عمال أفريقية معين من الأعوام * وكانت دار ملك بني الأغلب القيروان

ثم قامت بها بنو عبيد القواطم ثم تملكث عليها ملوك صنهاجة * وكان لهم صخامة ملك وهم عمال للقواطم عندما رحلوا إلى بلاد المشرق * وكان حكم بني الأغلب وبن كان قبلهم من الأمراء وبن كان بعدهم من صنهاجة إلى حد السوس من بلاد المغرب إلا ما خرج عن أيدي بني الأغلب عند تمكن الإدارة من بلاد المغرب * وكان أولهم إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذلك بعد السبعين والمائة في أيام المهدي أمير المؤمنين العباسي وإدريس بن إدريس هذا هو الذي بنى مدينة فاس * وبسبب أخبارهم تأتي بعد أن شاء الله تعالى عند ذكر الخلفاء الذين كانوا بالمغرب وملوك لمونة وبني عبد المؤمن الذين يقال لهم دولة الموحدين لكي يرتبط النظام بدولة بني حفص وبن بعدهم أن شاء الله من الأمراء الذين كان استيلاؤهم بتونس وكيف تنقل الأمر من حال إلى حال والله هو المتصرف في البلاد والعبد لا يسال عما يفعل وهم يسألون * ولما آل بنا الغرض إلى هنا نذكر لأن سن دخل أفرقيقة من أمراء بني العباس ونسرد أسماءهم على الولاة من غير اطناب إلا ما تمس الحاجة بنا إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

ذكر الولاة من قبل العباسية

ولما كان قيام بني العباس بالشرق وتشتت جمع بني أمية وكثرت الفتن بافرقيقة واشتغل بنو العباس بتمهيد البلاد في المشرق وهاجت فتن الخوارج بالمغرب قام أبو الخطاب راس الخوارج بافرقيقة وكثر ضررهم واشتدت شوكتهم فأرسل أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث بن مقبة الخزازي سنة أربع وأربعين * وقسم إلى ابن نباتة الذي بعث محمد بن الأشعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلث وثلثين ومائة والقول لأول أصح * فحارب الخوارج وقتل أبا الخطاب وشرذ الصفرية وبدددهم وبني سور القيروان من الطوب ستمه عشر أذرع وذلك في ربيع الأول من السنة المذكورة وكمل في رجب الفرد لأصب

سنة ست وأربعين وهو أول قائد للسودة * والسودة كناية لبني العباس
لان شعارهم السواد وكانوا يلبسون السواد وكانت اعلامهم سودا وشعارهم
سودا لانهم خرجوا طالبيين لدم الحسين وزيد رضي الله تعالى عنهما فجمعوا
شعارهم السواد * فمنهم عمر بن حفص بن ولد قبيصة بن ابي
صفرة اخو المهلب بن ابي صفرة المشهور لبسائه ذكره وثقه هزار مرد
معناه الف رجل بالفارسية لغة فارس وما لقب بهذا إلا لشجاعته كان
يقوم مقام الف فارس في الحرب * وكان بطلا شجاعا اولاة المنصور امير
المومنين واسمه عبد الله المنصور اخو امير المومنين عبد الله السفاح ولي الخلافة
سنة ست وثلاثين ومائة وكنته ابو جعفر وكان مقدما لعمر بن حفص
ولاة ولايات منها البصرة والسند وغيرهما وسيرة الى افريقية سنة احدى
وخمسين ومائة ومعه خمسة الف فارس واجتمع اليه وجوه اهل القيروان فواصلهم
واحسن اليهم واقام الامور المستقيمة ثلث سنين واشهرها ثم سار الى الزاب
وبنى مدينته طينته وذلك بعد ان ورد عليه كتاب المنصور وقتلته الخوارج
بافريقية * ومنهم الامير يزيد بن حاتم بن ابي قبيصة بن المهلب بن
ابي صفرة دخل افريقية سنة خمس وخمسين ومائة من قبل المنصور وكان
معه خمسون الفا من العسكر فقتل الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص
المقدم ذكره ومهد البلاد ودانت له العصاة ودخل القيروان لعشر بقين
من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ورتب امر القيروان وجعل كل صناعة
في مكانها وكان جوادا مشهورا * وحسكى طم سحنون انه كان يقول
والله الذي لا اله الا هو ما هبت شيئا قط كهيبة رجل واحد يزعم اني ظلمته
وانا اعلم انه لا راحم له الا الله يقول بيني وبينك الله * وهدم جامع
القيروان ما عدا المحراب وبناه واشترى العمود الاخضر بمال جزيل *
وكان جوادا سوريا يعد من الكرماء * ولما رحل عن العراق كان في
صحبه يزيد السلمي عامل مصر فكان يزيد بن هاتم ينفق على الجيشين من
ملك وهذا غاية الكرم * وقصصك جماعة من الشعراء فاحسن اليهم وقصصك

سروان بن ابي حفصة الشاعر فانشك هذين البيتين -
 اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نوملسه
 فلا نحن نخشى ان يخيب رجأونا لديك ولكن اهنأ البر عاجلسه
 فسامر للمجد بطايعهم وقال من احبني يعطي هذا الشاعر درهما
 فحصل له خسون الف درهم وزاده من عنك خسين الفا فرجع الشاعر
 بمائة الف درهم في بيتين * قلت انظر ايها المتامل الى نفاذ سرق
 الادب في ذلك العصر وقلته نفاذه في زماننا هذا حتى ان الشاعر في هذا
 الزمان ربما جهد جهلك في مدح انسان ويود ان يحصل له من الممدوح
 السماع فضلا من المجاورة فلا يحصل على شيء وكفى بمن يخل بسعد والامر
 لله وكانت ولاية يزيد خمس عشرة سنة ومات بالقيروان سنة سبعين
 واسستخلف ذلك من بعك فعزله امير المؤمنين هارون الرشيد باخيه
 روح بن حاتم رحم الله تعالى الجميع * والامير روح بن حاتم بن
 قبيصة بن الهلب بن ابي صفرة الاودي اخو يزيد بن حاتم المقدم
 ذكره كان عالي الهمة ولي الولايات الكبار الخمسة من الخلفاء - السفاح
 - والمنصور - والمهدي - والهادي - والرشيد - ودخل افرقية سنة
 احدى وسبعين بعد موت اخيه يزيد واقام بها اربع سنين * ومن
 لا تفاق الغريب انه كان واليا على السند واخوه يزيد على المغرب فلما مات
 اخوه يزيد كان الناس يقولون ما ابعد قبري هذين الاخوين احدهما
 بافرقية والاخر بالسند فاتفق ان الرشيد عزله عن ولاية السند وبعضه الى
 افرقية فمات بها في شهر رمضان سنة اربع وسبعين ومائة ودفن مع اخيه
 في قبر واحد ولله عاقبة الامور * وفي ايامه ظهرت دولة الادارة بالمغرب
 وبسويح الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن
 ابي طالب بمدينة ويلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين
 وسبعين ومائة واستفحل امره بتلك البلاد وسياتي بقيته من خبرة ان
 شاء الله تعالى * ومنهم الامير هرثمة بن اعين الهاشمي ولله امر

المومنين هارون الرشيد افريقية سنة تسع وسبعين وقدم الى افريقية يوم
الخميس لثلاث خلون من ربيع الاخير من السنة المذكورة واقام بها الى
سنة ثمانين * وفيها بنى بلد المنستير قاله ابن خلكان * ونقل ابن
الشباط انه بنى النصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن
قادم * وبنى سور مدينة طرابلس وامن الناس في ايامه * وقفل الى
المشرق في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة بعد ما كتب الى الرشيد
يستغفیه عن الولاية لما رآه من الخلل فاعفاه الرشيد * وكتب اليه
بالقدوم الى المشرق وعاش الى ايام امير المومنين المامون وكان يعتمد عليه
في الامور العظام * وفي سنة مائتين حقد عليه وجبسه ثم ارسل اليه من
قتله في السجن رحمه الله * وكان من اكبر قتواد المامون ممن عاصد
طاهر الحسين في محاربة الامين * ومنهم ابراهيم بن لاغلب كان
سنة اربع وثمانين ومائة من قبل هارون الرشيد وقيل خمس وثمانين وهو
الذي بنى مدينة القصر على ثلثة اميال من القيروان * وهدم دار الامارة
التي كانت بالقيروان قبلي الجامع وانتقل الى القصر وجعله دار الامارة
وعمرت بازائه مدينة القصر وصار بها اسواق وجامعات وفنادق وجامع
وذلك في سنة اربع وثمانين ومائة ومات سنة خمس وثمانين ومائة *
ومنهم سم زيادة الله بن ابراهيم بن لاغلب استقل بالامر في سنة احدى
ومائتين واقام في الولاية الى سنة ثلث وعشرين ومائتين * وقسم عليه
منصور الطنبذي وحاصره اثني عشرة سنة ونسبه اهل القيروان الى الجور
وهذا امر انتصر على الطنبذي وهزمه * وكان الطنبذي قام مع جماعة
من الجند وملك مدينة القيروان وافريقية وكانت بينهما واقعات وفيها امر
الامر انهزم منصور الطنبذي وفتح الله عز وجل لزيادة الله وعاد اليه ملك
افريقية وهو الذي سور مدينة القيروان وحضر الجامع بها وانفق عليه
سنة وثمانين الف دينار بعد ما هدمه ما حدا المحراب ايضا وبنى سور
مدينة سوسة * وفي ايامه بعث الى صقلية اسد بن الفرات وكنان

قاضيہ بالقيروان ومعه من الجيش نحو عشرة آلاف فركب البحر من سوسة
وسار إلى صقلية والتقى بصاحبها بلاطه * ويقال انه سكن في
مائة ألف وخمسين ألفاً فهزم الله الكافرين وغنم المسلمون أموالهم وهددوا
شملهم واستفتحوا من صقلية مواضع كثيرة * وتوفي اسد بن الفرات وهو
محاصر لسرقوسة في ربيع الاخير سنة ثلث عشرة ومائتين ودفن هـ بالك
وسكنها المسلمون واستوطنوها ما شاء الله وتداولت عليها الولاة من قبل
القيروانيين وكان محمد بن عبد الله بن الاغلب والياً على صقلية سنة ثمان عشرة
ومائتين ومات سنة سبع وثلاثين وفتح فيها فتوحات عظيمة وكان مقامه
في بلوم لم يخرج منها وانما يبعث سراياه ومدة امارته تسع عشرة سنة
الك ان اخذها منهم العدو وذلك بعد الاربعين وخمسائة وسيأتي بقية
خبرهم فيما بعد ان شاء الله * وتوفي زيادة الله سنة ثلث وعشرين
ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم اسم ابو عقاب واسمه الاغلب بن ابراهيم
ابن الاغلب اخو زيادة الله المتقدم ذكره وتوفي ابو عقاب سنة ست
وعشرين ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم ابو العباس احمد بن ابراهيم
وكان في زمانه سحنون بن سعيد وفي ايامه منع سحنون اهل الاهواء
من المسجد الجامع وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويتظاهرون بمذاهبهم مثل
الاباضية والصفرية والمعتزلة فمنعهم سحنون من الاجتماع * وكان عامله
بصقلية ابن عمه محمد بن عبد الله بن الاغلب المتقدم ذكره ومات بها
سنة سبع وثلاثين ومائة * وتولى بعك العباس بن الفضل بن يعقوب بن
فزارة وسيأتي بعد ان شاء الله تعالى * ومنهم محمد بن ابراهيم بن
محمد بن الاغلب وكان في سنة اربعين ومائتين * وفي ايامه عصي اهل
تونس عليه فغار عليهم وسبى منهم خلقاً كثيراً * وله واقعة مشهورة مع الامام
سحنون في رد المسبيات ومنع بعض امرائه من التصرف فيهن واستخرجهن
من دارة * وبسمعت الامير محمد الك سحنون في ردهن فاقسم لا
يردهن ما دام قاضيها إلا ان يرفع يده عن القضا فكفى منه رحم الله الجميع

وفي أيامه فتح العباس بن الفضل بن يعقوب بن قرارة مدينة بانة من صقلية وبنى بها مسجداً وصلى فيه الجمعة وهي دار الملك عندهم وكان الملك قبل ذلك يسكن سرقوسة وتوفي بها سنة سبع وأربعين ومائتين وتولى بعدك ولك عبد الله بن العباس أميراً على الجزيرة * ومنهم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب قام بالامر بعد أبيه ومات في سنة تسع وأربعين ومائتين * ومنهم زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب قام بالامر بعد أخيه وكانت ولايته عاماً وستة أشهر وتوفي سنة إحدى وخمسين ومائتين * ومنهم اسم ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن الأغلب تولى بعد عمه زيادة الله سنة إحدى وخمسين ومائتين في جادى الأولى وكانت إمارته عشرين وخمسة أشهر ومات سنة إحدى وستين ومائتين * وكان عاملاً على صقلية خفاجة بن سفيان أرسله من إفريقية فغزا فيها عدة غزوات وفتح فتوحات عظيمة ولم يزل بها إلى أن اغتاله رجل من عسكرة فقتله وفر إلى العدو وإقام الناس ابنه محمد بن خفاجة وأرسل إليه الأمير محمد فاقرة على عمله ولم يزل إلى سنة سبع وخمسين ومائتين فقتله خدمه الخصيان واستعمل بعدك الأمير محمد لاغلي على الجزيرة أحمد بن يعقوب * ومنهم اسم الأمير محمد سنة إحدى وستين ومائتين * ومنهم اسم الأمير أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن الأغلب قام بالامر بعد أبيه وهو الذي بنى ماجدل القيروان وجامع تونس وله واقعة مشهورة * ومنهم الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد الذي بنى مدينة رقادة وانتقل إليها وأبداً بناؤها سنة ثلث وستين ومائتين فأكملت سنة أربع وستين وسكنها واتخذها داراً للملك * وكان يكثر الإقامة بتونس وكان ذا فطنة عظيمة وصاحب معروف وطالت مدته وكانت ولايته سنة إحدى وستين ومائتين وبعث إلى صقلية الحسن بن العباس عاملاً عليها فبعث الحسن سراًياه وفتح عدة أماكن مشهورة ودانت له البلاد وصلح حالها في أيامه وانتقل من إفريقية إلى صقلية بعد ما

استخلف ولده ابا العباس احمد وجاهد في الله حق جهادة * وفستبح
 الفتوحات العظيمة وتوفي بالدرب وحل الى القيروان سنة تسع وثمانين
 ومائتين وتصدق بجميع ماله رحمة الله تعالى عليه * وسكنات امارته
 ثمانين وصرين سنة * وفي ايامه ظهر ابو عبد الله الشيعي بارض كسامته
 يدعو الى آل البيت وسبائي بقيته خيرة * ومنهمم الامير ابو العباس
 احمد بن ابراهيم بن احمد المتقدم ذكره استخلفه ابيه على افريقية عند مسيره
 الى صقلية واقام بها بعد وفاة والده الى ان توفي سنة ثمان وثمانين
 ومائتين وقام بالامر بعده ذلك عبد الله بن احمد * ومنهمم الامير عبد الله
 ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد وكان حسن السيرة كثير العدل صاحب
 معروف واحسان انتقل اليه الامر بعد ابيه سنة ثمان وثمانين وسكنات
 اقامته بتونس وقيل سنة تسع وثمانين ومات بتونس سنة خمس وتسعين
 مقتولا قتله ثلثة من الصقالبة باتفاق من ابناء زيادة الله لانه سجنه من
 شرب الخمر فاتفق معهم على قتل ابيه فقتلوه واحضروا راسه بين يدي
 زيادة الله ولك وهو في السجن فلما تولى زيادة الله امر بقتلهم فقتلوا وهو
 الذي كان امر بذلك * ومنهمم الامير زيادة الله بن عبد الله بن احمد
 استقل بالامر بعد ابيه ولما تم له الامر انعكف على لذاته ولازم المضحكين
 واهل احوال الرعية والمملكة وقتل من اعمامه واهل بيته من قدر عليه
 وفي ايامه استفحل امر ابي عبد الله الشيعي القاييم بدعوة الفاطميين
 بالمغرب * وارسل زيادة الله عسكريا مع ابن عمه ابراهيم وقدره اربعون الفا
 فهزمهم ابو عبد الله الشيعي * ولما رأى زيادة الله هزيمة عسكره
 وضعفه عن مقاومته جمع ما قدر عليه من الاموال وخرج عن ملكه فارا الى
 المشرق وذلك في خلافة المعتدر بالله العباسي فوصل الى مصر وبها النوشي
 عاملا عليها * فكتب الى المعتدر يخبره بزيادة الله ثم سار زيادة الله الى
 ان بلغ الرقة فوافاه كتاب امير المؤمنين بالعود الى بلاده لقتال الشيعي
 ويأمر عامل مصر ان يملك بما يحتاج اليه من المال والرجال * فوجه الى

مصر فعاظمه العامل بها وزيادة الله في انشاء ذلك منعكف على لذاته واستماع الملاهي وشرب الخمر فلما طال مقامه تفرق جمعه وفرت عنه اصحابه وتناجعت به الامراض فتوجه الى بيت المقدس لقصد الاقامة بها فمات بالمرلة ودفن بها ولم يبق بالمغرب من بني الاصلب احد * وكسنت مدة ملكهم مائة واثنى عشرة سنة تقريبا * فسبحان من لا يزول ملكه ولا يفنى دوامه وتتصرف في العباد احكامه يفعل في ملكه ما يشاء وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

الباب الرابع في ذكر الدولة العبيدية

وابتداء امرهم والثائم لاصلاح دولتهم

فاولهم ابو عبد الله الشيعي واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء من اهل صنعاء وقيل من اهل الكوفة اخذ اسرار الدعوة عن ابن حوشب وارسله الى المغرب فقدم الى مكة ايام الحج واجتمع بجماعة من المغاربة من اهل كنانة وكان عندهم طرف من ذكر مال البيت فجلس اليهم وتحدث معهم وذكر لهم فضائل اهل البيت فانسوا به واعجبهم ومالوا اليه وسالوه عن قصص فاطمهم انه يريد مصر لقصد التعليم فاستصحبوه معهم الى مصر * ولما ان رحيالهم اخذ يردعهم وقد عز عليهم فراقه فسالوه الصحبة معهم الى بلادهم اذ كان قصص التعليم والثواب فاجابهم لما طلبوه وقفل معهم الى المغرب ولم يظهر لهم مرادة وفي انشاء ذلك يسالهم من خبر بلادهم وصنائيرهم الى ان احاط بها خبيرة * ولما وصلوا الى بلادهم تنافسوا فيه وعند من تكون اقامته الى ان كادت ان تكون بينهم فتنة * فعند ذلك سالهم عن فيج الاخبار ولم يكن سالهم عنه قبل ذلك فعجبوا منه وقال اذا جئناه ناتي كل قبيلة منكم في مكانها فرضوا بذلك وكان اسمهم عندهم ابا عبد الله المشرقي وقدم المغرب منتصف ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين واتاه البربر من كل مكان وذلك في زمن ابراهيم بن احمد الاطابي * فلما سمع به استصغر امرة واحترقه * ثم مضى ابو عبد الله الى تيهرت فملكها واتته وفود البربر من كل فيج ولا زال في زيادة من امرة

الى ايام زيادة الله الاحول فبعث اليه عدة الوف فجزمهم ابو عبد الله ولما
 رأى زيادة الله ابا عبد الله يتزايد امره فر باهله وماله الى المشرق كما تقدم
 ولما اتصل الخبر بابي عبد الله ان زيادة الله هرب وكنان اذ ذاك سيفه ببلد
 سببته رحل منها وقدم بين يديه عروبة بن يوسف بن ابي خنيزر في
 الف فارس فارسلهم الى رقادة وامرهم ان لا يتعرضوا لاحد بمكرورة * فلما
 سمع اهل القيروان بذلك خرجوا الى ابي عبد الله وهنوه بالفتح ودخل رقادة
 يوم السبت اول رجب سنة ثلث وتسعين ومائتين * ولما حضرته
 الجمعة كتب كتابا لمخطيب رقادة وخطيب القيروان بما يقولان * ونقش
 على السكت من وجهه - بلغت حجة الله - وعلى الوجه الاخر - تغرقت اعداء
 الله - ولما استقام له الامر ومهد البلاد واجتمع باخيه ابي العباس استخلفه
 وخرج من رقادة في اول رمضان من سنة ست وتسعين وتوجه الى سجلماسة
 فاهتز له المغرب وخافته زناتة وقبائل العرب والبربر المخالفين له فطلبوا منه
 امانا * ولما قرب سجلماسة سمع به اليسع بن مدرار وكان عاملا لبني الاثلب
 وكان زيادة الله كاتبه يخبره بخبر المهدي وهو اذ ذاك في بلك فبعث الى
 المهدي وسأله عن حاله فانسكر وكان وصل الى بلاده في زي التجسس
 فتجاوز عنه ولما بلغه الخبر عن ابي عبد الله الشيعي امسك المهدي وسجنه
 فلما سمع ابو عبد الله بامساكه للمهدي كاتب اليسع وتلطف اليه فلم
 يغن عنه شيئا وخرج اليه اليسع فمات له ساعة من نهار وانهزم فدخل ابو
 عبد الله البلد واستخرج المهدي وذلك من السجن وقرب اليهما مراكب
 رائعة فركبا ومشى ابو عبد الله ووجه القبائل بين يدي المهدي وابو عبد
 الله يبكي من الفرح ويقول هذا مولاي ومولاكم وانزله في فسطاط اعد له
 ورحل ابو عبد الله في طلب اليسع فظفر به وقتله بعد ما طيف في العسكر
 وحسب بالسياط واقام المهدي في سجلماسة اربعين يوما ثم نهض الى
 افريقية وكان دخوله اليها في ازيد من مائتي الف بين فارس وراجل *
 وكنان ووصل المهدي الى رقادة يوم الخميس لعشر بقين من ربيع الاخر

سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل بقصر من قصورها وفرق باقيها والسدور على جميع الاجناد * وكتب الى جميع البلاد فاخذ البيعة وامر الخطباء ان يذكروا اسمه على المنابر واستبد بالامر ودون الدواوين وهو اول من تسمى بامير المؤمنين * وفي هذه السنة زالت دولة بني مدرار من سجالماسته الذين اخرهم اليسع بعد عاتين وستين سنة ودولة بني رستم من تيهوت بعد ثلثين ومائة سنة ودولة بني الاغلب بعد مائة واثنين عشرة سنة والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الورثين *

الخبر عن خلافة الامام المهدي

هو ابر محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم نقله ابن خلكان عن صاحب تاريخ القيروان وقال ابن خلكان وجدت في نسبه اختلافا * قلت للناس مذاهب في نسبهم والله سبحانه وتعالى اعلم ومولده بسملية وقيل بخراسان سنة ستين ومائتين واستقل بالامر سنة سبع وتسعين وكان جديلا مهيبا حسيبا عالما بكل فن عارفا بالسياسة والتدبير للملكة ولما تم له الامر باشر الامور بنفسه وبعث العمال وجبى الاموال واستعمل على صقلية ابا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشيعي * ولمسا استبد بالامر دخل ابا العباس الحسد واخذ في تغيير قلوب اهل الدولة وظهر الخبر والمهدي سر لذلك الى ان فشا بين الناس فتقسم المهدي على ابي عبد الله وعلى اخيه ابي العباس فقتلها سنة ثمان وتسعين ومائتين * وكان ابو عبد الله الشيعي يلبس الخشن من ثياب الصوف وياكل الخشن من الطعام ويظهر الزهد والورع وهو الذي بنى اساس بيت الفواطم في مملكة المغرب وكان كالباحث عن حقه بظلمه * واستقام الامر للمهدي وعهد له ولده ابي القاسم محمد ونفذت الكتب عنه بولي عهد المسلمين وصعد عليه صقلية فبعث اليها اسطولا وفتحها وبعث اليها عاملا من قبله * وخالفت عليه طرابلس فبعث اليها جيشا ففتحها واغرم اهلها ثلثمائة الف

وأربعين ألف دينار * وفي سنة ثلثمائة خرج بنفسه إلى تونس وقرطاجنة
يرتاد لنفسه موصعا يمنعهم لأن عنده خبر بوجع يخرج على دولته فوقع
اختياره على المهديّة فبناها وحصنها ولما مد الخيط على أول حجر من أساس
البلد أمر راميا فرمى بالقوس فأنتهى السهم إلى موضع المصلى فقال - إلى
هذا الموضع أي موضع السهم يبلغ صاحب الحمار - يعني أبا يزيد الخارجي *
وأمر بقياس مسافة الرميّة فبلغت مائتي وثلاث وثلاثين ذراعا فقال - هذا
مقدار ما نقيم المهديّة في أيدينا * وبعث ولده ولي العهد إلى مصر فملك
الاسكندريّة والفيوم وحاربهم عامل مصر فهزمهم ورجع إلى المغرب ثم رجع
أيضا سنة سبع وثلثمائة إلى المشرق فوقع الوباء في عسكرة فكرر راجعا
إلى المغرب * وفي سنة خمس عشرة خرج ولي العهد إلى المغرب وبلغ
إلى تيفيرت وأمر ببناء مدينته وسماها الحمدية وهي المسيلة وأمر عامله
أن يخزن من الأقوات بها ويستكثر منه * ولما دانت له العباد وصفت
البلاد عاجله حكامه ودنت أيامه وتوفي للنصف من ربيع الأول سنة
أنتشرين وعشرين وثلثمائة عن ثلاث وستين سنة * وكانت خلافته خمسا
وعشرين سنة رحمة الله عليه ودفن بالمهديّة وبلغت دعوتهم من برقة
إلى المغرب * وفي أيامه انقرضت الفراطيم الأدارسة عن المغرب ولم تكن
لهم قوة بعد ذلك * وكانت عماله بفاس وأعمالها إلى مدينته سبعة كانت
لبنّي أمية * وملك مدينته فاس سنة خمس وثلثمائة على يد قائده مطالته
وبأيامه صاحبها وسياثي أن شاء الله تعالى *

الخبر عن خلافة القائم بأمر الله أبي القاسم

نزار - وقيل محمد - بن المهدي

تولى بعهد من أبيه فقام مقام أبيه واتبع سيرته وجهز أسطولا وأمر
عليه علي بن اسحاق فسبى مدينته جنوة وبعث ميسور الفتى في مسكر
صخم إلى المغرب فبلغ إلى مدينته فاس * وفي أيامه ظهر أبو يزيد بن
كيداد الخارجي * ولندكر طرفا من أخباره - هو أبو يزيد مخلد بن

كيدان مولده يلد السودان واصل أبيه من مدينة نوزر وهو زناي الأصل
وأتى به أبوه إلى المغرب فتعلم القرآن العظيم وحافظ جماعته من النكار
فتعلم مذهبهم الخبيث * وكان يعلم أولاد المسلمين وكانوا يصدقون عليه *
ومذهبه تكفير أهل السنة واستباحة أموالهم * وسكن نقيوس ولزم بهما
مسجدا يعلم الأطفال * فكان يلبس جبة صوف وعلى رأسه قلنسوة صوف
وفي عنقه سحجة وكان يعتقد الخروج من السلطان وصارت له جماعة
يعظمونه ويسمعون منه وذلك في أيام المهدي ولم يزل على ذلك إلى أن
اشتدت شكيمته وقويت شوكتهم فنشر غاراته في بلاد البربر * وفي أيام
القائم عظم أمرة وأفسد البلاد وحصر باغاية وقسطيلية وفتح بجانة وهناك
أهدي له حمار أشهب كان يركبه وبه دخل أفريقية ونهب بلد الأربص
ففر الناس إلى جامعها فقتلهم فيه واقتض أصحابه فيه الأبقار وفعل بهم
ما لا يفعل مسلم * وأرسل القائم جيشا مع بشر الفتى لحراسة بلاد باجة
فسمع به أبو يزيد فرحل إليه وجعل كل ما مر على مكان أفسده وسبى
حريمه والتقى مع بشر فهزمه بشر أولا وعاود معه القتال ثانيا فهزم بشرًا وفر
بشر إلى مدينة تونس ودخل أبو يزيد باجة بالسيف وأباحها ثلثا وحرق
ديارها وسبى حريمها وبعث بالأطفال الرضع وفعل بأهلها العجائب فخافته
جميع القبائل وأتوه طوعا وكرها * وحمل الأخيصة والبنود وبعث جيشا إلى
بشر وهو بتونس فخرج إليه بشر بالتونسيين وهزمه * ووقعت فتنة بتونس
فكأنب أهل تونس أبا يزيد فأمهم وولى عليهم رجلا منهم ونزل أبو يزيد
بفحص أبي صالح * قلست هو الفحص المعلوم في زماننا قريب من بلد
زغوان واقتل مع الفتى بشر على هرقلة فانهزم عسكر أبي يزيد مرة أخرى
وقتل منه أربعة آلاف رجل وأسر خمسمائة فانفذهم إلى المهديّة فقتلوا
هناك * ورجع أبو يزيد فجمع جوعا آخر وانصرف إلى الحريرية بقرب
القيروان فاقتل مع طلائع الكتامين فهزمهم إلى رقادة * ونزل أبو يزيد على
أربعة أميال من القيروان ومن الغد نزل في شرقي رقادة في مائة ألف بين

فارس وراجل وزحف إلى القيروان فاقتتل مع أهلها فهزمهم * وأتى أبو
 يزيد إلى حاجل باب تونس من القيروان وركن بنوده * ودخلت البربر
 إلى القيروان فنهبوا وأفسدوا * ونزل بعد ذلك في رقادة وخرج شيوخ
 القيروان وطلبوا منه الأمان فقال - هلا طلبتم قبل اليوم - فاعتذروا له
 فمأطاهم وعسكره مع ذلك ينهبون في البلاد ويقتلون * فسأله ثانيا وقالوا له
 قد خربت القيروان - فقال لهم - وما عسى أن يكون خربت مكة وبيت
 المقدس مرتين - ثم امنهم بعد ذلك وأتاه الخبر أن عسكرا قادم عليهم من
 نحو القائم فنأدى في القيروان - من تخلف عن الجهاد معي حل دمه
 وماله - ففتر معه خلق كثير والتقى مع عسكر القائم بعد ذلك فكانت
 الهزيمة أن تقع على أبي يزيد ثم انتصر وملك الأحيية والغارات وهزم
 عسكر القائم حتى بلغ المهزومون المهدية فوجلت فلوب الناس إذ ذاك
 وانتقلوا من الرض إلى المدينة وأقام أبو يزيد في قيطنة ثمانية وستين
 يوما وهو يبعث سراية إلى جميع بلاد أفريقية والحصون التي بها على البحر
 وأخذ جميع ما فيها من اقوات وسلاح * وبعث جيشا إلى بلاد سوسة
 فدخلها بالسيف وحرق المنازل وسبى النساء وبذل بالناس بقطع الأيدي
 والأعضاء وشق فروج النساء وبقر بطونهن وفعل باهل سوسة ما لا تعلمه
 أعداء الدين ولم يبق بأفريقية منزل عامر * وفسرت الناس إلى القيروان
 حفاة عراة ومات أكثر اهل أفريقية جوعا ومطشا ونهب مدينة تونس
 وأخذ منها اثني عشر ألف خاوية زيتا غير الاموال والعبيد وقد مر خبرها
 في اول الكتاب * ونهب من غيرها من البلاد ما لا يحصى وجل ذلك
 البربر إلى بلادهم لان عامة جنده بربر * وكتب إلى قبائل البربر
 يحثهم على الجهاد إلى المهدية * وفي سنة ثلث وثلثين وثلثمائة أمر
 القائم بحفر خندق على ارباض المهدية * وانفذ الكتب إلى صنهاجة
 وكنامة يستفزهم إلى المهدية ويحرضهم على قتال أبي يزيد * وزحل أبو
 يزيد ونزل قريبا من المهدية ونهب ما حولها وخرج اليه حش الثائم

واقتتلوا معه فهزمهم وسار ابو يزيد الى الخندق المحدث بخاصته واقتتل
مع الحراس الذين هنالك فهزمهم * واقتحم ابو يزيد وسن معه البحر الى
ان وصل الماء صدور الدواب وجاوز السور وبلغ الى مصلى العيد ولم يبق بينه
وبين المهديّة الا رمية سهم واصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ثم قويت نفوس
اهل المهديّة وتحاموا واقتتلوا قتالا شديدا فازالوا ابا يزيد واصحابه من البلد
ورجع ابو يزيد الى مقيطته وامر بحفر خندق على عسكرة واتته جميع القبائل
من طرابلس وقابس ونفوسة والزاب واقاصي المغرب * وحاصر المهديّة
اشد حصار ومنع عنها الداخل والخارج وزحف اليها مرة اخرى وكان بينهما
حرب شديد مات فيه وجوه عسكر القائم وزحف اليها مرة ثالثة فكان
بينهما الفناء لاعظم فانتصر فيه عسكر القائم وانهزم ابو يزيد وقتل من
اصحابه خلق كثير ورجع الى موضعه مخزيا * وزحف اليها المرة الرابعة
فكان بين الفريقين القتال الشديد * واشتد الغلاء في المهديّة وخرج منها
عالم عظيم من شدة الجوع * فعند ذلك فتح القائم خزائن الطعام المدخرة
عنه من عهد ابيه ففرقها في جندة وعبيده * وعظم البلاء على الرعية حتى
اكلوا الميتة والدواب والكلاب * وفر غالب اهل البلد حتى لم يبق مع
القائم الا جندة * والبربر كل سن وجدوة في الطريق شتوا بطنه لئلا يكون
فيها ذئب وفعلوا بهم من المنكرات ما لا يحل * وكذب القائم سلك كذامة
واستفزههم وفي اثناء ذلك تفرقت عساكر ابي يزيد لاشتغالهم بالنهب
ولم يبق معه الا اليسير فعلم القائم بذلك فتأهب للخروج لابي يزيد
فخسرج عسكرة والتقى مع ابي يزيد فتناوشوا الحرب ساعة ورجع كل الى
موضعه واتصلت بينهما مدة وقائع والحرب تارة وتارة * ودخلت سنة اربع
وثلاثين وثلاثمائة وقع فيها اختلاف في عسكر ابي يزيد فتفرقت جوعه ولم
يبق معه الا ثلثون رجلا فرجع الى القيروان واسلم ما كان معه * فخرج الناس
من المهديّة ونهبوا ما خلفه فصاحت حالهم ورخصت اسعارهم واخذوا جميع
ما خلف من طعام وامتعتة واخبيته وفازات وفيه ذلك * ولمسا وصل هوا

يزيد القيروان نزل بالقصر ولم يخرج اليه من اهل البلد احد والصبيان
يسخرون به ويضحكون منه * وبلغ القائم خبره فبعث عمالا الى البلاد
واخرجوا اهل ابي يزيد وتسامعت الناس انه هزم * ثم تقوى عزمه مرة
اخرى وانتقم البرابر من كل فيه فبعث عسكريا الى تونس فدخلها بالسيف
يوم السبت امشر خلون من صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانتهبوها
وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد * ولجسا كثير من
الناس الى البحر فماتوا غرقا ودخل غيرهم قناة قرطاجنة فماتوا جوعا * وبعث
القائم عسكريا الى تونس فالتقى بعسكر ابي يزيد عند وادي ميان فاقتتلوا
فانهزم عسكر القائم ولجأ الى جبل الرصاص واعادوا القتال ثانيا فانهزم
اصحاب ابي يزيد ورجع عسكر القائم الى تونس فنهب وقتل من بها من
النكار الخوارج واخذ لهم نحر ثلثة آلاف حمل من الطعام وذلك يوم
الاثنين خمس خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة ورجع الى المهديّة *
ولما سمع ابو يزيد بهذا الخبر جمع جيشا عظيما وزحف به الى تونس
فقتل من عاد اليها من اهلها واحرق ما بقي منها وتوجه الى باجة ففعل
بها كذلك * وكان بافريقيته من السبي والهرج ما لا يوصف
ولما وصل سبي تونس الى القيروان وثب الناس فانتزعوا السبي من ايدي
البرابرة وانتدب جمعا اخر فاجتمع له عدة اقوام ورجل الى سوسة وحاصرها
في جمادى الاخرة سنة اربع وثلاثين ومعه من البربر سبعة وثمانون الفا *
واقسام على سوسة الى ان فوض القائم الامر الى ولده المنصور وجعله ولي
عهده في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة * وفي شوال من السنة
المذكورة توفي القائم بامر الله وتولى ولده المنصور الخلافة *

الخبر عن خلافة المنصور بالله

ابو الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم نزار بن الامام المهدي
بويج بعد وفاة ابيه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ولما توفي والده حكمته موثمة
وبذل المال للجند وكان شجاعا قوي الجاش فصيحاً مفوها يرتجل الخطبة

ولما استوفى له الأمر جد في قتال أبي يزيد وخرج في طلبه فزاله من مدينة
سوسة بعد عدة واقعات. وانهزم أبو يزيد إلى القيروان فمنعه أهلها من الدخول
وقتلوا من دخل اليهم من أصحابه والتحق به المنصور إلى القيروان وكانت
بينهما عدة وقائع والحرب سجال * وبعده انتصر المنصور بالله وهزم أبا
يزيد إلى المغرب وأسر عدة وقائع جرت بينهما هنالك ومات أبو يزيد
بعد أسره بأربعة أيام آخر الحرم سنة ست وثلثين وثلثمائة فلما مات سلخ
جلده وملاء قطناً وبعث بالبشائر إلى جميع صاله وقفل إلى إفريقية ولما
وصل القيروان خرج إليه الناس وهنو بالفتح وأظهر لهم أبا يزيد ووضع على
كتفه قرناً وطيف به في الناس ثم حل إلى المهديّة وصلب على السور
إلى أن نسفته الرياح * وبني المنصور مدينة المنصورية بأزاء القيروان فقالوا
بهذا النصر ورجع إلى المهديّة وأقام بها إلى أن مهدها ورجع إلى قصره
بالمنصورية ولم يظهر وفاة أبيه إلا بعد ظفرة بابي يزيد وهنالك تسمى بأمير
المومنين * وفي أيامه أطاع زبري بن مناد وخدم بني عبيد هو وبنوه من
بعده وفي سنة ست وثلثين بعث المنصور إسماعيل بن الحسن بن علي بن
الحسين عاملاً على صقلية ودامت ولايته إلى سنة ثلث وخسين وثلثمائة
وبقيت في عقبه وفي سنة أربعين بعث المنصور اصطولا عظيماً إلى صقلية
لأنه سمع بملك الروم عازماً على الحركة إليها وتوفي رحمه الله يوم الجمعة
آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وعمره أربعون سنة وولايته سبع
سنين وثمانية عشر يوماً وكان أكد بالعهد لولده أبي تحيم معد ودفن بصبرة
في قصره رحمه الله تعالى * وكان له موافق مشهورة مع أبي يزيد
وباشر القتال فيها بنفسه وكادت تكون الدائرة عليه مراراً حتى لولا لطف
الله به وثبات جاشه وكان أبو يزيد قد استولى على جميع بلاد إفريقية
حتى لم يبق للقيروان إلا ما كان له من المهدية * ولما مات أبوه وأبو يزيد محاصر
له أخفى موت أبيه وهو يدبر الأمور ولم يظهر موت أبيه إلا بعد ظفرة بابي
يزيد الحبش وكانت أيام أبي يزيد أزيد من ثلثين سنة دمر فيها غالب

الأقليم الأفريقي * والمنصور رحمه الله تعالى أربى عن أبيه وجده في الصبر وقوة الجأش والمخاض بالأدب * فسسال أبو جعفر المورودي خرجت مع المنصور يوم هزم أبي يزيد فسايرته وبيده قضيب ويحان فسقط من يده فمسحته وناولته آية وتفاءلت له وأنشدته

فأثقت مصاعها واستقر بها النوى كما قرعنا بالأياب المسافسر
فتسال - ألا قلت ما هو أحسن من هذا وأصدقى فالقى موسى عصاه فإذا هي تلقى ما يافكون - فقلت أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما عندك من العلم وأنا قلت ما عندي * وكان موته من أرق أصابه فعالجه طبيبهم اسحاق بن سليمان الأسرائيلي ونهاله عن دخول الحمام فلم يقبل منه ودخل الحمام فيبست الحرارة الغريزية ولازمه السهر والطبيب ملازم على معالجه والسهر باق على حاله فلما اشتد أمره سال عن طبيب غيره فأنزه به فشكا إليه حاله وولته النوم فعالجه بما ينال به فمات رحمه الله *

الخبر عن ولاية العز لدين الله

أبو تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر اسماعيل بن القاسم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده بالمهدية سنة تسع عشرة وثلثمائة وبويع بعهد من أبيه في حياته وجددت له البيعة بعد وفاة أبيه في شوال وقيل في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة فهدى الأمور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها وفي اليوم الأحد سابع ذي الحجة جلس على سرير ملكه ودخل إليه الخاص والعام وسلموا عليه بالخلافة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة * وكان المعز عالما فاضلا جوادا سمحا شجاعا جاريا على منتهاج أبيه من حسن السيرة وأنصاف الرعية وفي سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة رحل المعز إلى المغرب ومعد إلى جبل أوراس وجالت فيه خيولهم وقاتل من به من العصاة حتى أطاعوا له وشد إلى مولاه قيصر بولاية المغرب كله وعلى أشهر زيري بن مناد الصنهاجي وعلى المسيلة

واعمالها جعفر بن علي بن جندون المعروف بابن الاندلسي وعلى باغاية
واعمالها نصير الصقلي وعلى فاس احمد بن بشكر وعلى سجلماسة
محمد بن واسول وقد عصى فيها بعد وتلقب بالشاكر لله وعلى قابس بن عطاء
الله الكتامي وعلى مدينة سرت باسيل الصقلي وعلى اجدابية ابن كافي
الكتامي وعلى برقة واعمالها افلح الناسب وعلى خراج افرقية صولت
الكتامي واستوفت له امور البلاد كلها وهاداه ملك الروم * وفي سنة خمس
واربعين وثلاثمائة ارتفعت رتبة جوهر الكاتب وصار في رتبة الوزارة وجعل
مظفر الصقلي على اعنة الخيل وتحت يده من رقادة الى اعمال مصر يدبرها
ويجي اموالها * وفي سنة سبع واربعين وثلاثمائة في صفر بعث مسكرا
ضخما روى عليه غلامه جوهر المذكور وكان جوهر رجلا حازما وامره ان
ياخذ من كل بلدة عددا معروفا فخرج جوهر بامم لا تحصي فدخل مدينة
افكان فنهبها وامر بهدمها وسار الى مدينة فاس وحاصرها فلم يفتحها ورحل
الى سجلماسة واسر صاحبها محمدا وكان قد خطب لنفسه وتسمى بالشاكر
لله ثم مضى لا يدافع احد له ان بلغ الى البحر المحيط وامر بصيد السمك
وجعله في قماقم بالماء وارسله الى مولاه المعز وكتب اليه كتابا وجعل فيه
من صريع البحر ورجع الى فاس فنزل عليها وحاصرها وفتحها واخذ صاحبها
وقيده وجعله مع صاحب سجلماسة وجعل لهما قفصين من خشب وجعل
كل واحد في قفص وجعلهما على الجمال وقفل الى افرقية بعد ما دوح المغرب
وخطب لمولاه في سائر بلاد المغرب ما عدا سبتة وكانت غيصة ثلثين شهرا
ووصل الى المنصورية فطيف بصاحب فاس وصاحب سجلماسة في البلد
وسجنا واستوثق المعز البلاد ودانت له العباد ولم يبق بلد الا اجتمعت فيه
دعوتهم ودخل تحت طاعته الشواطم الذين في أقصى المغرب وبعث الى
صقلية الحسن بن عمار بن علي بن الحسين وتوفي بها سنة ثلث وخمسين
وثلاثمائة وبعث المعز الى ولد احمد بن الحسين بولاية صقلية وفي سنة
اربع وخمسين خرج المعز مستشرفا على البلاد ومنعزها وبلغ الى تونس وقرطاجنة

ورأى عجائبها ثم ارتحل إلى غيرها وأقام ثمانين يوماً في غيبته ثم رجع إلى المنصورية * قلت وهي المعبر عنها بصبرة إلى زماننا هذا * وفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة أمر بحفر الآبار في طريق مصر وإن يبني لهم في كل موضع قصر وفي آخر جادى الثانية من السنة المذكورة جاء الخبر بوفاة كافور صاحب مصر وفيها وجه مولاة جوهر إلى المغرب في عسكر عظيم فهدد البلاد وحشد سائر الأجناد وقبائل كتامة وجبى ما على البربر ورجع إلى مولاة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وخرج المعز بنفسه إلى المهديّة وأخرج من قصور أبيه خمسائة حل دنانير ورجع إلى قصرة وأما كان في يوم السبت لاربع عشرة خلون من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة رحل القائد جوهر في عسكر عظيم من البربر وكتامة والزويليين والجدد بعد ما وسع المعز عليهم بالارزاق والعطايا وانفق فيهم مالا جزيلاً وأعطى من ألف دينار إلى عشرين ديناراً حتى عمهم كلهم بالعطاء * وسار القائد جوهر في عدد يقصر عنه الوصف ومعه ألف رجل من المال وأما الخيل والعدد والسلاح فلا تحصى * ودخل جوهر إلى مصر يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاة المعز * وفي النصف من رمضان وصلت النجيب بالبشارة إلى المعز وصورة الفتح فعمه السرور وصار في كل وقت تصل إليه كتب القائد جوهر يحثه على الرحيل إلى مصر وإن الشام والحجاز تحت طاعته وقامت له الدعوة في تلك البلاد * وفي سنة ستين وثلثمائة وصل جعفر بن القائد جوهر بهديّة من عند أبيه وفيها من أواني الذهب والفضة والعماريات والسروج المحلات وأعمال الامتعة وصنوف الثياب وظرائف المشرق وذخائر الملوك ما لا يوصف ومعه القواد الذين حكم عليهم جوهر عند تملكه مصر فاقبل عليهم المعز وعفا عنهم وجلس لهم في زي عجيب وجعل التاج على رأسه ودخلوا عليه فسلم عليهم ولطفهم وأكرمهم غاية الأكرام * وفي شوال سنة إحدى وستين غزم على المسير إلى مصر ورحل من المنصورية

واقام بسردانية ولحقه عماله واهل بيته وجع ما كان له في قصوره وسكان
مقامه بسردانية اربعة اشهر وسردانية قريبة من القيروان وكانت قصورهم
وبساتينهم بها * وفي اول صفر رحل منها واطلق النار في زربها ولما حاذى
صبرة قال - سلام عليكم من مودع لا يرد ابدا * وخلف على افريقية
بلكين بن زيري الصنهاجي وكتب له بولاية المغرب كله وسياتي
خبره بعد ان شاء الله تعالى وكان بلكين فارقه من عمل قابس ورحل المعز
من قابس يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول من السنة المذكورة ودخل
طرابلس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من الشهر ورحل عنها يوم السبت
لثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني فوصل الى سرت في الرابع من جمادى
الاولى ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له باجدابية ورحل من اجدابية
فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة وتم في سيرة منها الى ان وصل
الاسكندرية فنزل تحت منارها واتاه اهلها فسلموا عليه ولما دخل عليه
قاضي الاسكندرية سلم عليه ولم يسلم على ولي هذه فقال له المعز يا قاضي
هل حججت قال نعم يا امير المؤمنين فقال له هل سلمت على الشيخين قال لا
فقال له ولما ذا قال شغلي السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
شغلي السلام على امير المؤمنين حين لم اسلم على ولي هذه فاصعب المعز
منه * وساله مرة اخرى فقال له هل رايت خليفة قط قال واحدا يا امير
المؤمنين فقال له ومن هو قال انت والباقون ملوك فسر بكلامه ودخل
الاسكندرية ومضى في منازلها ودخل الحمام بها * ثم رحل عنها ووصل الى
مصر يوم السبت لليثين مصفا من شهر رمضان واقام هناك ثلثا واخذ العسكر
في التعدية باثقالهم وانزل الناس في مصر والقاهرة وغالب العسكر في الفازات
والمنابر بين مصر والقاهرة ، والقاهرة هي التي بناها القائد جوهر لاجل العسكر
لما ضاقت بهم مصر فسميت باسم استاذة المعز فيقال القاهرة المعزية وهي
التي فيها القلعة والجامع الازهر ومصر في ذلك الوقت هي مصر العتيق الآن
ويقال لها الفسطاط بنيت في زمن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه

وامسا مصر فرعون فيقال لها منى والله اعلم * ويوم الثلاثاء الخامس خاويون من رمضان ستة ائتين وستين وثلاثمائة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وتلقاه القائد جوهر عند الجسر الثاني فترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه ولما دخل القاهرة دخل القصر الذي كان معدا له فدخل مجلسا وخر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وفي العشر الاخيرة من المحرم سنة اربع وستين عزل المعز القائد جوهر عن دواوين مصر وجباية اموالها وكان في المعز عدل وانصاف وكان ينظر في النجوم * والمعز لدين الله هو آخر الخلفاء العبيديين بالمغرب واول الخلفاء منهم بمصر واسكن الجند بالقاهرة واقتسموا منازلها وسكنت كل طائفة بمكان معروف بها فيقال حارة زويلة الى يومنا هذا ينسب اليها باب زويلة من اجل الزويليين سكنوا هناك وحارة ككتامة والبرقية وعدة حارات بها باقية الى اليوم باسمائها وتوفي المعز لدين الله بمصر في سابع عشر ربيع الاول سنة خمس وستين وثلاثمائة وعمره خمس واربعون سنة وقيل ست واربعون وكانت خلافته ثلثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وايام مقامه بمصر ستان وتسعة اشهر وبقيتها ببلاد المغرب * وسبب موته ان ملك الروم ارسل اليه رسولا عدة مرار وتردد اليه بافريقية ومصر فخلا به بعض الايام وكان اسمه نكولته فقال له المعز لدين الله اذكر اذ اتيتني وانا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي بمصر وانا ملك عليها قال نعم فقال له وانا اقول لك لان لتدخلن علي ببغداد وانا خليفة فقال الرسول ان امتني على نفسي ولم تغضب اقول لك ما عندي فقال له قل ما عندك وانت عاين قال بعثني اليك الملك ذاك العلم فوصلت الى صقلية فالتقني علامك بجيشه فرايت منه العجب ثم جئت الى سوسة فرايت بها من جندك وخصامته ما اذهل عقلي ثم سرت الى المهديّة فما كدت اصل اليك من كثرة اجنادك وخدمك وكثرة اصحابك فكدت اموت ووصلت الى قصرك فرايت نورا غطي بصري ثم دخلت عليك وانت على سريرك فرايت عظمتك فظننتك خالقا لا مخلوقا فلو قلت

لي اذكّ تعرج الى السماء لتتحقق ذلك ثم جئت اليك لان فما رايت من ذلك شيئا ولما اشرفت على مدينتك هذه كانت في مني سوداء مظلمة ثم دخلت عليك في قصرك فما وجدت عليك مهابة مثل ذلك العام فقلت ان ذلك كان مقبلا وانه لان بعد ما كان عليه فاطرق المعز رأسه وخرج الرسول من عنده واخذت المعز الحمى لشدة ما وجد وثقل مرضه وانصل به حتى مات رحمة الله عليه وعهد لولده ابي منصور نزار الملقب بالعزیز بالله *

الحسبر عن خلافة العزیز بالله

ابو منصور نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله ابي القاسم محمد بن المهدي حيد الله مولده يوم الخميس رابع شهر المحرم سنة اربع وأربعين وثلثمائة بالمهدية وولي الأمر بعد وفاة ابيه في ربيع الاخير سنة خمس وستين وكان شجاعا حسن العهد اديبا فاصلا خطب له بمصر والشام وافرقيشة وفتح حصن وجا وحلب والموصل وخطب له باليمن وكان استناب بالشام يهوديا اسمه ميسما وامتنع عيسى ابن نسطور النصراني فاعتز بهما النصارى واليهود * فكتب اهل مصر قصة وجعلوها في يد شمال من قراطيس وفيها - بالذي اعز اليهود بميسما والنصارى بعيسى واذل المسلمين بكث الا ما كشفت ظلامتي - فلما رأى الرقعة امر باخذها وقراها فعلم ما اريد بذلك فقبض عليهما واخذ من ابن نسطور ثلثمائة الف دينار ومن اليهود شيئا كثيرا * وصعد المنبر يوما فرأى ورقة مكتوبا فيها بالظلم والجور قد رصينا * وليس بالكفر والحماقة

ان كان ما تدعيه حقا * بين لنا كائب البطاقة

لان العزیز كان يدعي علم الغيب وذلك انه كانت له عجائز يسرقن الاخبار من الدور ويأتين بها فكان يقابل الناس ويقول ما بال احدكم قال كذا وفعل كذا فيشوه السامع ويظن ان ذلك من سر اعطيه ويزعم هو انه يعلم الغيبات ولا يعلم الغيب إلا الله * وكان خليفته بافرقيشة خليفته ابيه بلكين ووزيره يعقوب بن كلث كان يهوديا واسلم وكان

من عجائب الدهر وخبره مشهور في غير ما موضح وأولا الاختصار لذكرنا جميع أخباره * وكتب العزيز بالله إلى الحاكم صاحب الأندلس كتابا يسبه فيه فاجابه الحاكم قد عرفنا فهجوتنا ولو عرفناك هجوناك يعني به أنه دعى في نفسه وقبل أن الحكاية بالعكس والله أعلم بذلك ومات بمدينة بليس من أمراض لحقت به النقرس والثلونج وله من العمر اثنتان وأربعون سنة في ثامن شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة رحمة الله تعالى عليه *

الخبر عن خلافة الحاكم بامر الله

أبو علي منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله بن القائم بامر الله بن المهدي عبيد الله مولده ثالث ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ست وثمانين وثلثمائة وعشرة سنين وقيل إحدى عشرة أخذ له البيعة برجوان خادم أبيه وكان خصيا أيضا اللون وهو الذي دبر دولة الحاكم بامر الله وبالع في النصيحة له وقتله الحاكم بعد ذلك ورجوان له بمصر حارة مشهورة إلى يومنا هذا يقال لها حارة برجوان * وكان الحاكم متناقض لخلق بامر بالشيع ثم ينهى عنه وأخباره في ذلك مشهيرة وكان سفاسكا للدماء قتل عددا كثيرا من أهل دولته ومات في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة وعشرة سبع وثلثون سنة وأيام خلافته خمس وعشرون سنة * وقيل أن أخيه دبر في قتله لأمور ظهرت منه فامرت سن اثنائه وكان ينفرد بنفسه ويركب جارية ويطوف في الأسواق ويقوم الحسبة بنفسه * فاتفق ركوب الحاكم إلى جبل جلوان وكان قد كمن له فيه سن قتله هناك وأتوا به إلى أخيه سرا فدفنته وكان بعض شيعته من المغاربة يزعمون أنه يعود فكانوا إذا راوا سحابة في الجو سجدوا لها زحما منهم أنه في السحاب * وقيل أنه أراد أن يدي الألوهية - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - وأخذت اخته البيعة إلى ولده أبي حاشم علي الظاهر لأعزاز دين الله *

الخبر عن خلافة الظاهر لاعزاز دين الله

أبو حاشم علي بن المحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر اسمعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده في رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة بويج له يوم عيد النحر سنة عشر وأربعمائة وكان جيل السيرة حسن السياسة منصفا للربعة يحب الدعوة والراحة * وفي أيامه طمع من طمع في أطراف بلاده وتضعفت دولته ومات في منتصف شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة وأيام خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام وبلغ عمره ثلثا وثلاثين سنة وقام بالأمر بعده ولده المستنصر بالله أبو تميم *

الخبر عن خلافة المستنصر بالله

أبو تميم معد بن الطاهر لاعزاز دين الله بن المحاكم بأمر الله مولده بالفاعرة المعزية سنة عشرين وأربعمائة بويج بعد وفاة أبيه في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أجداده منها الغلاء الذي وقع في أيامه حتى أكل الناس بعضهم بعضا * ومنها أنه خطب له ببغداد سنة ولم تكن لغيره قبل وذلك سنة خمس وثلثين * ومنها قيام الطليحي باليمن وخطب له على منابرها * ومنها أنه لم تزل دموتهم بالمغرب من أول أمرهم إلى أيامه قطعها المعز بن باديس الصنهاجي وسياقي خيرة * وخطب له بالكوفة وواسط والموصل * ومنها أنه ولي وهو ابن سبع سنين وأقام في الخلافة ستين سنة وهذا شيء لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس * وأقام الغلاء في أيامه سبع سنين حتى توجهت أمه وبساته لبغداد من شدة الجوع وبيع الرشيف الواحد بخمسين دينارا وكان في هذه الشدة يركب وحك وحاشيته مترجلون وربما استعار دابة يركبها صاحب المظلة من عند كاتب الأشياء ابن هبة الله وقاسي شدائد واستوزر بدر الجمالي وحسنت أحواله فيما بعد وكانت وفاته في ثامن عشر ذي

الهجرة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وسموه ثمان وستون سنة وهو أطول
العبيديين مدة وأقام بالامر من بعده ولده المستعلي بالله *
الخبر عن خلافة المستعلي بأمر الله

أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم
بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله أبي الطاهر بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده سنة ثمان وتسعين وأربعمائة
بالقاهرة ولي الأمر بعد أبيه سنة سبع وثمانين وأربعمائة ولم من العصر
أحدى وعشرون سنة * وفي أيامه أخذ لأفرنج أنطاكية والمعدة والقدس
ورهن دولتهم ولم يكن له مع الأفضل ابن أمير الجيوش حكم وأنه طعنت
دعوتهم من بلاد الشام وتغلب عليها لا تترك ومات في صفر سنة خمس
وتسعين وبلغ عمه تسعا وعشرين سنة وكانت خلافته ثمانين سنين وأياما
واستخلف بعده ولده أبو علي *

الخبر عن خلافة الأمر بأحكام الله

أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله
أبي تميم معد بن الظاهر لأعزاز دين الله أبي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله
أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي
تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم
محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله مولده في المحرم سنة تسعين وأربعمائة
ببيع له بالخلافة سبع عشر سنة وخمس وتسعين وهو ابن خمس سنين
ولم يقدر على الركوب وحده لصغر سنه ودبر دولته لأفضل ابن أمير
الجيوش * ولمسا اشتد الأمر بأحكام الله قتل أمير الجيوش المتقدم ذكوره
والأفضل هذا لقبه شاهنشاه واسمه أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي
الأموي قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة * والأمر هذا كان قبسبح السيرة ظلم
الناس وأخذ أموالهم وشكك الدماء وأرتكب القبائح * وفي أيامه ملك
العدو كثيرا من بلاده ومات سنة أربع وعشرين وخمسمائة في صفر ولم

يكن أعرق منه نسباً في خلافة العبيديين لأنه العاشر في الخلفاء على نسق واحد أباً عن جد وتوفي قتيلاً أيضاً وتولى الخلافة بعده ابن عمه الحافظ لدين الله *

الخبر عن خلافة الحافظ لدين الله

هو أبو اليمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لاصراز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي مولده سنة سبع وستين وأربعمائة وتولى يوم قتل ابن عمه في صفر سنة أربع وعشرين وخمسمائة وطلب على أمه أبو علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش الجمالي وبقي الحافظ صورة معه من تحت حكمه وحبسهم وأخر الحال دس الحافظ على الوزير فقتله وأحد من الخاصة فبادر الأجناد إلى الحافظ وأخرجوه من السجن وبايعوه مرة أخرى * وكان الحافظ ملازمه مرض القولنج فصنع له شيرماه الديلمي طبل القولنج وكان مركباً من المعادن السبعة والكواكب السبعة في أشرافها فإذا ضرب به صاحب القولنج خرج منه ريح متباعدة فيستريح * وهذا الطبل وجده صلاح الدين في خزائنها عند تملكه الديار المصرية * ومات الحافظ في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وخمسمائة فكانت خلافته عشرين سنة وله من العمر بضع وسبعون سنة وتولى بعده ولده اسماعيل بوصية من أبيه وتلقب بالظاهر بالله *

الخبر عن خلافة الظاهر بالله

أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي اليمون عبد المجيد بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله مولده منتصف ربيع الأول سنة سبع وستين وخمسمائة ببيع بالامر بعد أبيه وقتل في نصف الحرام سنة تسع وأربعين لاشياء أضر بنا فيها لأجل الاختصار وهي مشهورة في كتب التواريخ وببيع ولده أبو القاسم عيسى وتلقب بالظاهر بنصره الله *

الخسبر عن خلافة الفائز بنصر الله

أبو القاسم عيسى بن الظاهر بالله بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله بويج بالخلافة يوم قتل والده في المحرم سنة تسع وأربعين وخسمائة وله من العمر خمس سنين ولما أراد الوزير مبايعته أدخل الجند وقال هذا ابن مولاكم فبايعوه * وكان الوزير هو الذي قتل أباه فلما رآه الأجناد صجروا بالبسكاء في وجهه الثأنز وكان على كتف الوزير ففرع الطفل من ذلك وصار يعثر به الصرع والاضطراب إلى أن مات في رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة وهو ابن عشر سنين فكاثت خلافته خمس سنين رحمة الله تعالى عليه *

الخسبر عن خلافة العاصد لدين الله

أبو محمد عبد الله العاصد بن يوسف بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله مولده سنة ست وأربعين وخسمائة بويج بعسد وفاة الثأنز بنصر الله في رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة واستولى على وزارته الملك الصالح طلائع بن رزيك فكان العاصد كالمنجور عليه * وكان رافضيا خبيثا * وفي أيامه دخل شاور بالغز من الشام وقتل طلائع ومات قتيلًا في أثناء ذلك شاور على يد أسد الدين شيركوه أرسله نور الدين إلى مصر وبعده تولى الوزارة ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب بن شادي وتمكن من المملكة وبقي معه العاصد صورة إلى أن خلفه * وخسب في حياته لبني العباس والخليفة العباسي في ذلك الوقت الامام المستضيء بأمر الله في بغداد وذلك في حياة العاصد وكان مريضًا فلم يعلم بشيء من ذلك ومات يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخسمائة وأنقرصت دولتهم من مآثر البلاد فسبحان من لا يفنى ملكه * قال ابن خلكان سمعت من أهل الديار المصرية أن العبيديين

في اول امرهم قالوا لبعض الكتاب اكتب لنا القابا تصلح للخلفاء حتى اذا ماتولى احد خليفته لقب بشي منها فكتب لهم ورقة فيها عدة القاب وآخرهم العاصد فكان هذا العاصد و آخر خلفائهم * وكانت ايامهم مائتي سنة وستين سنة منها في مصر مائتا سنة وثمان سنين واثنان وخمسون سنة بالمغرب وعدة خلفائهم اربعة عشر خليفته اولهم المهدي و آخرهم العاصد * ومما اطلنا الكلام عليهم الا لا ارتباط اخبارهم وانعام الفائدة وانما غرضنا ان نذكر من ملك افريقية لا غير * ولما كان اول ملكهم بافريقية وكان ظهورهم بالخلافة منها ورحلوا عنها للديار المصرية جذبنا مسافة الاخبار عنهم الى نهاية ايامهم ولولا خيفة التطويل لانينا من اخبارهم بما فيه الغرض واخبارهم مطولة في غير هذا * ومنه سمعنا من صحيح نسبهم واثبتهم ومنهم من ذم فيهم ورفضهم ولا يعلم الغيب الا الله وبقيت لنا نبذة من اخبارهم فانتي بها في آخر الفصل الذي بعد هذا في محله ان شاء الله تعالى *

الباب الخامس

في الامراء الصنهاجيين

هذا الباب نذكر فيه ملوك صنهاجة وان كانوا في الحقيقة عمالا لبني حيد فانهم بلغوا درجة الملوك وكانت لهم هخامة وصيت وغالب اهل تونس لا يتحققون ولايتهم وانا استغفر الله اقول ان ايامهم ودولتهم اقوى من دولة بني حفص الا ان بني حفص خطب لهم بامراء المؤمنين ولم يخطب لصنهاجة بهذا الاسم وزادت ايامهم على مايتي سسنة واستقلوا بالامر في افريقية حين سار المعز لدين الله الى مصر فاستعمل على عمله ابا الفتح يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وصنهاجة قبيلة من البربر وقيل صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حيسر وان الملك افريقس بن وائل بن حير وقيل افريقس بن ابرهة بن ذي القرنين لما ملك حيرا وغزا المغرب وبني مدينة افريقية خلف فيها من قبائل حير وزعمائهم

صنهاجة وقدمهم على البربر ليدبروا امورهم وياخذوا خراجهم وقيل صنهاجة ابو صنهاجة بن حصين بن سبا لصلبه وقيل هم فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حير وصنهاجة تنقسم على سبعين قبيلة منهم لثونته الذين ملكوا بلاد المغرب وسياتي من اخبارهم شيء ان شاء الله تعالى وفي هذا القدر كفاية *
 واول اتصال زيري بالمصور لما دخل المغرب في طلب ابي يزيد الخارجي ودخل بلاد صنهاجة سنة خمس وثلاثين وثلثمائة هناك وافاه زيري بعساكره واهل بيته ودخل في طاعته فخلع عليه ووصله بصلته ونصب له فارة وقلع سيفا وعقد له على اهل بيته ومن اتصل به من اهل صنهاجة والبربر وعظم شأنه وحضر مع المعز لدين الله عند دخوله المغرب سنة اثنتين واربعين وثلثمائة واستعمله على اشير وما والاها وكان حازما شجاعا شديد البأس وحضر مع جوهر لما دخل المغرب في سنة ست واربعين وثلثمائة على فاس وجوهر محاصر لها فكان زيري سببا لفتحها فزادت رتبته في الدولة وزاده جوهر ولاية تبهرت فضمها الى عمله واتسعت ولايته. وكان بينه وبين جعفر ابن علي المنعوت بالاندلسي وكان عاملا على المسيلة صفائح في النفوس بسبب الولايات * وجعفر هذا ابو الذي بنى المسيلة وانضاف الى جعفر عمل الزاب من بلاد المغرب . وكان طائعا للدولة العبيدية وبخطب لهم في بلاده وكان يعد من الملوك * ولما عزم المعز لدين الله على الشوجه الى الديار المصرية شاع بين الناس ان المعز يريد ان يستخلف يوسف بن زيري على جميع بلاد افريقية فعظم ذلك على جعفر بن الاندلسي واتفق ان المعز ارسل الى جعفر يامره بالقدوم اليه وكرر ذلك مرارا فاطهر جعفر انه قاصد له فخرج من المسيلة وفر الى زناتة فقبضوه وملكوه على انفسهم فخلع طاعة المعز فلما بلغ الخبر الى زيري بادر بالخروج الى جعفر في عدد من صنهاجة فالتقى معه وحكاه وقعة عظيمة فكبا بزيري فرسه فقتل ومات قتلا مة خلق هظيم . وبعث جعفر بن علي اخاه يحيى الى الاندلس والخليفة بها المحاكم الاموي يبشرة بقتل زيري * ولما علمت زناتة ان يوسف بن

زيري يطالبهم بدم ابيه اصبرث الغدر لجعفر وهزموا على امساكه فلما احس بذلك فر الى الاندلس باهله واولاده فقبله الحاكم واجرى عليه الوظائف السنية وبقي عنك في املى مكان مدة ثم تقم عليه الحاكم ونكبه ثم افرج عليه بعد ذلك وماد الى رتبته ولم يزل هنالك الى ايام الوزير ابن ابي عامر فقتله سنة سبع وستين وثلثمائة وبعث براسه الى بلكين * وكان زيري المذكور حسن السياسة والتدبير في الرهبة والتشديد على البرابر ما راى الناس مثل ايامه في المغرب واقام على حسن السيرة ستا وعشرين سنة * ولما مات كما ذكرنا وبلغ الخبر الى ذلك بلكين وهو باشير وكان هو المقدم عند معد يعظمه على جميع اخوته جمع اهل بيته وعبيد واختار من جنك سن احب وخرج طالبا لثارا يمه ، فادرك زناثة وكانت له فيهم فتكات فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم واعفاهم واجلهم من البلاد * فبلغ الخبر الى معد فسر ما فعل وارسل اليه يامره برد السبي والقدوم عليه فقدم على المعز بعد ما استخلف على عمله سن يثق به ومهد قواعد بلاده ونفذت كتبه الى عماله بـ من يوسف بن زيري خليفة السلطان * ولم يترك في المغرب عند احد من البرابر فرسا ولا جلا ولم يترك الا سن يحترث ويحصد وقدم الى المنصورية وقد شاع بين الناس انه استخلف في افر يقية فهادته على قدر مراتبهم وكثرة اموالهم وزادت مكانته * ولما وصل الى المعز جلس له في الايوان وادخل عليه فقبله احسن قبول وتحدث معه وشكر افعاله وقلبك سيئه وخلع عليه خلعة من لباسه وقاد بين يديه اربعين فرسا بسروج الذهب المنقطة واربعين نخشا بالثياب الفاخرة وخلع على جميع اصحابه واكرمهم غاية الاكرام * ومن هنا نذكر توليته وبنه من بعدك * وما قدمنا هك النبك الا لتوطئة لخبرهم وليعلم الناظر في هك الاوراق مبتدا امرهم الى ان ياتي على اخرهم ان شاء الله تعالى لا رب غيره ولا خير الا خيرة *



الخبر عن ولاية الامير بلكين

هو يوسف بن زيري الصنهاجي ابو الفتح بلكين فوض له الامر بافريقية والمغرب كافة ما عدا طرابلس ومغليّة لم يدخلها في عمله وذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة عند رحيل المعز لدين الله الى المشرق وكتب له سجلا واهم الناس بالسمع له والطاعة وسار معه الى قابس وكل يوم يوصيه ويؤكد عليه ولما اراد وداعه قال له - يا يوسف ان نسيت ما اوصيتك به فلا تنس ثلثا لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول احدا من اهل بيتك فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك واوصيك خيرا باهل المحاصرة - وودعه وانصرف راجعا الى المنصورة فدخلها يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فنزل بقصر السلطان بصبرة وخرج اليه اهل القيروان فهنؤوا واطهروا السرور بقدمه واقام هناك شهرين وبعث العمال والولاة الى جميع البداد ونفذت اوامره في فريقية والمغرب * ولما مهد الامور بافريقية رحل الى المغرب في شعبان سنة ثلث وستين وثلاثمائة * وفيها عصى اهل تيهرت فنزل عليها وظفر باهلها فسبى الذرية ونهب الاموال وبلغه الخبر عن زناتة انهم نزلوا على تلمسان ومكثوها فرحل اليهم ففروا امامه وفتح تلمسان * وبعث اليه المعز كتابا يامره الا يتباعد عن افريقية ولا يتوغل في الدخول الى المغرب * وفي ايام امارته قام بالمغرب زيري بن عطية الزناتي فملك فاس وسجلماسة وما جاورها وخطب فيهما لبني امية فسار اليهما بلكين بعساكر صخمة ففتحهما وطرد عمال بني امية * ونازل مدينة سبتة وحاصرها اياما ثم رحل منها واتى الى البصرة فنهبا * فسلت البصرة التي بالمغرب هي التي يقال لها اصيلة في زماننا هذا * وبعث هديّة الى مصر سنة خمس وستين وثلاثمائة فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز فرد الهدية من طرابلس ستائف هدية اخرى وسيرها باسم العزيز فكانت اول هدية قدمت عليه *

فكتب العزيز تجديدا بولايته على المغرب وبعث له سنجلا ودراهم من
السكة التي ضربت باسمه أي باسم العزيز بالله صاحب مصر * وبعث
بلكين إلى العزيز بالله يطلب منه - سر - واجدا أبيه - وطرابلس - وإن
يضيفها إلى عمله فانعم عليه بها وبعث بلكين إليها عماله وغزا بني غواط
فكانت بينهما حروب انتصر بلكين فيها وسبى منهم سبايا لم يدخل لأفريقية
اعظم منها وتوغل في المغرب حتى لم يبق له به منازع * وهرب زناة أمامه
حتى دخلوا الرمال في الصحراء وخالفته أهل سبتة فدافع منصور بن أبي
عامر عنها بان بعث إليه براس جعفر بن لاندلسي الذي قتل أباه زيري
وتقدم ذكره وكانت مكاتب معد الذي هو المعز بالله تصل إليه من مصر
إلى مدينة فاس * وفي سنة سبعين وثلاثمائة بعث ولده المنصور إلى القيروان
لتجهيز هدية إلى مصر فوصل إلى رقادة وأقام بها مدة وبعث بالهدية
وكانت أول هدية خرجت على يده وأول وصوله إلى القيروان لأنه لم يكن
دخلها قبل ذلك لأن ولادته كانت في أشير وأقامته بها ولم يدخل إلى
أفريقية إلا في هذه السنة ورجع إلى المغرب وفي سنة ثلث وسبعين وثلاثمائة
خرج ابن حزون وضرب على سجاله فنهبها فوصل الخبر إلى بلكين *
فرحل إليه بلكين فأصابه في طريقه قولنج فمات في مكان يقال له واركلان
لسبع بقين من ذي الحجة بعد ما أسند وصيته إلى ولده المنصور رحمه الله *

الخبر عن ولاية المنصور بن بلكين بن زيري

استقل بالامر بعد وفاة أبيه وكان ببلد أشير فأخذ البيعة عن الأجناد
وإطاعه الخاص والعام وخرجت الأوامر عن أمرة وبعث إلى العمال ونفذت
كلمته وكان رجلا عاقلا عفيفا عن الدماء يحب الرفق بالأمور فجلت الناس
على محبته ومهد الأمور بتدبيره وجلب القلوب بأعطائه وتبذيره ووفدت
إليه العمال بالهدايا فقبلهم أحسن قبول وعظم بالعطايا وخرج من القيروان
التصا والامناء ووجه الناس قدر ما تنى رجل لتهميته بالملك وتعزيتيه في
أبيه فوصلوا إليه بأشير فوجدوه خارج البلد على جبلها فسلموا عليه وقبلوا

يده ودعوا له ففرح بهم وانزلهم منزلا حسنا * وفي ثاني يوم من وصولهم
جلس لهم مجلسا عظيما ودخلوا عليه وهو في زي عجيب من ضخامة الملك
واقف حوله الصقاليمة والاجناد واطهر لهم من ائمة الولاية ما ابهر عقولهم
وقال لهم - يعز علي حركاتكم في هذا الزمان إلا ان سروري بروتسكم
احب الي من الدنيا وما فيها - وامر لهم بعشرة آلاف دينار ففرقت
فيهم وفي خامس يوم من وصولهم امر بهم فدخلوا عليه فلاطفهم ومما قال لهم
- ان ابي وجدي كانا ياخذان الناس بالقهر وانا لا آخذ احدا إلا بالاحسان
ولا اشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى - ثم امر لهم بالانصراف
الى بلادهم واولى عبد الله الكاتب جميع افريقيته والنظر في جميع امورها على
ما كان عليه في ايام ابيه * وفي سنة اربع وسبعين وعمل المنصور في
رقادة لتلقاه اهل القيروان باجمعهم فسر بهم ووعدهم وعدا جيلا وانتبه العمال
من كل بلد بالهدايا واهدى اليه عامله على القيروان ما لا يدخل تحت
حصر * وامر بتجهيز هدية الى مصر وهي اول هدية بعث بها الى نزار
من قبله بعد وفاة ابيه بلكين وكانت قيمتها الف الف دينار وصام
رمضان برفادة وامر ببناء مصلى للعيد فيها وخرج يوم العيد للصلاة في
زي حبيب بسرج مكلل بالدر والياقوت * وفي آخر ذي الحجة رجع
الى المغرب وصحبته عبد الله الكاتب خليفته على القيروان وخلف ولده
يوسف بن عبد الله المذكور وسلم اليه اعمال افريقيته قاطبة وفي هذه
السنة يعني سنة اربع وسبعين وثلاثمائة ازداد المنصور ولده باديس وكثيره
ابو مناد لاحدى عشرة خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة * وفيها
بعث صبرا مع اخيه بطوفت الى فاس وسجلاسة لتغلب زيري بن عطية
الزناتي عليها فالتقى العسكران فكانت بينهما مقتلة عظيمة وانهزم عسكر
المنصور وبلغ اخوه منهزما الى اشير فلم يتعرض المنصور بعد ذلك الى بلاد
زناتة * وفي سنة ست وسبعين بنى قصرا له بصيرة فبلغ الانفاق عليه
ثمانمائة الف دينار وخرس حوله الاشجار من كل ناحية * وفي هذه السنة

قتل عبد الله الكائب وولده يوسف وأعطى أعمال الفريضة لولاه يوسف
ابن أبي محمد وفيها دخلت عمال المنصور إلى بلد كسامته وجبوا منها الأموال
ولم تكن قبل ذلك تدخل اليها * وفسيها بعث نزار الخليفة بمصر
هدية إلى المنصور وفيها خالف عليه عمه أبو اليهز بلد تيهرت فرخف
اليه المنصور بعسكرة ففر أمامه إلى المغرب فدخل المنصور تيهرت فنهبا
وطلب أهلها الأمان فامنهم ورجع إلى أشير * وفي هذه السنة مات عامل
صقلية عبد الله بن محمد بن أبي الحسين وأوصى إلى ولده يوسف من
بعده وأثناء سجل من نزار خليفة مصر بالولاية فصاحت أحوال صقلية
في أيامه يعني أيام يوسف بن عبد الله * وفي سنة إحدى وثمانين
وثلاثمائة وصل المنصور بن بلكين إلى قصره الذي بناه في صيرة وعيد فيه
عيد الأضحى وخرج للناس يوم العيد في زي مجيب من المركوب والملبس
ورفع عن أهل البادية بقية خراج وكان مالا عظيما وعد ذلك من مناقبه *
وفي شهر ربيع الأول خشن ولده باديس وأهدت له العمال على قدر مراتبهم
وأتم هدية من عند ابن الخمطاب عامله على زويلة فيها زرافة وطرف
من أثلث السودان وشي مستكثر * وقدم اليه عامل طرابلس بهدية جليلة
فيها مائة حل من المال سوى الخيل ولطائف المشرق * وفي هذه السنة
وصل اليه سجل من المشرقي بولاية ولده باديس من بعده فسر بذلك
وفيها عزل عامله عن الأريص وسير إليها ولده قيصر فوجد في المخازن التي
للوالى المعزول ستمائة ألف قفيز من الطعام * وفي ذي القعدة خرج منزها
إلى سردانية وخرج اليه الشيوخ من أهل القيروان وسأله أن يعيد عندهم
فاجابهم إلى ذلك * وفي سنة ثلاث وثمانين خرج ولده ولي عهده باديس
إلى مدينة أشير ومعه جدته يعلن * وفي سنة أربع وثمانين رجع من
المغرب إلى المنصورية وكانت أول سفره سافرها فخرج اليه أبوه وأهل الدولة
وجميع أهل القيروان فسلوا عليه وكان يوما مشهودا * وأتم من مصر هدية
سنية ومعها الثيل فركب المنصور بعسكرة وثلقاها * ولما كان يوم العيد

خرج باديس لصلاة العيد والفيل امامه وركب في مركب عظيم ولم يخرج معه ابوه ذلك اليوم * واقاما بافريقية ولم يرجعا الى المغرب * وفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة توفي المنصور يوم الخميس لثلاث خلث من ربيع الاول ودفن في قصره الكبير الخارج من صبرة وكانت امارته نحو ثلث عشرة سنة وكان رحمه الله كريما جوادا صارما حازما عاقلا عادلا بين الرعية وايامه طيبة * وفي هذه السنة في شهر رمضان كانت وفاة نزار خليفة مصر وتولى بعده ولده الحاكم بامر الله بعد وفاة المنصور بستة اشهر * ومن الملوك الصنهاجيين باديس بن المنصور بن يوسف بن بكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وكنيته ابو مناد تولى ملك افريقية بعد وفاة ابيه المنصور في ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاثمائة ورحل الى قصره بسردانية في رجاله وعبيده واتته الوفود بالتعزية في ابيه وتهنئته بالملك * واستقامت له الامور واحتفل بتجهيز هدية يرسلها الى خليفة مصر فجاءه الخبر بوفاة في شهر رمضان كما ذكر فبعث بها في رقادة الى ان سيرها باسم الحاكم * وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عقد لعنه حاد بن بكين على اشير والمغرب وجعله عاملا على تلك البلاد * وفي هذه السنة جاء تسجيل من الحاكم بامر الله الى باديس ولقبه بنصير الدولة يخبره بوفاة نزار والده ويعزيه في والده المنصور وبعث من اخذ البيعة عن باديس واهل بيته من بني مناد * وقلد باديس امور افريقية لمحمد بن ابي العربي وخرج الى المهديّة متنزها فقصد سوسة فاقام بها اياما ولما وصل المهديّة لعبت المراكب بين يديه ورمى النفاطون بالنفط واقام بها اياما ورجع الى صبرة * وفي يوم العيد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة خرج في زبي لم ير مثله لمن تقدمه من اباائه وبين يديه الفيل وزرافتان وحمل ابيض ساطع البياض * وارسل له الحاكم خليفة مصر هدية تشتمل على جوهر نفيس واثاث وطرف من بلاد المشرق تولد القتل فتلقاها باديس ودخلت بين يديه لصبرة * وجاءه الخبر ان زيري بن عطية الزناتي خرج بالمغرب وقصده الى بلاد

اشير فجهز اليه جيشا عظيما وارسله مع محمد بن ابي العربي عامله على افریقیة
فالتقى بزيري بن عطية قريبا من تيهرت فكانت بينهما حروب انهم
فيها عسكر باديس واحترى زيري بن عطية على جميع الاثاث والاثقال
والمال والسلاح * فلما بلغ باديس خبر الهزيمة خرج بنفسه الى قتال
زيري بن عطية فخرج من رقادة بعساكرة وشيعة مشيخة البلد والفتهاء
واهل القيروان وجد في سيرة الى اشير وكان زيري محاصرا لها فلما بلغه خبر
باديس رحل عنها وتم باديس في طلبه الى ان ادخله المغرب وكرر راجعا
الى اشير * وفي هذه السفرة خالف عليه اعمامه وكانت بينهم وبينه
حروب انتصر فيها باديس بعد ما كان بينهم الفناء مائت فيها سبعة الاف
من زناتة الذين مكانوا مع اعمامه ورجع الى القيروان منصورا وبعث
برعوس القتلى فطيف بها في المنصورية والقيروان * وقسم في ايامه
فلل زناتة وعات في جميع اعمال باديس وكانت له مع قلقل وقعات
مديدة * وخرج عنه بعض النوار بطرابلس فخرج بنفسه اليه واستنقذ
طرابلس وولى عليها من قبله * وكان ايامه كثيرة الحروب والنوار عليه
من اعمامه ومن زناتيين وكان منصورا عليهم في ايامه * وفي سنة ثلث
واربعمائة جاءت هدية من الحاكم صاحب مصر وسجلات له ولولده المعز
فخرج باديس الى لقاءها وخرج ولده المعز ولم يكن خرج قبل ذلك ومعه
القصة واكابر الدولة وترجل لها وقرئت على الناس وفيها اضافة برقة الى
ما بيده من الاعمال فارسل عامله الى برقة * ولم تزل ايام باديس في
مكافحة الاعداء ورحل الى المغرب عدة مرار وكان مقدما جوادا يعطي
العطاء الضخم وكان محسنا لاصحابه ويعفو عن اساءتهم * وخرج الى
المغرب لقتال زناتة فادركه اجله على مدينة الحمديتة اخر ليلة من
ذي القعدة سنة ست واربعمائة فمكتم الكبر دولته موته وتشاوروا بينهم
فاتفقوا عليهم على تولية ولده المعز وكان صغيرا اذ ذاك لم يبلغ عشرين
فجعلوا باديسا في تابوت ورجعوا به الى افریقیة بعد ما حلفت الاجناد

لولده المعز وانتادت له اجنادة بعد موته احسن انقياد واوصلوه في ثابوتهم
الى المهديّة وكان ولده المعز بها خرجت به جدته للنزاهة وجعلتها حرزا
لاموالها لما كانت ترى من الفتن في دولته ولدها باديس فاستوطنت
المهديّة * وكانت ولاية بني زيري في مدينته اشير وانتقل المنصور بن
بلكين الى صبرة ثم ولده باديس كانت غالب اوقاته بصبرة الا ان ايامه
كانت اكثرها حروبا * واول سن بويج من بني مناد بمدينة المهديّة المعز
كما سنذكره ان شاء الله تعالى * ومن ملوك صنهاجة المعز بن باديس
ابن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بويج بالامارة يوم وفاة
ابيه اخذت له البيعة على الاجناد بمدينة المحمدية لثلاث خلت من
ذي الحجة سنة ست واربع مائة وعشرة اذ ذاك ثمان سنين وسبعة اشهر *
ولما وصل الخبر بموت باديس خرج مامل القيروان ومعه الفقهاء والشموخ
من اهل البلد واكابر صنهاجة فوصلوا الى المهديّة وعزوا المعز في والده وهنوه
بالملك وكانت جدته تباشرو لأمور وتصرف الاحوال من رايها فاحسنت
لاهل القيروان وامرتهم بالرجوع الى بلادهم وركب المعز بالطبول ونشرت
البنود على راسه وقبل الوفود باحسن قبول وظهرت عليه مخايل الملك وفرح
الناس بما راوا منه من العقل والنجابة وشمايل الكرم مع صغر السن وقابل
كل انسان بما يليق به * وفي اول المحرم وصل العسكر الذين كانوا مع
ابيه واتوا به محمولوا في ثابوت فدفن وجددت له البيعة مع لاجناد
وركب المعز لثقاتهم وعرضت عليه اكابر الدولة وتعرف احوالهم واحسن
اليهم ورحل من المهديّة الى مدينة صبرة فحل بها ونزل بتحصنة وفرح الناس
بتدومه * ولما استقر بصبرة خرجت طائفة من القيروان وقتلوا جماعة
من الشيعة لانهم كانوا يتجاسرون بمذهبهم الخبيث فقتلت نساؤهم واولادهم
وكانت فستة بالقيروان من اجل النهب والقتل ولجا طائفة منهم بالجامع
في المهديّة فقتلوا فيه * وكان لا يرى بالقيروان احد منهم في الطريق
الا ضرب ضربا عنيفا وربما قتل واحرق واجتمع منهم قدر الف وخمسمائة

رجل تحت قصر المنصورية واستغاثوا بالمعز فامر بالكف عنهم * والمعز
هذا هو الذي طهر الله تعالى على يديه افرريقية من مذهب الشيعة وان
كان من صالحهم الا انه كان لا يتعصب بمذهبهم * وجعل الناس في ايامه
على مذهب الامام مالك رضي الله تعالى عنه وقطع ما عداه * وكانت
بافريقية مذاهب الصفرية والشيعة والاباضية والنكارية والمعتزلة ومن
مذاهب اهل السنة الحنفية والمالكية فلم يبق في ايامه الا مذهب الامام
مالك * والمعز هذا لما اشتدت سلطته خرج عن طاعة بني عبيد وخطب
لبني العباس كما سيأتي * وخسرج عن طاعته عمه جاد بالمغرب وحاصر
اشير فزحف اليه المعز بعساكر لا تحصى وكانت بينهما وقعات وحروب
انتصر بها المعز على عمه وعاخر الحال رجع الى الطاعة وبعث ولده بكتاب
يسال فيه العفو عما سبق منه فعفا عنه * واجرى المعز على ابن عمه جاد في
اقامته كل يوم ثلثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزا شعيرا لدوابه ودواب
اصحابه وخلع على اصحابه مائة خلعة واعطاء ثلثين فرسا بسروج الذهب
ومن الثياب المشققات ما لا يدخل تحت حصر وانفذه الى حضرة ابيه
وفرغ عماله في جميع بلاد المغرب * وبسعت اليه المحاكم خليفته مصر
تجديدا بولايته ولقبه بشرف الدولة * وفي سنة ثمان واربعمئة بعث
اليه مولاة صندل وكان عاملا على باغاية هدية فيها ثلثمائة وخمسة وثلثون
برذوفا بالسروج المحلاة وعبيدا وشيئا مستكبرا * واهدى له الحاكم
صاحب مصر سيفا مكللا بالدر ليس له قيمة وكتب اليه تشريفا لم
يكتب مثله لاحد من اجداده قبلا * وتوفيت جدته سنة احدى عشرة
واربعمئة فكفنها بما قيمته مائة الف دينار وعمل لها تابوتا من العود
الهندي مرصعا بالجواهر وصفايح الذهب وسمر التابوت بمسامير الذهب
وزنها الف مثقال وادرجت في مائة وعشرين ثوبا وذر عليها من المسك *
والكاغور ما لا حد له وقلد التابوت باحدى وعشرين سحرة من نفيس
الذهب * وفي سنة ثمانمئة من صوفي عذبا فلاح ما ذكرناه * وحملت

الى المهدية فدفنت بها وامر العز بخمسين ناقته ومائة رأس من البقر
والف شاة ففكرت وانتهبها الناس وفرق في مائتها على النساء عشرة آلاف
دينار * وصنع وليمة لعرسه سنة ثلاث عشرة وأربعمائة لم يكن مثلها
لاحد في بلاد المغرب * ولما بدا بالحركة للعرس نصبت القباب خارج
المدينة ونشر ما فيها من الاثاث والياب وجعل المهر على عشرة ابغال كل
بغل عليه عشرة آلاف دينار وحضر من الآلات الملاهي ما لا يوصف وقوم
حذاق التجار ما جعل للعروسة فكان ازيد من الف الف دينار * وبقيت
له مصانع وتصوير لم ير مثلها وصنع ايوانه الاعظم وبني الخورنق تشبيها
بخورنق النعمان بن المنذر بالعراق * وايام ملككم اربت في الحسن
على ايام بني مناد * وفي ايامه اشتدت شوكة زناتة من ناحية طرابلس
وكانت له معهم حروب وله فيهم فتكات * قلت والزناديق هم الذين
يتنهي عليهم عدد من العمال ويذكرون كثيرا من جللة اخبارهم عدد ما
يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع خليفة الزنادي ولاهل طرابلس اهتمام
بسيرتهم حتى لا يذكر بينهم حديث الا بها وكذلك عند عوام اهل مصر لها
صيت لاستماعها . والعز كان اكرم اهل بيته بالمال وكان دينا يجتنب سفك
الدماء الا في حق وكان رقيق القلب حديد الذهن عارفا بعدد صنائع من
الاحيان والتوقيعات وعلم لا حجار وله شعر جيد وهذاه ملك الروم يهدية
جليلة وفتح جزيرة جربة * وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اظهر الدعوة
لبني العباس وورد عليه عهد من الامام القائل بامر الله العباسي وفي سنة
اربعين وأربعمائة قطع خطبة بني عبيد وقطع بنودهم واحرقها بالنار * وفي
ايام العز خرج غالب البلاد عن طاعته وكثرت عليه المخالفون وخالف
سوسة وقضنة وصفافس وباجتة وخرج جل البلاد الغربية وفي ايامه كان
ظهور لتونة ببلاد المغرب واستولوا على جميعها وسياتي بعض خبرهم ان شاء
الله تعالى * وفي ايامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بافريقية وسبب
دخول العرب الى افريقية ان العز بن باديس لما قطع خطبة صاحب مصر

وهو المستنصر بالله كان يسب بني عبيد سرا إلى أن صرح به على المنابر
وكان يكذب وزير المستنصر ويستميله ويعرض له بالتكريف عليهم وإنما
يكتب له تلويحا لا نصريحا ويكتب إليه قطعة بخط يده وتمثل فيها
بيت من الشعر وهو

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت أدري أنهم خلقتوا
فقال الوزير لبعض اصحابه ألا تعجبون من صبي بربري مغربي يحب أن
يخدع شيخا عربيا عراقيا وإنما أراد العزان يوقع بين الوزير وخليفته الشر
ولما خلع طاعة بني عبيد وجاءتهم الخلع من بغداد أشار الوزير على المستنصر
العبيدي بإرسال العرب فارسل المستنصر إلى صرب الصعيد الذين بمصر
وأرسلهم إلى المغرب وأباح لهم من برقة إلى ما بعدها وأعانهم على ذلك بمال
وهم رباح وزينة وحدي بطون من بني عامر بن صعصعة فلما وصلوا إلى
أفريقية عاثوا فيها كيف شاءوا وملتت أيديهم من النهب فتسامعت
بنو عمهم بذلك فطلبوا من الخليفة الأحقاف بمن تقدمهم فنتعهم من ذلك
إلا أن يعطوه شيئا من أموالهم فاخذ منهم أضعاف ما أعطاه لبني عمهم
وسرحهم ولما وصلوا إلى المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة بأقليم طرابلس
وكثر ضررهم وفسدوا البلاد ولمسا قريبا من أفريقية خرج المعز في
جمع من صنهاجة وزناتة فاجتمع له عسكر عظيم فالتقى معهم وكانت
بينهم مصافى فخذلهم زناتة وانهمزمت صنهاجة حتى لم يبق معه إلا
عبيدة وكان عدد العبيد عشرين ألفا وبنت المعز في تلك الحروب ثباتا لم
يثبت أمير هزم جيشه وهاخر الحال انهزم ورجع إلى المنصورية وأقبل
العرب حتى نزلوا بأزاء القيروان واقتتلوا بين رقادة والقيروان ومات بين
الفريقين خلق عظيم * ولما رأى المعز ما حل به ركن إلى الصلح ورفع
الحرب بين العرب وبينه وأباحهم دخول القيروان ليشتروا منها ما يحتاجون
إليه ووطن أنهم يرجعون إلى بلادهم فلم يغن عنه ذلك ومكثوا البلاد بأسرها
واقسموا برأبها وفسدوا حواضرها وكان الخطيب جليلا * فلما رأى المعز كثرة

ضررهم وصحزة من دفع اذاهم رحل الى المهديّة وبها حشمه وكان ولده تميم واليا عليها وخرج في رمضان سنة تسع واربعين واربعمئة ونهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها وجلالة اهلها عنها ولما وصل الى المهديّة تلقاه ولده تميم وتوجّل له وقبل يده وادخله البلد فسلم الامر الى ولده تميم في حياته فقام بامور الدولة احسن قيام وتوفي المعز سنة ثلث وخمسين واربعمئة فكانت ايام ولايته تسعا واربعين سنة وكان من الكرم على جانب عظيم قيل انه اهدى لبعض اصحابه في يوم واحد مائة الف وسبعين الف دينار الا ان ايامه كثرت فيها الفتن وقام كل عامل ببلده وخرج عن طاعته والملك لله وحده * وممن الملوك الصنهاجية تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري مولده بالمنصورية سنة اثنتين وعشرين واربعمئة وولاه ابيه المهديّة سنة خمس واربعين واستبد بالملك يوم وفاة ابيه ودخل اليه الناس وهنوه بما صار اليه وكثرت في ايام تميم الفوار من كل فية فقام عليه اهل تونس وخرجوا عن طاعته فارسل اليهم جيشا عظيما فحاصروها سنة وشهرين والقائم بتونس هو ابن خراسان فلما اشتد عليهم الحصار صالحوا صكر تميم على ما رضي به تميم وارتحلوا عنها وخالفت عليه بلد سومة فحاصروها وفتحها حنة وحسن دماهم وخرج طيه جو بن فلفل البرغواطي ببلد صفاقس فخرج اليه تميم في جمع من البربر والعرب مثل زغبة ورياح فكانت بينهم مصافى وانتصر تميم وانهمز البرغواطي * وفي ايامه طردت بنو رياح زغبة عن افريقية وبعث القيروان من الناظر بن علاء الناس بن جاد وجاءت بنو قرة من فاحية بوقرة ونزلوا بازاء القيروان * وفي سنة سبع وستين واربعمئة اصطح تميم مع الناظر بن علاء الناس وزوجه ابنته وارسلها اليه في صكر عظيم وبعث معها من الاموال والدخائر ما لا يوصف وولى ولده مقلدا على طرابلس وتم الصلح بينهما * وقام عليه مالك بن علي الصنخري بجمع كبير من العرب وفازل المهديّة فقاومه تميم حتى رحل عنها خائبا الى القيروان فبعث اليه تميم بعسكر كثير فحاصره بها مدة فلما

علم مالك ان لا طاقة له فر عن القيروان وحاصر تميم قابس وصفافس في وقت واحد وفي غيبته جاءت عمارة المهديّة من الجنوز والبنسيان فحرق ثلثمائة مركب فنهبوا المهديّة وزويلته واضرموا النار في البلد ولم يكن بها مدافع لهم لغيبة الجند عن المهديّة وكان عدد الروم ثلثين الف مقاتل فغنموا ورحلوا عنها * وفي ايام تميم كانت المجاعة العظمى بافريقية والرباءة الذي لم يسمع بمثله وذلك سنة ثلث وثمانين واربعمائة وغالب اوقاته كان مقاوما فيها لمن ثار عليه وقاسى حروبا مع العرب وبني عمه وكان رحمه الله ذكيا مفرطيا في الذكاء وينظم الشعر ويجيز متن مدحه ويحب المداومة والاستماع ومن ندمائه ابن رشيق القيرواني وله فيه المدايح الطنانة وكان احلم بني مناد واعفاهم عن الامور العظام وانقدهم للشعر وله اخبار عجيبة اعربنا عنها خوف الاطالة * وفي ايامه استولى عدو الدين على جميع صقلية وكان ذلك سنة اربع وثمانين واربعمائة اعادها الله للاسلام * وحيث انتهى بنا مساق الحديث الى صقلية وان كنا انينا بطرف من ذكرها فيما تقدم وجب لان ان نذكر طرفا منها لزيادة الفائدة ولكن على سبيل الاختصار وليكن المتامل هنا على بصيرة من ان صقلية كانت تحت حكم افريقية برهة من الزمان * فاقول وبالله المستعان قد تقدم في اول الكتاب فتح الجزيرة على يد الشيخ البركة اسد بن الفرات من قبل ابراهيم بن الاغلب في خلافة امير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد وقد اولتها العمال من قبل بني الاغلب الى ايسام ابي عبيد وما كان الخليفة العبيدي وهو المنصور بالله بن القائم بن المهدي معسكرا من البلاد القربية وتتم له الحكم على سائر اعمالها عقد ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي ابن ابي الحسن الكلبي وذلك سنة ست وثلثين وثلثمائة واستمر الحسن بها حتى مات المنصور وتولى ولده المعز واقبل الحسن الى افريقية واستخلف على صقلية ولده احمد في سنة اثنين واربعين وثلثمائة ووفد على المعز بجماعة من اهل صقلية فبايعوا المعز وخلع عليهم واصادته الى عمله * وفي

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث إليه كتابا يأمره بختن أطفال الجزيرة وكسوتهم في اليوم الذي يختن فيه العز ولده في مستهل ربيع الأول من السنة المذكورة فابعدا الأمير أحمد بختن اولاده واخوته ثم الخاص والعام وخلع عليهم ووصلهم من المعز مائة ألف درهم وخمسون جلا من الصلوات ففرقت بين المختونين وكانت جلتهم خمسة عشر ألف طفل * وفي سنة اثنين وخمسين بعث الأمير أحمد بسبي طبرمين بعد ما فتحها وجلته ألف وسبعمائة ونيف وسبعون راسا * وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة بعث المعز اسطولا عظيما وقدم عليه الحسن بن علي والد الأمير أحمد فوصل له صقليته وكان بينهم وبين الروم حرب شديدة انتصر فيها الحسن وقتل من المشركين ازيد من عشرة آلاف وغنم مغنما عظيما ومن جلته سيف منقوش عليه - طالما صربت به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فبعث به وبالسبي إلى المعز وتوفي الحسن سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وفيها استقدم المعز لدين الله الأمير أحمد من صقليته بماله ولده واستخلف يعش مولى ابيه على الجزيرة ولما وصل أحمد إلى افريقية أرسل المعز علي بن الحسن تأقبا عن اخيه أحمد وبعث المعز الأمير أحمد مقدما على اسطول إلى مصر فلما وصل طرابلس اعتل بها ومات بها وبعث المعز إلى الأمير علي سجلا بولايته بعد اخيه فمكث اثني عشرة سنة ومات في غزوة بالارض الكبيرة بمكان يعرف بالشهيد عرف به لان مقتله هناك * وتولى ولده جابر من غير عهد من الخليفة وكان جابر سعي التدبير فعزله الخليفة وبعث مكانه جعفر بن محمد بن الحسين وبقي واليا عليها حتى مات سنة خمس وسبعين وثلاثمائة * وتولى اخوه عبد الله وتوفي سنة تسع وسبعين * وتولى ولده ابو الفتح يوسف بن عبد الله وكان حسن السيرة واصابه فالج فتولى ولده جعفر في حياته واتاه سجل من الحاكم ولقبه بتاج الدوله واحداث مظالم على اهل صقلية فخرجوا عن طاعته وحاصروه في القصر فخرج اليهم ابو يوسف في محفة وشروط للناس عزله وسكنهم وقدم عليهم اخاه أحمد

ولقبه تاييد الدولة وذلك سنة عشر وأربعمائة وبقي الى سنة سبع وعشرين خرج عليه اهل الجزيرة فقتلوه وتولى اخوه الحسن ولقبه صمصام الدولة واضطربت الاحوال في ايامه وكثرت الثوار فخرجوا صمصام الدولة وانفرد كل انسان ببلد فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمارر وطرابني وغيرهما وابن الحواس بقصر يانة وجرجنة وغيرهما والقائد ابن التمنه بسرقرسة وقطانية وقامت بينهم الفتن فانصر ابن التمنه بالافرنج من مالطة وهون عليهم امر المسلمين وكان امير النصارى اسمه روجار فساروا مع ابن التمنه الى البلاد التي بايدي المسلمين فحاصروها واستولوا على مواضع كثيرة من الجزيرة فحينئذ فارق الجزيرة جماعة من العلماء واتوا الى المعز يستنجدون فبعث اسطولا للجزيرة فلم يغن شيئا وذلك لاضطراب الجزيرة فلم يزل العدو يأخذ الجزيرة شيئا فشيئا ولم يثبت غير قصر يانة وجرجنة فحاصرها الافرنج اشد حصارا حتى اكلوا الميتة فسلم اهل جرجنة وبقيت يانة ثلث سنين ثم اذعنوا واستغلب روجار على سائر الجزيرة في سنة اربع ولثمانين وأربعمائة ومات بعلة الخوانيق وعمره ثمانون سنة * وتسولى بعده ولده فاريسى عليه في الخزي وسلك طريقة ملوك المسلمين من الجنب والحجاب واسكن الافرنج في الجزيرة مع المسلمين واکرم المسلمين وقربهم ومنع من التعدي عليهم وكانت اساطيلهم شحونة بالمسلمين والافرنج واخذ كثيرا من بلاد الاسلام وهو الذي اخذ المهدية وسوسة وجربة وطرابلس وامتدت يده في البلاد وملك عدة جزائر في البحر وبلغت بعونه الى المشرق وملك انطاكية وكانت له فتكات لغته الله عليه * وجزيرة صقلية من اجل الجزائر التي في البحر وبها مدن عظيمة وافخر مدائنها مدينة بليرم وهي المدينة العظمى على ساحل البحر محاذة بها الجبال وهي ثلث اسطمة وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة كانت مستقر السلطان * وكانت الخالصة في ايام المسلمين دار الصناعة لانشاء المراكب ومكنت في ايدي المسلمين مائتي ونيف وسبعين سنة اعادها الله للاسلام * وما ذكرت هذه النبذة الا لكونها فتحت على يد عمال افريقية

ولم نزل تحت الحكم لئلا ان قدر الله بردها لاعداء الدين والسبب
المختص للهلاك التماسد والفتن حسم الله هذه المأذة عنا لاننا في طرف منها
عسى الله ان يعافينا ويلطفه يداركنا * ولنرجع لئلا ما كنا فيه من بقية
اخبار تميم بن العز قال ابن ايوب وتوفي تميم بن المعز صاحب افرقيته
سنة احدى وخمسمائة وعمره تسع وثمانون سنة وايام ولايته ست واربعون
سنة وعشرة اشهر وعشرون يوما وخلف مائة ولد ذكر وستين بنتا وتولى
ولده يحيى من بعده * وممن امرأه منها جثة الامير يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد ثم له
الامر يوم وفاة ابيه وعمره حينئذ ثلث واربعون سنة فركب على العادة باكاب
الدولة وغير لباس الحزن وخرق في الناس اموالا وودعهم بالجميل فشرح
الناس به ولما استوفت له الامور عدل في رعيته وجرد مسكرا لئلا
قلعة اقليبيته فسفحتها وكان ابو له لم يقدر عليها وبعث اسطولا لئلا بلاد
الروم فتغمت وكانت عمارته في البحر كل سنة منصورا وكان يباشر الامور
بنفسه عارفا بها وكان رحيما بالضعفاء مطالعا لكذب السير واخبار الزمان
عالما بالنجوم واحكامها وبصناعة الطب وينظم الشعر الجيد حسن الخلق
ودامت ولايته ثمان سنين وستة اشهر وتوفي وعمره اثنان وخسون سنة
مات فجئة اول ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة وخلف من الذكور
ثلثين ومن البنات عشرين وكانت ايامه ايام عدل لئلا ان ملكه دخلته القهقرة
والملك لله الواحد القهار * وممن امرأه منها جثة الامير علي بن
يحيى بن تميم ثم له الامر بعد ابيه باتفاق من جنده وكان في صفاقس
فارسلوا اليه خفية من اخوته فجاء لئلا المهدية وقدم لئلا القصر فتولى
تجهيز ابيه ودفنه ودخل الناس عليه فهنوه بالملك واستقام له الامر وابدا
دولته بتجهيز اسطول لئلا جربة فحاصرها وفتحها ولم تكن طامت لكن
سلف من اجداده مع سعة ملكهم وكثرة جيوشهم وحاصر تونس وهيق عليها
فصالحها صاحبها احمد بن خوسان على ما اراد وبعث جيشا لئلا حصار

وصلات فصاريق به وفتحته فتوة وكان أهله اذ ذاك اهل فساد وتغلق وصفي عليه رافع عامله على فابس وبعث الى رجاء صاحب صقلية فدخل تحت طاعته وطلب منه الاعانة على الامير علي بن يحيى واجتمعت لرافع جموع من العرب وقصد المهدية وحاصرها فمكر به الامير علي باستجلاب نفوس الاعراب ووعدهم وامطاعهم فخذلوا رافعا فصر الى القيروان واقسمت العرب بينهم البلاد وفويت شوكة العرب في ايامه وكبرت بينه وبين صاحب صقلية الوحشة فبعث اليه يهدده بغزوة المهدية فهيا الامير علي مراكب في البحر واستخدم لاجناد وكثر من الرجال وعمر المدينة واخذ اهبة الحرب ومشت بينهما مراسلات بالتهديد من الجانبين واراد علي ان يستنصر بامير المسلمين يوسف بن تاشفين لان الامير عليا علم انه ليس له طاعة بصاحب صقلية فاخذ بالحدار منه بغيته حياته الا انه وقع بينهما الصلح في الظاهر دون الباطن * وفي ايام علي دخل محمد بن تومرت على المهدية وغير بها المنكر وسياتي خبره وتوفي الامير علي سنة خمس عشرة وخمسمائة من مرض اصابه وفوض الامر في حياته لولده الحسن وعمره اثنتا عشرة سنة وبيع يوم وفاة والده والله يرث الارض ومن عليها * ومن امراء صنهاجة الامير الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ثم له الامر يوم وفاة والده وحكم بدينير دولته القائد صندل مولاه وركب على عادته وطاف البلاد وفرج الناس به وفرق اموالا في العبيد والاجناد وخلع على اصحاب دولته واكابر اجناد * وفي ايام الحسن تحرك صاحب صقلية على اخذ المهدية ومنشئ نفسه ان يستاصل افريقية فحشد من جميع البلاد وجمع جيشا عظيما وبعث باسطول عظيم الى المهدية فلما احص الحسن بعجي اهل صقلية ارسل الى البلاد واستعد لهم استعدادا كليا واجتمعت له مائة الف رجل وعشرة الاف من الخيل ونزلت طائفة من الصاري من الاحاسي وتجهضوا بتصر الديماس فانذر المسلمون بهم فاخذوهم * وكان عدد المراكب الواردة من صقلية ثلثمائة مركب منها ما هو مشحون بالسلاح والالات الحرب ومن

الخيل الف فرس وفرسان وكان غالب المراكب عثت قبل وصولها من
 مدة هيجان البحر فلم يرجع منها لك صقلية إلا قدر مائة مركب ولم ينج
 من الخيل إلا فرسان * وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية أخذ المهدية
 لأنه سمع بالأمير الحسن أنه صالح الملك رجار الرومي صاحب صقلية
 ووثقت بينهما الهدنة وكان ذلك لأن الحسن أرسل إليه بهدية وصالحه
 مخافة من شره فتم الصلح وشرط اللعين عليه شروطا فقبلها فكتب أهل
 المهدية يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية وأطعموه بتسليم البلد
 فوثق بهم وبعث إليها جيشا في البر ومراكب في البحر وبعث مقدم الجيش
 اللعين مظرفا فنزلها برا وبحرا وجاءته العربان من كل فج ولم يكن له
 أرب في القتل لأطماع أهل البلد إياه وطال الحصار على أهل المهدية وانصل
 الخبر برجار صاحب صقلية فبعث أسطولا عظيما لنصرة الحسن وأمر المقدم
 على الأسطول أن يقف عند أمر الحسن ونبيه فلما جاء أسطول اللعين
 وأنتشر حول المهدية طاح ما بيد صاحب بجاية وأراد النصراني أن يعكس
 مراكب أهل بجاية فمنعه الحسن وأمره بالكف عن القتال لأنه كره
 سفك دماء المسلمين وفرت مراكب بجاية بالخسبة ورحل الذين كانوا
 منازل المهدية من البر بعد أقامتهم عليها سبعين يوما وذلك سنة تسع
 وعشرين وخمسمائة ورجع الأسطول إلى صقلية وكتب الحسن كتابا إلى
 الملك رجار يشكره على فعله وأنه داخل تحت أمره ونبيه فتأكدت بينهما
 المحالصة وعند ذلك استقامت أمور الحسن * وفي هذه السنة أرسل عبد الله
 رجار أسطولا إلى جزيرة جربة مشحونا برجال المسلمين من أهل صقلية ورجال
 من الأفرنجيين بعدد وقوة عظيمة ونزل جزيرة جربة وأخذها عنوة بالسيف
 وقتل رجالها وسبي حريمها وبسأهم في صقلية ورجع إليها من سالم ودخل
 تحت طاعة رجار وولى عليها حاملا من قبله وكتب لهم أمانا من عنده
 وجعلهم خولا له ودانت له بلاد المهدية وجربة وخافتم البلاد كلها وتشمي
 اللعين بانتمه والحسن في غالب أوصائه يدافعهم من نفسه بالتي هي أحسن

لأن كانت سنة ست وثلاثين وخمسمائة ابتدأت بينهما الوحشة بسبب مال استسلمه الحسن من بعض وكلاء اللعين وماطلة به * فبعثت مركباً إلى المهديّة وأظهر شره فدافعه بالحسنى وأهدى إليه عدة أسارى فلم تقنع عنه شيئاً وأرسل الحسن رسولا إلى الملك رجاء ولاطفه وشرط اللعين شروطاً على الحسن فقبلها ودخل تحت طاعته وجعله عاملاً من عماله وهداه هدية مكر * وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة نازل اللعين مدينة طرابلس فهزموه ولم يتعلق منها بشيء وفي هذه السنة بعث إلى جيهل فلخذهما عنوة وسفكت دماء أهلها وسبى حريمها وأحرقها بالنار وهي من عمالة بني حاد من ولاية بجاية * وفيها ملك جزيرة قرقر وسبى أهلها وباعهم في صقلية وسن سلم ورجع لها دخل تحت طاعته وخافته جل البلاد الأفرقيّة * وفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أرسل مائتي مركب إلى طرابلس وفتحها عنوة وقتل وسبى وعفا عن الباقيين وأحسن إليهم وأمن سن جاء حاربوا وأذعنوا لطاعته ولما ذاع خبر طرابلس خافته جميع البلاد الأفرقيّة وكتب إليه صاحب قابس يتضرع إليه ويتلطف وسلم له ما تحت يده ورعي أن يكون عاملاً له فكتب له سجلاً بذلك وبعث له ما يشرف به من تشاريف النصارى وحبى أموال قابس من تحت طاعته * قلت أئود بالله من الخذلان وإلّا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين وإنما هي من حزب الشيطان لكن حب الدنيا والرياسة ألجأهم إلى هذه الرذائل وحبك الشيء يعني ويعني * وفي هذه السنة كان القحط بأفريقية حتى فر غالب الناس إلى صقلية * وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة استعان معمر بن رشيد بالحسن صاحب المهديّة وبجمع من الأعراب على يوسف صاحب قابس وعاضده محرز بن زياد فحاصروا قابس وقتلوا يوسف وأعمالها واحتوى محرز بن زياد عليها * وفسر القائد عيسى أخو يوسف إلى صقلية وأسلم النصراني أن الحسن مكن أمان على قتل يوسف فأنقذ اللعين من ذلك لكون كل منهما تحت طاعته فعول على خزو المهديّة فحشد

جيشا عظيما وبعنه في مراكب مشحونة بالسلاح والاث الخرب فدهموا
 المهديّة على حين غفلة فاندهل الناس عند ما راوا لاسطول ففرت الناس ولم
 يصكن لهم مدافع وفر الحسن دون قتال وجل اهلهم وتن ساعده وخلف
 ذخائره وبعض اهلهم وتوجه الى المعلقة التي بمقربة من تونس ونزل عند
 محرز بن زياد فرحب به واكرم مثواه واما اهل البلد فتراجعوا عنه * وان
 المقدم على لاسطول لما دخل المهديّة امر بالكف عن القتل والنهب ونادى
 في الناس بالامان وتن لم مسكن رجع اليه وهدن اهل البلد واحسن
 لمن رجع واحتوى على ذخائر الحسن وعائثاته ما لا يوصف ولقي بعض
 اولاده واهله وامهات اولاده يعني اولاد الحسن فاحسن اليهم وارسلهم لصقلية
 وعمر عدو الله المدينتين زويلة والمهديّة ودفع للتجار رجوس اموال واحسن
 لفقهاءهم وجعل قاضيا مرضيا يحكم بين الناس ومهد قواعد البلدين وبعث
 في الناء ذلك بجيشين احدهما لسوسة والاخر لصفاقس اما اهل سوسة
 فسلموا له البلد دون قتال فاحتوى عليها عدو الدين ونهبها واعاد لها اهلها
 واما اهل صفاقس فدافعوا عن انفسهم بقدر طاقتهم واخذوا العدو عنوة واخذ ما
 فيها ورد اليها اهلها واحسن اليهم واولى عليهم ولاية من قبله * وجاءته وفود
 العرب واكابرهم فدخلوا في طاعته واستوثق له الحكم على اكثر البلاد وجبى
 خراج رعاياها برفق منه واحسان واستمال الناس وسار فيهم سيرة حسنة
 بالرفق بهم ونازل قلعة اقليبية فلم يقدر عليها لتجمع اكثر العرب فيها *
 ولسم نزل هذه البلاد بيد اللعين الى ايسام امير المومنين عبد المومن بن
 علي فاستنقذها من ايديهم سنة خمس وخمسين وخمسائة ورد لامير
 الحسن الى المهديّة كما سيأتي ان شاء الله تعالى * والامير الحسن هو اواخر
 الصنهاجيين من بني مناد * واول سن ملك افريقيّة بلكين عند رحيل المعز
 الى مصر كما سبق في اول الكتاب وان كان زيري ومناد ملكين فانهما لم
 يتصرفا في عمل افريقيّة * وعدة سن ملك منهم افريقيّة ثمانية اخرهم
 الحسن الا انه لم يبلغ ما بلغ من قبله لان ملك من تقدم من اجداده من

برقت له تلسان وما وراء ذلك * وقسمت البلاد بينهم بعد موت المنصور
ابن بلكين فقام حاد بن بلكين على ابن أخيه باديس وجرت بينهما عدة
وقائع * واحتوى حاد على البلاد الغربية وصارت بلد بجاية دار ملك
بني حاد كما أن بني زيري دار ملكهم أولا المنصورية ثم انتقلوا إلى المهديّة
في زمن العز عند دخول العرب وقد تقدم * ومدفنهم في بلد المشتهر بقصر
السيدة وكان لهم ناموس عظيم وعساكر عديدة وبلغوا رتبة السلاطين *
فسلّمت وأنا استغفر الله أن بني حفص لم يبلغوا ما بلغوا وإن كان ذكروهم
عند الناس أكثر إلّا النادر منهم وكون بني حفص خطب لهم بامير المؤمنين
ولم يخطب لبني مناد بامير المؤمنين وكانوا كلهم أهل نجدة وشجاعة
واحسان ومعروف * والحسن هذا الذي هو آخرهم كان قوي النفس
جسمه الفكر لا يتزحزح لعظام الأمور ولا يتضعع لنوائب الدهور مستوقد
الذهن شجاع القلب كريم النفس حسن التروية ينظم الشعر إلّا أن أيام
ملكهم أخذت في الأدبار * وانقطعت كراكب سعودهم وأفلت من
منازلهم الشمس والاقمار * وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها * ولا يباس
سقيمها * وبهذا جرت عادة الله في خلقه إنما الدهر دول بعد دول لا يسال عما
يفعل وهم يسألون * ولتختم هذا الباب بفائدة وهي أن عبيد الله المهدي
لما أراد بناء المهديّة ووضع أول حجر منها أمر أن يرعى بسهم من عند الحجر
إلى ناحية المغرب فانتهى إلى المصلى فقال المهدي إلى هاهنا يبلغ صاحب
العمار يعني أبا يزيد الخارجي وأمر بقيس مسافة الرميّة فكانت مائتين
وثلاثاً وثلاثين ذراعاً * فحسب هذا عدد ما تُقيم بأيدينا والبناء سنة ثمان
وثلاثمائة وأخذت سنة ثلث وأربعين وخمسمائة فاتفق الحساب كما قال
تقريباً أو تكون سنين شمسية فالخالة بينهما قريبة على ما أخبر به
وذلك أن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه قتل سنة إحدى وستين
ولم يكن لبني فاطمة بعده ملك إلى أيام ظهور بني عبيد واستقرارهم في
الخلافة لأنهم يجعلون ابتداء أمرهم بناء المهديّة فالمدة التي بين مقتل

الحسين وابتداء الملك مائتان واربعون سنة فتكون أيام دولتهم بقدر ذلك لان دولتهم انقضت باخذ المهديّة وأن بقيت بقيّة منها بمصر في تلك المدة لان العاصد توفي سنة سبع وستين وخمسة فان المهدي لم يخبر بدوام الملك لهم إلّا بدوام المهديّة وإذا خرجت خرج الملك عنهم فكان كذلك لان المدة الزائدة كان فيها اضطراب فلا يعد * ومسئّن ذلك ان المعز لدين الله لما اراد ان يتوجه لمصر قال لبلكين يا يوسف اعلم ان المهديّة دار ملكك وصيانته ذريتك وملكك ملصق بملكنا فمضى خرب ملك المهديّة خرب ملكنا لان ملك المهديّة خرب بموت عليّ وألّد الحسن فان الحسن لا يعدونه سلطانا لان خلاصه من الملك وخروجه عن سلطنته كما انهم لا يعدون من الخلفاء من كان بعد الامر باحكام الله لان الامر هو العاشر من الخلفاء على نسق واحد اب عن جد ومن بعده خرجت لابن عمه وكذلك جعل بعض من يتعاطى هذا الحساب ان العشرة من الخلفاء الذين هم على نسق واحد يقابلونهم بعشرة من صنهاجة على نسق واحد اولهم مناد وماخروهم الحسن وان اردت فاسقط الثلثة الذين حكموا بالمغرب وعد من الذي اخذ مصر وهو المعز الى الامر باحكام الله تجد سبعة على نسق واحد يقابلهم بسبعة من صنهاجة اولهم بلكين لانه تقدم من قبل المعز على افريقيّة * وكما ان المعز اول المصريين فيوسف اول من فملك في الافريقيّين الى عليّ فيكون العدد سبعة سلاطين وسبعة خلفاء كلهم مستقل غير مغلوب عليهم * وهذا علم لا يعلمه إلّا الله وما ذكرت هذا الكلام إلّا لان من لم لا يصدر إلّا بالهام من الله او اخبار عن مصدق وان ثبت هذا الكلام من هولاء القوم فهم عندي من اهل بيت النبوة بلا شك والله حبيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثابت * وهذه الاخبار تكون لهم من الكرامات ورايت كثيرا من التواريخ تثني عليهم بالمحاسن الجميلة والعلوم الجليلة إلّا ما قل منهم والبعض يخرجهم عن دائرة الاسلام لاظهارهم مذهب الشيعة والغلو فيه والتمنع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم واهل البيت يجعل قدرهم عن الرذائل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انتهى خبر منهاجته وتتلوه الدولة الحفصية *

الباب السادس

في الدولة الحفصية

فيه فصلان الفصل الاول في ذكر تن تولى من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد وتن بلغ درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة وتن بلغ درجة الخلافة ولم يتسم بها وتن بلغها وتسمى بها وتن لم يبلغها وتسمى بها وكيف اتصل الامر بيني حفص ليكون توطئة لخبارهم * ويعلم المتامل مبشدا امهم اذا سرح طرفه متتبعا لاثارهم * والفصل الثاني في كيفية اتصالهم بالملك وبعض اشياء من اخبارهم وسيرتهم ومحاسنهم *

الفصل الاول

اعلم ايها المتامل اصلح الله احوال الجميع انه تقدم في ما نقلته واوردته هنا ان افريقية لما فتحت في صدر الاسلام كانت دار الامارة بالقيروان ومن هناك تخرج العمال الى اخر المغرب ومنها فتحت الاندلسية وصقلية * ولما كانت سنة خمس وثمانين ومائة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن محمد الملك بن مروان بن الحكم لادوي الى الاندلس فارا من بني العباس لما سلبوهم ملكهم فاستحوذ على بلاد الاندلس واستقل بها ودامت في ايدي بني امية وخرجت الاندلسية عن طاعة بني العباس فلم تكن لعمال افريقية طريما يد * واما ال ب من المورخين : يع امير المؤمنين هارون الرشيد باجتماع الامة ما عدا جزيرة الاندلس وذلك لبعدها والبحر حائل بين المملكتين * وفي سنة ثمانين ومائة ظهرت بنو ادريس في المغرب وبلغهم خلق من البربر واستخلفوا هناك وتسموا بامراء المؤمنين ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة ولما ظهرت بشير جديد بالمغرب وقعدوا متعدد الخلافة

فازعوا كالأداسية في أعمالهم وانزلوهم منزلة عمالهم واستحوذوا على أكر ما
 بأيديهم إلى أن ساروا إلى بلاد المشرق وخلفوا منها جنة عمالا لهم
 وملكهم بلاد المغرب فظهرت زناتة بالمغرب وتمسكوا بدعوة الروافيين وكانت
 بينهم حروب ماث من الفريقين من تمسك بالدعوتين صائم لا يعلمهم إلا
 الله تعالى ، وخرجت عساكر بني أمية لبر العدو وأحسنوا إلى من تمسك
 بدعوتهم وميزوا بين عمل هاشم وأمية إلى أول المائة الخامسة ضعفت فيها
 الدولتان وقام بالمغرب عدة قوام من المفسدين وقليل من المصلحين فقيض
 الله سبحانه وتعالى دولة الملقين صنف من البربر من لواتة ويقال لهم
 المرابطين فملكوا بلاد المغرب بأسرها وكانت أيامهم مستقيمة إلى أن قام
 عليهم ابن تومرت المهدي . ولم يتسم أحد من لواتة باسم السلطان إلا يوسف
 ابن تاشفين تسمى بأمير المؤمنين وخطب له بهذا الاسم ولبيته من بعده
 وكان له سلطان بالمغرب وبلغ درجة الخلافة * ولما قام عليه المهدي
 تسمى بأمير المؤمنين ولما مات أوصى بها لعبد المؤمن فورثها وأورثها بنوه
 وتمت لهم الخلافة إلى أن ظهرت بنو مرين وغلبوا بني عبد المؤمن تسموا
 بأمراء المرينيين أيضا إلى أن فرغ الله ملكهم على يد الأشراف الذين قاموا عليهم
 قبل كالف من الهجرة . ولما ضعفت دولة بني عبد المؤمن بالمغرب وكثر
 اضطرابها استقل بنو حفص بافريقية وتسموا بالخلفاء ولم يصل أحد منهم
 إلى رتبها إلا ما قل منهم وكانوا عمالا لبني عبد المؤمن في السابق واستقام
 أمرهم بافريقية ودار ملكهم الحضرة العليا إلى أن وصل اليهم ما وصل لغيرهم
 وأتى عليهم ما أتى على غيرهم واستولت الدولة الحفافية على بلادهم * وطردوا
 القوم من أوطانهم * وأوحشهم بعد الأيناس * وتلك الأيام نداولها بين الناس *
 وحسبك بلغنا إلى هذا المقام * ووطننا الأمر بالقول وجب علينا التمام *
 فاقسول أول سن خرج من الطاعة وفارق الجماعة بنو أمية بالمغرب
 كنعلمهم بالمشرق * وأول سن تاجر بالاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام
 ابن عبد الملك فأنجاز إليه كل أموي كان هناك وقصد قرطبة دار الامارة

وقتل يوسف بن عبد الله الفهري بعد وقائع واستولى على الجزيرة وإطاعه
 لاندلس بأسرها وملصكها ثلثا وثلاثين سنة وقاسى بها شدائد إلى أن توفي
 وتولى بعده ولده هشام بن عبد الرحمن فملكها سبع سنين وتوفي وولي ابنه
 الحكم بن هشام فأقام واليا ستا وعشرين سنة ثم توفي وولي ابنه عبد الرحمن
 ابن الحكم وملكها إحدى وثلاثين سنة ثم توفي وولي ولده محمد بن عبد الرحمن
 فأقام واليا أربعا وثلاثين سنة . وفي أيامه انتهى جيش المسلمين إلى مائة ألف
 فارس منهم مشرورون ألفا بدروع الفضة وأنشأ في البحر سبعمائة غراب لم
 توفي وولي المنذر بن محمد فأقام واليا خسا وعشرين سنة ثم توفي وولي عبد
 الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجلس مجلس الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين
 وكان حين تقدمه يخطب لبني العباس ولما ظهرت بنو هبديد وخطب لهم
 بأمير المؤمنين اقتدا بهم وأقام واليا خمسين سنة منها خمس ومشرون في غزو
 وحروب وباقيها في الخلعة والراحة وبني الزهراء فكمالت في خمس وعشرين
 سنة . وحصر لأمراء ما أنفق عليها فوجدوه خمسة وثلاثين مدا من الدراهم
 القاسمية سوى ما سخر فيها من الرعية وزواله وزوال أصحابه وأجناده
 ثم توفي وولي ولده الحكم ابن عبد الرحمن فكانت خلافته خمس عشرة سنة
 ثم توفي وولي ولده هشام بن الحكم وتلقب بالمويد وحجب له محمد بن أبي
 عامر وكان في غاية الذكاء واستمال الجند وسار في الناس سيرة حسنة وبعث
 لكل عمل من يثق به وأحسن للرايا فكانوا معه على كلمة واحدة . وحجر عن
 هشام وجعل بيت مال ونقل إليه أموال الخلافة ولم يبق لهشام سوى الخطبة
 والسكة وينفذ الأمور ويظهر للناس أنها تصدر عن أذن الخليفة وسميت همة
 إلى أن قاد العساكر إلى الروم ونال منهم ما لم ينل غيره من قبله ولا من بعده
 وقادهم بنواصبيهم وأنزلهم من صياصبيهم وجاءتهم من القسطنطينية ومن رومة
 الرسل والهدايا وطلبوا مسالمة وأنزل قوامس قشتالة وجليفه منزلة عماله
 وقبلوا سجلاتهم ودخلوا تحت طاعته وأقام على هذه الحالة ثمانين وعشرين
 سنة وتوفي سنة ثلث وتسعين وثلاثمائة وأخبرارة دونت فيها عدة

دواوين * وتقسام بالامر بعده ابنه عبد الملك واقرة هشام على ما كان عليه
ابوه فاقام سبع سنين ومات ولم عدة وقائع مع العدو وكان النصر له
وسماه الخليفة المحاسب المظفر وقام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن فعامل
الاجناد والناس بالكذب وطلب من الخليفة ان يجعله ولي عهد ففعل ذلك
فلما علم بنو امية قاموا عليه وقتلوه وقتلوا هشاما الخليفة معه وقيل ان
الخليفة اختفى ولم يظهر بعد * ولما سمع اهل الجزيرة ثار كل عامل ببلده ثار
زيري بن زيري بناحية غرناطة وعباد القاسمي باشبيلية واسماعيل بن ذي
النون بطليطلة وابن هود بسرقسطة وابن لافطس ببظليوس وابن صمادح
بالميرية وابن مجاهد بدانية ، هولاء مشاهيرهم ، وانقطع اسم الخلافة واشتعل
الحرب بين الامراء وتفرقت كلمتهم وحارب بعضهم بعضا وكثرت الفتن
وانبسط عدو الدين في الجزيرة وبلغ منهم كل مبلغ ما بين قتل واسر وءاخر
الامر التي صاحب قشتالة على اهل الجزيرة الجزية فادوها ، وانما اهلكهم
التحاسد واختلاف الكلمة وها نحن في طرف من ذلك حانا الله من هذه
الفتن بكرمه وامين ، ولما ضعف الطالب والمطلوب من لاندلس وظهر الفتن
ابن فردند قوي مزمه وطمعه في البلاد وصايق على اهلها وكان يغري بعضهم
على بعض ويعين هذا على هذا ويشاغل اموالهم وهم مع ذلك منعكسون
على لانهمالك والمحاربة ، وتسمى كل واحد منهم بغير اسمه كالمقتدر والمعتمد
والمتوكل والموتن وغير ذلك ، وكان ابن عباد ارسل الى الفتن رسلا للمهادنة
فلاطفه الرسول بالكلام واخذ يعتذر عن صاحبه فقال له الفتن لعنه الله
— كيف يحق لي ان ابقي هولاء المحمقا يعني روساء لاندلس وكل واحد
منهم تسمى باسم خليفته وهولا يدفع عن نفسه ضرا ولا نفعا — * قسلت
رحم الله ابن رشيق حيث قال *

مبا يبغضني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتمد

القاب سلطنة في غير مملوكة كالمهر يحكي انتفاخا صورة لاسد

ولم يزالوا في شرهم الى ان تهدد شملهم * ويحسكي ان بعض روساء

الاندلس اهدى للفنش هدية قيمتها مائة الف دينار فاعوضه عنها فردا فكان يفخر بذلك الفرد اعادنا الله من الخذلان * واول مدينته اخذها مدو الدين طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * ولما ملك طليطلة تسمى لعنه الله بالانبراطور ومعناه كالخليفة عند المسلمين واقسم لا يدع إلا من يدخل تحت طاعته * ولما رأى روعاً لاندلس أن لا طاقة لهم بمداغته بعثوا إلى امير المؤمنين يوسف بن تاشفين ودخلوا تحت طاعته فنصرهم على عدوهم وجلا عنهم ما كانوا فيه وسيأتي أن شاء الله تعالى * ومسلم الملوك الذين كانوا بالمغرب وهم الفواطم الذين يقال لهم الادارسة قاموا بالمغرب وامتدت دولتهم ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة * فاولهم ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بسريع بمدينته وليلى في رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة وامتقام له الامر وكثرت جموعه وذلك في خلافة هارون الرشيد فيقال انه بعث إلى عامله بالقيروان ابراهيم بن الاغلب فبعث إلى ادريس بن اغتاله ومات مسموماً وكانت أيامه خمس سنين وستة أشهر * وبسريع ولده ادريس ابن ادريس وكان خلفه في بطن امه ولما كبر استقل بالامر وكانت له عدة غزوات وهو الذي بنى مدينته فاس واسسها وصارت دار ملك الادارسة وتوفي سنة ثلث عشرة ومائتين وعمره ثلثون سنة * وتولى ابنه محمد بن ادريس بن ادريس بعد وفاة ابيه وقسم البلاد بين اخوته وتوفي في ربيع الاول سنة احدى وعشرين ومائتين فكانت أيامه ثمانية اعوام * وقسم بالامر بعده الامير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس وسنه يوم بويج تسعة اعوام بوصية من ابيه لما يعرف فيه من الذكاء فسار بسيرة ابيه وجده في اقامة الحق وتوفي في رجب سنة أربع وثلثين ومائتين فكانت أيامه ثلث عشرة سنة * وعمره لخمى يحيى بن محمد بن ادريس فسار بسيرة اجداده وكثرت العبارة في أيامه وقصده الناس من الافاق وبني في أيامه جامع القرويين بفاس ومات من كد اصابه على حادثة

جرت له بطول شرحها * وقام بالامر بعده الأمير علي بن عمر بن إدريس
بعد وفاة ابن عمه وقام عليه عبد الرزاق الخارجي فاقتتل معه فانتصر
عبد الرزاق عليه وفر علي المذكور أمامه وملك عبد الرزاق مدينة فاس
فكتب أهل البلد إلى يحيى بن القاسم بن إدريس فقتل عبد الرزاق
واستقل بملك فاس وتم له الأمر إلى أن خرج لبعض اصداؤه فمات *
ومضى إلى ابن عمه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس وكان الطيهم
ذكورا وأقوام سلطانا وعدلا وكراما حازما بطلا ذا صلاح ودين ولم يزل على
ملكه إلى أيام مصالة قائد الشيعة سنة خمس وثلاثمائة فحاصره بفاس بعد
المدافعة وصالحه عن مال وبايع لعبيد الله الشيعي * وفي سنة تسع
وثلاثمائة عاد مصالة للمغرب فسعى يحيى لمصالة فأرسله بالحديد وعذبه
وسبى أمواله ونفاه إلى مدينة أصيلا وأستولى على فاس ربيعان المكناسي
ثلاثة أعوام وقام عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس
سنة عشر وثلاثمائة ومات في قتاله ابن أبي العافية لما تغلب على مدينة
فاس وخطب لبني مروان ولما قدم ميسور الفتي قائد الشيعة فر ابن أبي
العافية وتبعه ميسور بن معه وكانت بينهما حروب إلى أن قتل ابن
أبي العافية ورجعت بنو إدريس إلى غالب بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا
بدعوة الشيعة * وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس الملقب بكنون
وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة * وتولى ولده أجد بن القاسم كنون
وكان عالما فقيها وكان مأثلا إلى بني مروان فقطع دعوة العبيديين ودخل
لأندلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلث وأربعين وثلاثمائة * وتولى
أخوه الحسن بن كنون وهو آخر الأدارسة ولا زال الأمر لبني مروان إلى
أيام جوهر لما دخل المغرب فبايع الحسن لبني عبيد * ولما رجع جوهر إلى
أفريقية نكث ورجع للمروانيين إلى أيام بلكين عاد إلى بني عبيد وأخوه
سلب ملكهم ومات شريدا وبه انقضت دولة الأدارسة من المغرب *
وأيام ملكهم تقرب من مائتي سنة وبلادهم من سوس لأقصى إلى وهران وقاعدة

ملكهم مدينة فاس وكانوا يكابدون ملكني هاشم وامية * وقسمت
 بعدهم يفرن وزنائة من بلاد المغرب وخطب بها الهروانيين والله اعلم
 بذلك * واما الذين تم لهم الامر وبلغوا مبلغ الخلفاء هم الذين يقال لهم
 المرابطون والملفمون قبيلة من البربر يقال لها لغونة ولتونة فخذ من صنهاجة
 ولد عبد شمس بن وائل بن حير خلفهم افريش لما دخل المغرب فاستوطنوا
 افريقية وصنهاجة وكنامتهم من دهاة البربر والبربر قبائل لا تحصى واكثرهم
 صحراويون وبلادهم في القبلة مسيرة ستة اشهر طولا واربعه اشهر عرضا ولا
 يعرفون حرثا ولا زراعا ولا فواكه ويشتهم اللحم واللبن يقوم احدهم طول حياته
 لا ياكل طعاما واكثرهم على السنة والجماعة * قلت والله اعلم هم الذين يقال
 لهم التوارك في هذا الزمان ويجاهدون السودان * واول من تبلىك منهم
 بالصحراء تيولقان ابن تيكلان ملك الصحراء باسرها ودانت له ملوك
 السودان وادوا له الجزية وكان يركب في مائة الف نجيب وكان في
 ايام عبد الرحمن الداخل ودامت ايامه وعاش ازيد من الثمانين وتوفي
 سنة اثنيتين وعشرين ومائتين * وتسولى حفيدة لاقرين بن نصير بن
 فلو يومان فاقام بامر صنهاجة وتوفي سنة سبع وثمانين فكانت ايامه خمسا
 وستين سنة * وقسم من بعده بامر صنهاجة نعيم بن لاثير الى ستة
 ست وثلاثمائة فقام عليه اشياخ صنهاجة فقتلوه وتوزق شملهم ولم يجتمعوا
 على احد نحو مائة سنة وعشرين سنة الى ان قام فيهم ابو عبد الله محمد بن
 تيفات المشرقي فاجتمعوا عليه وقدموه وكان من اهل الدين والفصل والصلاح
 والحج فاقام ثلثة اصوام واستشهد بغارة وهم قبيلة من السودان على دين
 اليهودية وقدموا بعده صهري يحيى بن ابراهيم الكدالي فاقام على رياسته الى سنة
 سبع وعشرين واربعمائة فارتحل الى الحج واستخلف مكانه ولده ابراهيم
 ابن يحيى على قبائل صنهاجة يدبر حروبهم مع اعدائهم ولما قضى يحيى
 حجه قفل الى المغرب فاجتاز بالقيروان فلقى فيها الشيخ الولي ابا عمران
 موسى ابن ابي حجاج الفاسي يدرس العلم فجلس اليه وسمع منه فرأاه ابو

عمران سحبا للخير فسأله من حاله وعن بلاده فأنخبره عنها وعن أهلها . فقال
وما ينتقلون من المذاهب فقال أنهم قوم غلب عليهم الجهل فسأله هل يعرف
شيئا من الكتاب والسنة فلم يجد منبذ شيئا إلا أنه حريص على التعلم صادق
النية فقال له الشيخ وما يمنعك من ذلك فقال يا سيدي غلب عنا الجهل
وليس عندنا من يرشدنا ولو وجدنا من يعلمنا السنة والقرآن لسارنا إليه
فإن أردت الثواب فابعث معي من طلبتك من يعلمنا ولكم لأجر فاستدب
الشيخ طلبته فلم يجد فيهم أحدا فقال الشيخ اني اعرف رجلا ببلد نفيس
من المصامدة تقيا صالحا ثقيني هنا واخذ مني علوما كثيرة اسمه وهاج بن زلوا
العظيم اكتب اليك كتابا اليه يبعث معك احدا من طلبته فكتب له الشيخ
كتابا فسار يحيى بن ابراهيم الى الشيخ وهاج ونلوه كتاب ابي عمران فاستدب
لذلك رجلا من طلبته يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي * وكان من
حذاق الطلبة ومن اهل الدين والعلم والصلاح فخرج مع يحيى الى بلاده فلما
وصلوا تلقاهم قبائل كبدالة وفرحوا بهم . ولما نزل ابن ياسين وحل بساحتهم
راى المنكرات فاشية وإن الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء فانكر عليهم
ذلك . وصار يعلمهم الكتاب والسنة وينهاهم عن المنكرات فلما شدد عليهم
تبرعوا منه ونافروه ومع ذلك لم يجد عندهم من الدين إلا الشهادتين . فلما
راى عبد الله بن ياسين اعراسهم وتشبعهم أهواءهم اراد ان يرتحل عنهم . فقال
له يحيى يا سيدي انما جئت بك لخاصة نفسي وما طي من صل من قومي
ولكن ان كنت تريد لآخره فهذه عندنا جزيرة في البحر اذا حصر الماء عنها
دخلنا اليها على الاقدام فيها الحلال المحصن من الشجر والسمك فدخل اليها
وتعبد فيها الى الموت فقال له نعم فدخلاها ودخل معها سبعة انفار من
حكدالة وبنوا بها رابطة فاقام معه اصحابه يتعبدون فتسامع الناس بهم
وبخبرهم وانهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثر الواردون عليهم واخذ عبد
الله يعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويرغبهم في ثواب الله لى ان تمكن من
قلوبهم فسموا بالمرابطين للازمهم رابطة ابن ياسين فلما اجتمع عنده الف

رجل قام فيهم خطيبا ووعظهم وحذرهم عذاب الله وقال لهم لان يجب عليكم قتال من خالفكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال لهم اخرجوا لقبائلكم وادعهم الى التوبة فان استجابوا والّا فقاتلوهم فخرج بهم الى قبائلهم وانذرهم وحذرهم سبعة ايام فلم يرجعوا عن فيهم فقاتلوهم واول من قاتلوا منهم كدالة فقتل منهم خلق كثير واسلم الباقون ثم لمتونة واخذ يغزوهم قبيلة بعد قبيلة الى ان هدام الله واجتمعوا على الكتاب والسنة وما يجب عليهم وقسم في القتلى على المرابطين وجعل بيت مال على مقتضى الكتاب والسنة فتسامع به اهل الصحراء وانتشر عدله في بلاد السودان * وتوفي الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فقدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللثوني ليقوم بحروبهم وابن ياسين هو الامير على الحقيقة يامر وينهى ولما قدم ابن ياسين يحيى وكان من اهل الدين والصلاح امره بجهاد العدو * ولما كانت سنة سبع واربعين واربعمئة بعث فقهائهم سجالسة ودرعة الى ابن ياسين يشكون اليه جور عاملهم فغزاهم فوجد عاملها قد استعد له فكانت بينهما حروب انتصر فيها المرابطون وغنموا غنما عظيمة وقسمت الغنائم واخذ ابن ياسين الخمس ومهد البلاد وجعل عليها عاملا وابطل المكوس وغير المنكرات ورجع الى الصحراء * ومات الامير يحيى فقدم عليه عبد الله بن ياسين اخا الامير يحيى وهو الامير ابو بكر بن عمر اللثوني وكان صالحا متورعا فغزا بلاد المصامدة والسودان ففتح بلادا كثيرة * وبعث عبد الله بن ياسين العمال الى ما تحت يده وامرهم بالكتاب والسنة وغزا بالمرابطين مجوس بني غواط وهم قبائل كثيرة على مذهب صالح بن طريف لما ادعى النبوة في زمن هشام بن عبد الملك وشرع لهم دينا وشرائع سخيطة لعنه الله تركناها خيفة التطويل فقتل بين الفريقين خلق كثير واستشهد عبد الله بن ياسين في تلك الحروب رحمه الله تعالى سنة احدى وخمسين واربعمئة * وكان رحمه الله تعالى شديد الورع لم ياكل من لحومهم وانما ياكل لحم الطير وكان دينيا حبرا رحمه الله تعالى * واستقل بالامر ابو بكر بن عمر اللثوني وتصادى

في غزوات بني غوطاة فقتلهم واستأصلهم ففروا بين يديهم إلى الصحراء
وتبعهم إلى أن احتوى عليهم وأسلموا أسلاماً جيداً * وكان أبو بكر ديناً
لا يستحل دماء المسلمين فخرج إلى الصحراء لقتال من بها من كفار
السودان واستخلف على المغرب عنه يوسف بن تاشفين فخرج أبو بكر
للمصاهرة وبقي يوسف بن تاشفين بنصف الجيش يهدد البلاد واستقامت
أمره وذلك سنة ثلث وخسين وأربعمائة وفتح غالب بلاد المغرب وكثرت
جيوشه وثوفي الأمير أبو بكر في الصحراء شهيداً سنة ثمانين وأربعمائة *
واستبد الأمير يوسف بملك المغرب كله لا ينازعه منازع ودانت له البلاد
وكان على جانب عظيم من الدين ولباسه الصوف ولم يلتفت إلى زخرف
الدنيا ولم يأكل إلا الشعير والبان الأبل وحومها مع ما أعطاه الله من الملك
ومملك جزيرة لاندلس والسودان والمغرب إلى جزائر بني مرزنة ولم يجر
في بلاده مدة حياته مكس ولا ما هو خارج عن الشرع وخطب له على
الفرس وتسعمائة منبر وبنى مدينته مراكش وجعلها مستقراً لملكه . ولما شاع
ذكوره في الوجود بعث إليه أهل لاندلس لنصرتهم لأن عدو الدين تغلب
على أهل الجزيرة وكان رسولهم المعتمد بن عباد فلقبه في أحواز طنجة فشكا
إليه بحال أهل الجزيرة وما عليها من الخوف والذل فومده بالمسير إليهم
وبسعت له جميع أعماله يرغبهم في الجهاد ويستفزههم معه فاجتمع له
خلق عظيم ودخل إلى لاندلس بجيوش المرابطين بقصد الجهاد سنة تسع
وسبعين وأربعمائة وكانت له بها الواقعة المشهورة بالرياسة * وكان عدد
سكرك الفنس لعنه الله فيما نقل ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل فلم
ينهم منهم إلا الفنس ومعه أربعمائة منقلوب بالجرار ولم يدخل إلى بلد
قسنالة إلا في خمسين فارساً وبعث يوسف إلى جميع البلاد بهذا الفتح وكان
يوم الجمعة الثاني عشر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وفيه يقول من قصيدة
لم نعلم الروم إذ جاءت عصمت يوم العروبة أن اليوم للعرب
والعرب تسمي يوم الجمعة العروبة وانصرف راجعاً إلى العدو ودخل إلى

لاندلس مرة أخرى في سنة احدى وثمانين وأربعمائة فبقي ابن عباد بالى دابة تجعل لليرة فبات في بلاد الكفرة وجرى وخرب ورجع إلى العدو فاقام إلى سنة ثلث وثمانين وأربعمائة ثم دخل لاندلس ايضا برسم الجهاد فلم يلقه احد من رؤسائه لاندلس وهما بغدرة فظن بهم وكان عاهددهم ان لا يغدر بهم * فلما احس بكرهم استفتى علماءهم فكلهم افتاء بخلعهم أي خلع امراء لاندلس وقالوا ليوسف نحن خصماؤك عند الله لان هؤلاء لا تجوز طاعتهم لما ارتكبوهم من التجور وانتهاك المحارم وصيغوا غالب البلاد فتغير عليهم يوسف وخلعهم واحدا بعد واحد واخذ ابن عباد اسيرا وسجنه في اعمات إلى ان مات في السجن ويحكى ان يوم موته نودي عليه الصلاة على الغريب * وروي ان بعض بناته تغزل بالاجر في بيوت بعض خدامهم وابن ابنه يصرم النار في حانوت صائغ بعد ما كان ملكا على اشبيلية وقرطبة ودام ملكهم بها نحو ثمانين سنة فسحقان سن لا يزول ملكه لا يسال عما يفعل وهم يسالون * ولما استولى المغرب والاندلس ليوسف ابن تاشفين تسمى بامير المسلمين وضرب الدرهم والدينار باسمه ونقش في الدينار - لا اله الا الله محمد رسول الله - وتحت ذلك - امير المسلمين يوسف بن تاشفين - وفي الوجه الاخر - ومن يستغفر لا سلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين لا امير عبد الله امير المؤمنين العباسي ولا زال يبحث جيوشه إلى لاندلس متفقدا لاجوالها إلى ان مات سنة خمسائة وعمره مائة سنة رحمه الله تعالى * واستقل بالامر بعده ابنه امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين ببيع بمراكش يوم وفاة ابيه اول المحرم سنة خمسائة وتسمى بامير المؤمنين وملك جميع بلاد المغرب من بجاية الى السوس لاقصى وبلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان وجميع بلاد لاندلس وملك ما لم يملكه ابيه وخطب له على الفئ منبر وثلثمائة منبر * واقام العدل وتولى الجهاد وسار سيرة ابيه وهدىه وفوض احكام البلاد الى القضاة ودخل لاندلس سنة ثلث وخمسمائة

فأقام شهرا على طليطلة * وكان في عسكرة مائة ألف فارس ففتح عدة
قلاع ونكى فيها الروم وفعل بهم العجائب ورجع إلى المغرب * ودخل
إلى لاندلس مرة ثانية بجيش لا تحصي فنزل على قرطبة وتنفذ أحوالها
ودلى ابن رشد الفحصاء وغزا عرب لاندلس فسار أمام الروم وتحصنوا
بقلاعهم وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا لا يحصى ورجع إلى العدو سنة
أربع عشرة وخمسة * وفي هذه السنة ظهر الإمام المهدي محمد بن
تومرت ونازل مراکش وكسر عدة جيوش لعلي بن يوسف * ومسبب
هذه السنة أخذ أمر المرابطين في التدهور ودامت أيام علي بن يوسف في
حروب مع جيش المهدي إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين وخمسة *
وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بويج بعد وفاة
والده وجيز الجيش لقتال عبد المومن وكابد في دولته أهوالا شاقة ولم
يصف له الدهر بشيء لأن دولته عبد المومن في الأقبال ودولته اخذت في
الادبار ولم تكن له أخبار يذكر بها كمثل من تقدمه من أهل بيته إلى أن
توفي رحمه الله وهو في مكافحة أعدائه * وهذه الدولة الملتونية ويقال لها
دولة المرابطين ودولة الملتمين أيضا كانت من أجل الدول بالمغرب وملك
من البلاد ما ذكرنا وما لم نذكره خشية الإطالة وحسنت دولا كانت قبلها
بالمغرب مثل مغارة وبني يفرن ملوك فاس ودولة القيام بالاندلس ويقال
لهم ملوك الطوائف سكان عباد وأمانه وأحسن أيامهم أيام يوسف بن
تاشفين * ونأهيك أن أمام حضرة وهو الشيخ الأكمل صاحب العلوم النفيسة
أبو حامد الغزالي كان عزم على دخول المغرب في أيام يوسف بن تاشفين
فلما وصل لاسكندرية بلغه موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فرجع
إلى المشرق هذا لما يسمع الشيخ عنه من الصلاح رحم الله الجميع آمين *
وقسيل إنما حارب ملك لمتونة بدعاء الشيخ الغزالي وذلك في أيام علي
ابن يوسف دخل كتاب أحياء علوم الدين للغزالي إلى المغرب وظهر عند
الناس ورأوا فيه تشديدا فهجروه وانكروه علماء لمتونة لأنهم كانوا غير عالمين

بعدم لا اصول فلبثوا في الانكار فيه الى ان افقوا بحرهم وتمزقوا خيشما
وجدوه وتطلبوه عند الناس فمن انكره حلقوه بالايمان المغظم كالطلاق وغيره
وليس باغ الشيخ الغزالي ذلك دما عليهم فان قال مزق الله ملكهم وكان
اذ ذلك في مجلسه محمد بن تومرت فقال على يدي يا سيدي فقال وعلى
يديك فكان كذلك وانقرضت دولتهم كعادة الدهر ما صر دولة إلا
واعقبها بالقهر والملك لله وحده لا اله غيره ولا معبود سواه * ومسسسن
الدول التي كانت بالمغرب الدولة الموحديّة والخلافة المومنيّة واصل مبدؤها
الامام المهدي واوّلها عبد المومن بن علي وبنيه الى ان بلغت لبني
حفص وانا اذكر طرفا من ذلك بعون الله سبحانه وتعالى * ذكر
المورخون ان المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن
خالد بن سلم بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن
عطا بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه * وقسيل هو دعي في هذا النسب ذكره ابن
مطروح وقال هو رجل من المصامدة والله تعالى اعلم * واول امره كان
مستغنيا مشغلا بطلب العلم فرحل الى المشرق ولازم ابا حامد الغزالي
ثلاث سنين وحصل عليه فلما عظيم * وكان ابو حامد اذا رأى ابن تومرت
يقول لا بد لهذا البربري من دولة فذكر بعض الطلبة لابن تومرت مقالة
الشيخ واخبره ان ذلك عند الشيخ في كتاب له فلازم ابن تومرت ابا حامد الى
ان اطلعه على ذلك فشغل الى المغرب سنة عشر وخمسة فما اجتاز ببلد إلا
وغير فيه المنكر ويظهر الزهد في الدنيا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ويدرس العلم الى ان وصل الى افريقية والى المغرب وكان لوحد عصرة في
علم الكلام فلما بلغ الى بجاية وقيل تلمسان لقيه عبد الرحمن بن علي فانضاف
الى خدمته واطلعه ابن تومرت على ما في مراده فبايعه على موازنته في الرخاء
والشدّة فلما وصل الى فاس قام يدرس العلم في بعض مساجدها الى سنة
اربعة عشرة وخمسة فارتحل عنها الى مراکش فمقصد مسجدا يروي اليه

وصار يمشي في الأسواق ويغير المنكر ويكسر المزامير فبلغ ذلك لعلي بن يوسف
فامر باحضاره فرأى نقشه فسأله عن فعله فقال له - أيها الملك إنما أنا
رجل فقير وفيرت منكرا وانت أولى بذلك لقد وثقت عليه - ووعظه وحذره فلما
سمع لأمير علي مقالته جمع له الفقهاء وأشياع المتنوفة وأمرهم بمناظرته فابكت
الجميع وكان الغالب عليهم علم الحديث وليس لهم علم بالأصول والمجدل
فلما أبكتهم لبسوا عليه وقالوا هذا رجل خارجي وأمير لأمير بالخروج من المدينة
فخرج إلى الجبانة وبنى خيمة بين القبور وقعد فيها وأتته الطلبة يقرءون
عليه وكنزت تلاميذه وامتلأت قلوبهم بحبته وأعلم الخواص منهم بما
يريد وأخذ يطعن في دولة المرابطين وأنهم كفرة بجسود وأتته هو الامام
المهدي المنتظر فبايعه على ذلك ألف وخسمائة رجل فبلغ خبره إلى أمير
المسلمين علي بن يوسف فبعث إليه وقال له - اتق الله في نفسك ألم انهك
من هذا الجمع - فقال له - أيها الأسير أنا امتلأت أمرك وسكنت بين القبور
فلا تسمع لأقوال المسلمين - فاعلظ له في القول وانتهره ولما خرج من عنده قال
له وزيره - هذا الرجل لم يرد بك إلا شرا أهله وألا فخلده في السجن وإن
أبقيت منه لسمعناك طبلا يسمع به في الخفافين وأظن هذا هو صاحب
الدرهم المربع - فبدأ لأمير المسلمين فيه وأرسل خلفه من يوثقه فسمع بعض
تلاميذه فأتى حتى قرب من المهدي ونادى برفيع صوته - يا موسى إن الملا
يأترون بك ليقتلوك - ففطن المهدي وخرج على وجهه إلى أن وصل
تيمال في شهر شوال سنة أربع عشرة وخسمائة فاحتق به أصحابه العشرة
عبد المؤمن بن علي - وأبو محمد البشير - وأبو حفص عمر بن يحيى
الهناتاني وهرجد الخنصيين الذين ملكوا تونس فيما بعد - وأبو حفص
هر بن علي - وسليمان بن خلوف - وأبراهيم بن اسماعيل الهرجي -
وأبو محمد عبد الواحد - وموسى بن تمار - وأبو يحيى بن مكيت -
هؤلاء هم السابقون لدعوته فبايعوه على الرخاء والشدة وأقاموا بتيمال إلى
رجب سنة خمس عشرة وخسمائة فاجتمع عليه خلق كثير ولما رأى

ذلك أظهر امره وبإيعونه بيعته رضى * وأول من بايعه أصحابه العشرة
ثم بايعه أصحاب تينمال وسائر القبائل فارسل من أصحابه إلى البلاد
القاصية ودعوا الناس لبيعته وذكروا لهم فضائله فدخل الناس في طاعته
واتوا من كل فج عميق وأعلمهم أنه هو الأمام المهدي المنتظر وجعل لهم
توحيداً بلسان البربر وسمى الذين دخلوا في طاعته الموحدين * ولا زال
يخضعهم بمكره إلى أن تمكن من قلوبهم فاجتمع عنده أزيد من مئتين الفا
فخطب بهم وندبهم لجهاد متونة بإيعونه على الموت فانخضب منهم عشرة
آلاف وبعثهم إلى مدينة أغماة فأنصل الخبر بامير المسلمين فبعث اليهم
جيشاً فهزمه أصحاب المهدي واتبعهم بالسيف إلى أن أدخلهم مراکش
وأتوا بغنائمهم فقسمت بين الموحدين . وانتشر خبر المهدي في جميع بلاد
المغرب والاندلس وتمادى في قتال من خالفه وجهز جيشاً آخر فحاصروا
مراكش ثلثة أعوام وأرتحل عنها وذلك من سنة ست عشرة إلى سنة ثمان
عشرة * ولما رجع إلى تينمال استراح بها وخرج إلى أغماة وسائر من خالفه
إلى أن دانت له البلاد وبعث إلى مراكش جيشاً آخر وقدم عليهم عبد
المومن بن علي وأبى محمد البشير وجعل عبد المومن أمام الصلاة فالتقى
بهم جيش امير المسلمين علي بن يوسف فهزموه إلى أن أدخلوه مراكش
وغلاق الأبواب في وجوههم فحاصروه ثلثة أيام . ورجعوا إلى تينمال فخرج
المهدي إلى لتأكنهم وفرح بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح ومدة
ملكهم وأعلمهم أنه يموت في تلك السنة ثم بدا به موعده الذي ملأ فيه
وقدم عبد المومن للصلاة وتوفي في شهر رمضان سنة أربع وخمسمائة
هذا ما يخص خبر المهدي ولو تتبعنا خبره لظال الكلام وإنما انتهت بهذا القصر
ليتمهد لآمره إلى دولة بني حفص . وللناس في اخبار المهدي مدة دواوين بين
مكتوبين ومختصرين ومقلين . والمسهدى متن مهد الملك لغيره وبأمره بانهم
وشرة وكان حاصروا فيما قيل عنه وفخذهاء ملصقين إلى ركبته ولا يرتكب
على الدابة إلا متعزماً والله أعلم بحقيقة امره واستخلف بعده عبد المومن .

الخسبر عن خلافة عبد المومن بن علي الكوفي الزناني

هو ابو محمد عبد المومن بن علي الكوفي الزناني كان ابوه نجارا يعمل النواخج وعبد المومن تطلب العلم من صغره ولازم المساجد الى ان اتصل بالمهدي فصممه اليه لما اراد الله سبحانه به * بويج بعد وفاة المهدي بيعة خاصة بايعة عشرة من اصحاب المهدي لما يعرفون من سجيته وتقديم المهدي له في حياته * وبسويج البيعة العامة سنة ست وعشرين وخمسائة ولم يختلف عنه احد * وفي ايامه انقطعت دولة لمونة من المغرب واول فتحه بلاد نادلا خرج اليها من تينمال في ثلثين الفا من الموحدين ففتحها وسبى ثم غزا درعة ففتحها وبلاد فزان وخيائه ولا زال يفتح بلدا بلدا وقبيلة قبيلة ولم تزل الحرب بينه وبين علي بن يوسف الى ان مات علي وتولى بعده ولده تاشفين فقامت بينهما الحرب وجرت بينهما وقائع عديدة وسار عبد المومن الى تلمسان فسبقه تاشفين اليها فاقى عبد المومن اليها وحاصره بها وخلف جيشا عنها ورحل الى وهران فخرج تاشفين خلفه ليدرك وهران فمات تاشفين في تلك الخطرة وفتح وهران واخذ تلمسان سنة اربعين وخمسائة * وبعث الى الاندلس جيشا ففتحوا ما هنالك وبايعه اهل الاندلس وملك مدينة فاس * وفي سنة احدى واربعين وخمسائة ملك طنجة وفيها ملك مدينة مراكش * وفي سنة اثنين واربعين وفد اليه اهل اشبيلية بالبيعة وفيهم ابو بكر بن العربي فسأله عبد المومن هل راي المهدي عند الشيخ ابي حامد الغزالي قال ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فما كان ابو حامد يقول فيه قال كان يقول لا بد لهذا البربري ان يكون له شأن * وفي سنة ثلث واربعين وخمسائة دخل عبد المومن سجلماسة واتن اهلها ورجع الى مراكش ثم غزا بني غوطمة فهزموه ثم كانت الكرة عليهم فاجال عليهم السيف حتى لم يبق منهم الا من لم يبلغ الحلم وقام عليه اهل نيبته وخلعوا طاعته وذلك براي القاضي عياض وبايعوا لابن غانية ففتح عبد المومن وقاتل اصحاب ابن غانية وهزمهم فلما علم اهل نيبته

كاتبوا عبد المؤمن وطلبوا منه الامان فاسمهم وعفا عنهم ومن القاصي عيلى
وامره بسكنى مراکش وفيها فتحت مكناسة بعد محاصرتها سبعة اشهر
ودخلها بالسيف * وفيها فتحت قرطبة واخذها من يد المشركين ومدينة
جيان * وفي سنة اربع واربعين وخمسمائة اخذ مليانة * وفيها فتحت
مدينة بجاية ملك بني جاد بعد محاصرتها ونزل صاحبها بالامان فادنه
ونقله باهله الى مراکش * قسست الذي اخذت منه بجاية
اسمه يحيى بن العزيز والذين ملكوا بجاية اولهم جاد بن يوسف بلكين
الذي تقدم ذكره عند ذكر صنهاجة وجاد هذا قام على ابن اخيه باديس
وكانت بينهم ملاحم واستقل بعد ذلك بالبلاد الغربية واتخذ بجاية دار
ملك فبقيت في يد بنيهم الى زمن عبد المؤمن واولهم جاد كما ذكرنا ثم
ابنه القائد بن جاد ثم ابنه لآخر محمد بن جاد ثم بلكين بن محمد بن جاد
ثم الناصر بن علاء الناس بن جاد ثم ولده المنصور بن الناصر ثم ولده
باديس بن المنصور بن الناصر ثم اخوه العزيز بن المنصور ثم ولده يحيى
ابن العزيز وهو آخر ملوك بني جاد وانقرضت دولتهم وملك عبد المؤمن
جميع ما بايدهم مثل بونة وجزائر بني مزغنة وهي مدينة الجزائر
اليوم وقسطينة وغيرها ورجع الى مراکش * وفي سنة احدى
وخسين وخمسمائة بايع له اهل غرناطة * وفي سنة ثلث وخسين
وخمسمائة تحرك امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي من مدينة مراکش
وقصد افريقية بام لا تحصي فوصل الزاب وبلاد افريقية فقتل سن
عصى واتن بن استاسن الى ان وصل مدينة تونس فحاصرها ثلثة ايام
وارتحل عنها وترك جيشا محاصرا لها وسار الى القيروان ففتحها وفتح سوسة
وصفاقس وارتحل الى المهدية فحاصرها سبعة اشهر وصابق عليها برا وبحرا
ونصب عليها المجانيق وجعل قتالها نوبا ليلا ونهارا حتى فتحها
وقتل خلقا كثيرا من النصارى الذين كانوا فيها ورد اليها صاحبها
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي الذي اخذت منه المهدية

وحسبنا لما ان فر منها قصد ابن عمه ابن حماد فلم يلقى عنده مراده وهم
بالتقص عليه ففر منه الى الجزائر واستوطنها الى ايام عبد المؤمن لما قصد
بلاد المغرب فالتقى به الحسن وباعه وبارعه معه الى ان اخذ المهدية فوجه
اليها وخطب له بها * وفتح مدينة تونس وخطب له بها وفتح
جميع بلاد افريقية من برقة الى تلمسان ولم يبق له منازع وفرق عماله
وقصائمه * وقسبل فتح المهدية كان سنة خمس وخسين والله اعلم . وفيها
امر عبد المؤمن بن علي بتكسير بلاد افريقية من برقة الى السوس لاقصى
قولاً وعرضاً بالفراسخ والاميال واسقط الثلث من التكسير في مقابلة الجبال
والانهار والسبخان وما بقي قسط عليه الخراج والزمن كل قبيلة قسطها من
الزرع والورق * وهو اول من احدث ذلك بالمغرب وارتحل عن
افريقية الى المغرب واخذ من كل قبيلة من عرب افريقية الفا وادخلهم
الى المغرب بعيالهم * وفي سنة ست وخسين وخسمائة جاز عبد المؤمن
من طنجة الى لاندلس مشرفاً على احوال البلاد ورجع الى مراكش * وفي
سنة سبع وخسين وخسمائة امر بانشاء لاساطيل في جميع بلاد واران غزو
بلاد الروم برا وبحرا فاجتمع له قريب من سبعمائة قطعة وامر بصرب
السهام في جميع عمله فكان يضرب له منها في كل يوم عشرة قناطير *
واستجلب لاجناد والطوعة من سائر عمله يستفهم للجهاد فاجتمع له
ما لم يجتمع لغيره من بلاد افريقية والمغرب والقبائل واجتمع له من
الموحدين وقبائل زناتة ومن العرب ازيد من ثلثمائة الف فارس ومن جيوش
الطبيعة ثمانون الف فارس ومائة الف راجل فصاقت بهم لارض * ولما
استوفت له الجنود وتطاولت اليه الوفود ابتداء المرض الذي توفي منه
في جهنم الاخرة سنة ثمان وخسين وخسمائة وصدرة ثلث وستون سنة
وقسبل اربع وستون وايسام خلافته ثلث وثلثون سنة وخمس اشهر
فنهضان الحى الدائم الذي لا يموت ودفن بآزاء المهدي في تينمال *
وكان رحمه الله فكيها فصيها عالما بالجدل والامول حافظا لمحدث النسي

صلى الله عليه وسلم مشاركاً في علوم كثيرة الدينية والدنيوية وعلم النجوم
واللغة والأدب والتاريخ وعلم القراءات نافذ الرأي ذا حزم وسياسة وشجاعة
واقدام مبدون النقيصة لم يقصد بلداً إلاً وفقحه * وكان سخياً كريماً لا يخلق
محباً لأهل العلم مثوباً لهم ولم يشعر جيد واعتدحه بعض الشعراء ولظنه من
بلد بنزرت بقصيدة أولها :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
فلما انشد بين يديه هذا البيت أشار إليه بالسكوت وأمر له بآل
دينار * ولما عاد إليه من الغد انشده البيت المذكور فاسكتته وأمر له
بآلف دينار * ولم يزل ينشده كلما دخل عليه وأمر له بآلف لئلا
أوصله بأربعين ألفاً . فحسده بعض الشعراء وقال له : لئلا متى وما ياتك
من تغيير أخلاق أمير المؤمنين وقد أوصلك بما غير غناك - فارتحل من
قوره إلى بلده . وسأل عنه عبد المؤمن فأجبر برحيله فقال - لا حول ولا قوة
إلا بالله لقد ظن بنا غير ما أردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك - فغيل
له - لم لم تسمع تمام القصيدة - فقال عبد المؤمن - وما عني أن يقول
بعد قوله ما هز عطفيه (البيت) رحم الله هذه النفوس الكابية والأخلاق
الموصية ماتوا وذكرهم لم يست سبحان الحبي الدائم الذي لا يموت *
الخبر عن خلافة يوسف

ابن عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتى
ببيع في الحادي عشر من جادى لآخر سنة ثمان وخسين وخمسمائة
بعد وفاة أبيه وكان عاقلاً صالحاً مترففاً في سفك الدماء حسن السياسة
أخذ منهج أبيه وسار بسيرته واستنصر من الجيش ومهد البلاد وضخم
الملك * وكان ملكه من فاصية إفريقية إلى السوس الأقصى إلى بلاد القبلت
وبلاد لاندلس تجبى إليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الأموال
وامنت الطرق وكان يتفقد أحوال مملكته لا يتكل على أحد من وزرائه *
وجسار إلى لاندلس سنة ست وستين متفقدا لأحوالها وأقام بها أربعة

اعوام وصخرة أشهر ورجع الى مراکش سنة احدى وسبعين * ودخل افريقية سنة خمس وسبعين لقيام ابن زيري بقصبة فنزل على قفصة وملكها وطلب صاحبها ابن زيري وعاد الى مراکش * وفي سنة تسع وسبعين جاز الجواز الثاني الى لاندلس ونزل على شتين فربي لاندلس فحاصرها حصارا قويا واستشهد هناك فحمل الى تينمال ودفن هنالك بجانب قبر ابيه * وتوفي سنة ثمانين وخمسائة وعمره سبع واربعون سنة واقامته في الملك احدى وعشرون سنة وأشهر وقام بالامر بعده ولده يعقوب *

الخبر من خلافة امير المؤمنين يعقوب

هو المنصور بالله بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان يعقوب هذا اجل ملوك الموحدين ذا رأي وحزم ودين محبا للعلماء ويحضر جنائزهم ويזור الصالحين ويترك بهم علما بالمحدث واللفظ مشاركا في علوم كثيرة مواظبا على الجهاد وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين وعلمته * الحمد لله وحده * وكانت ايامه زينة الدهر والامن في جميع عمله حتى ان الطعينة تخرج من برقة الى آخر المغرب ولا يتعرض لها احد وبنى المساجد في سائر عمله والمؤسسات للمرضى واجرى لهم الارزاق * وخالفت عليه مدينته قفصة فوصل اليها سنة ثلث وثمانين وفتحها * وغزا عرب افريقية فهزمهم واستباح اموالهم ونقلهم الى المغرب ورجع الى مراکش دار ملكه * وفي سنة خمس وثمانين جاز الى لاندلس فنازل اشترين واشبونة فنكا فيهما وسبي من النساء والذرية ثلثة عشر ألفا ورجع الى العدو ونزل مدينته فاس فاتمه لاجبار ان الميورقي قام بافريقية فرحل عن فاس ودخل افريقية ونزل على تونس فوجد الاحوال ساكنة والميورقي فر امامه الى الصحراء حين سمع بقدم امير المؤمنين يعقوب المنصور * فسالت ذكر ابن الشماخ رحمه الله الميورقي ولم يستوفه من حقه وها انا اذكرك هنا لانتظام الفائدة : هو علي بن اسحاق بن جوية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة وبابسة ثلث جزر في البحر

توفي أبوه اسحاق سنة ثمانين وخسمائة وخلف اولادا ، فعلي هذا وبه
أخوه خرجا الى افريقية وصنعا العجائب بها وأجوهما محمد خدم دولة الموحدين
وأخوه عبد الله وهو أصغرهم، ملك ميورقة وعصى الناصر بن المنصور
فتحرك اليه لما دخل افريقية سنة اثنتين وستمائة * وحاصر الناصر
ميورقة فمات عبد الله بن اسحاق في تلك الحروب فحمل رأسه الى مراكش
وعاقت جيشه على سور ميورقة ولم تزل ميورقة في يد المسلمين الى سنة
سبع وعشرين وستمائة اخذها عدو الدين كما اخذ غيرها اعادها الله للإسلام
بمنه وكرمه * وأما علي فإنه عاث بافريقية عند اشتغال أمير المؤمنين يعقوب
المنصور ببلاد لاندلس فلما سمع به تحرك اليه في هذه السنة ففر امامه
ولما رجع أمير المؤمنين الى المغرب رجع الميورقي الى افريقية وملك الهدية
وتونس وصقلية على تونس والزم أهلها مائة ألف دينار ولم يزل متماديا
على حاله في الفساد حتى تحرك اليه الناصر بن المنصور وكانت له
وقعات وحروب وسياتي بقیة خبره عند ذكر الناصر * وكان الميورقي
شجاعا مقداما وتوفي سنة ثلث وثلثين وستمائة في زمن بني حفص ذكوة
غير ابن الشماع * ولما فر الميورقي الى الصحراء رجع أمير المؤمنين يعقوب
المنصور الى المغرب بعد ما سكن احوال افريقية ودخل تلمسان واصابه
مرض ورحل عنها ودخل فاسا فاقام بها حتى عوفي ورجع الى مراكش
فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخسمائة فيها اتصلت به الاخبار ان
الفتش عاث في بلاد المسلمين ولم يصدده احد واغتم الفرصة في غيبته
ومرضه أي غيبة الخليفة المنصور وفعل بالمسلمين الاوابد واستحوذ على اكثر
معاقلهم فانقلب المنصور جيوشه من الموحدين والاعزاز والطوعة والمرتزقة
وقصد الجواز الى لاندلس فارسل اليه الصراني كتابا يقول فيه - مبن
ملك النصرانية الى أمير الخنفية اما بعد فان كنت عجزت عن الحركة
علينا وثناقلت عن الوصول الينا فابعث الي مراكب من عندك اجوز فيها
بجيشي اليك فان هزمتني فهديتة جاءت الى بين يديك وانت أمير

المومنين وان كانت لي عليك مكنت انا صاحب المئين والسلام -
 فلما قرأه اخذته الغيرة لاسلامية ورمى بالكتاب الى ولده وابي هذه *
 فاجاب على ظهر الكتاب بتوقيع يده * ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل
 لهم بها ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون * فسر المنصور بهذا الجواب
 ودخل الاندلس سنة احدى وتسعين وخمسمائة * وكانت له على الروم
 نصرة عظيمة قتل فيها منهم ما لا يحصى وكان النفس لعنه الله انضم
 اليه من جميع الاجناس حتى قيل كان معه ثلثمائة الف ما بين راجل
 وفارس فهزمهم الله ونصر المسلمين ودخلوا حصن لاراك الذي سميت به
 الواقعة واخذوا منه ما لا يعلم قدرة الا الله ومن لاسارى اربعة وعشرين
 الفا فكن عليهم امير المومنين يعقوب المنصور واطلثهم * واستشهد من
 المسلمين من كتبت له السعادة والذي سبقت له الحسنى وزيادة * ومات
 فيها الشيخ يحيى بن ابي حفص جد الحفصة وكل من اكبر قواده وزعمائه
 وكانت تحت اخى الخليفة المنصور بالله وكانت هذه الغزوة العظمى
 قاسع شعبان من السنة المذكورة وهي اعظم غزوة على ايدي الموحدين . وقسم
 الغنائم وكتب بالفتح الى جميع البلاد واقام باشبيلية الى سنة اثنتين
 وتسعين وخمسمائة خرج الى غزوته الثانية وفتح قلعة رياح وادي
 الحجارة ومعقل كثيرة * وحاصر طليطلة واحرق رباطاتها ونصب عليها
 الجانيق ثم ارتحل منها الى سلنكة فدخلها بالسيف وقتل رجالها ونساءها
 ورجع الى حضرة ملكه مراکش واخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر
 واجلسه في حياته مجلس الخلافة * ولمسا استوفى الامر لولده دخل
 المنصور الى قصرة فلزمه وبدأ فيه الموضع الذي مات به في الثاني
 والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة بقصة مراکش *
 وقسيل انه تقشف وزهد في الدنيا وارتحل الى المشرق ومات هناك
 راضيا بالشام مقرر هذا الخبر عند عامتهم والله اعلم * وكان رحمه الله اجل
 ملوك الموحدين وابعدهم صيتا واحسنهم في جميع الامور له الهمة العالية

والسيرة المحسنة والدين المثين والرأي الصائب * ويحسكي اندمجت
لبعض عماله لينظر له رجلاً لتأديب اولاده فبعث العامل له برجلين وكتب
معهما كتاباً يقول فيه - قد بعثت اليك رجلين احدهما بحرفي علمه والاخر
بري دينه - فلما امتحنهما لم يرضياه فوقع على ظهر كتاب العامل - ظهر
الفساد في البر والبحر - رحمه الله وغنا عنه بمنه وكرمه والبقاء لله لا
رب غيره ولا معبود سواه *

الحسبر عن خلافة امير المؤمنين محمد الناصر

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح
في حياة والده وحدث له البيعة يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي
فيها والده وتم له الامر وتعاظم تدير الامور بيده وخرج الى مدينة فاس
وبنى اسوارها وقصبتها ، وجاءته الاخبار ان البيورقي غلب على اكثر بلاد
افريقية واخذ المهدية وصيق على اهل تونس والزهم مائة الف دينار وقد
مر انفا فرحل من مراكش سنة ثمان وتسعين ولسا وصل الى جزائر
بني مزغنة امر بانشاء اساطيل واخذ في تجهيز العساكر الى ميورقة ففتحها
وقتل صاحبها عبد الله بن اسحاق وفر اخوه يحيى وتخل الصحراء *
ووصل الناصر الى افريقية فاطاعه كل من عصى عليه ما عدا المهدية
لان العامل بها من قبل البيورقي وكان شهياً صاحب دهاء فحاصره بها
وانصب عليها المجانيق فلما رأى العامل ان لا طاقة له بمقتال الناصر ركن
الى الصلح فصالحه ومفا عنه وكان فتحها سنة احدى وستمئة * وفي
سنة اثنتين وستمئة اراد الناصر الرجوع الى المغرب فحلف على افريقية
الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص ومن يومئذ استقرت
قدم بني حفص بافريقية وجعل الشيخ ابو محمد عبد الواحد تونس دار الامارة
الى يومنا هذا جعلها الله مدينة اسلام الى يوم الدين * ومن هنا ندرج
في ذكر بني حفص لان هذه الحوادث التي ذكرناها انما هي تمهيد لما سيأتي
من اخبار المحصرة العالية وليعلم الناظر في هذا المجموع ضخامة البلاد

الأفريقية ولكن نائي ببقية اخبار الخلفاء لانعام الفأئدة ونرجع للذي قصدناه عائدین ولا بد للذي من الصلوة والعائد * ولما تمكن الشيخ عبد الواحد من البلاد رحل الناصر الى المغرب فوصل الى مراكش سنة خمس وستمئة * وفي سنة ست جاءت اخبار من لاندلس ان الفتح ملك بيوثة وتغلب عليها فكتب الناصر الى سائر عمله واستفز الناس للجهاد وخرج من مراكش سنة سبع وستمئة فوصل اشبيلية واهتزت بلاد لاندلس لخبره . فدخل العرب في قلب عدو الله فطلب الصلح وبعث ارساله يطلب من امير المومنين ان يصل بين يديه ويحكمه في نفسه وماله * فاذن له في الوصول الى حضرته وكتب الى جميع عماله ان تن اجاز به الفتح بصفه ثلثا ويسكت من عسكرة الف فارس فما وصل مدينة قرمونة إلا ومعه الف فارس فمسكت هنالك فقال لعاملها - كيف يكون مسيري وحدي - فقال - تسير في ذمام امير المومنين - فسار في خدمه ومعه زوجته وقدم بين يديه هديته واحضر معه الكتاب الذي كان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني الاصفه وبقي محفوظا عندهم الى تلك المدة واظنه الى الان موجودا * ولقد رآه بعض ارسال بني حفص في ايام دولتهم واخبر بانه قراه وهو باق عندهم ويعترفون بركته * ولما وصل الفتح الى الناصر اكرمه واعطاه صاحبا تاما وكتب له بذلك - ما دامت دولة الموحدين حوصرفه الى بلاده . وارحل الناصر الى قشيلية فحصرها ستة أشهر ودخل الشتاء وقتل الميرة وغلت الاسعار فانتهز عدو الله الفرصة وجع من كل النصرانية جيشا وكبس به عسكر المسلمين على حين غفلة ففر عسكر لاندلس اولا وعادت الكسرة على المسلمين فهزموا واتبعهم عدو الله وفادى ان لا اسارى إلا القتل فلم ينج من المسلمين إلا القليل وكاد الناصر ان يقع بايديهم لولا لطف الله به * ومن هذه الكسرة لم ترفع المسلمين بالاندلس راية الى زمان يعقوب المريني وهذه الواقعة يسميها اهل السير بالعقاب * ولما رجع الناصر الى العدة ودخل مراكش

أخذ البيعة لولده يوسف وتلقب بالمنصور وانعصف الناصر على الخوارج
على أن توفي سنة عشر وستمائة ومن هنا أخذت دولة الموحدين في
الانحلال وقام بالامر بعده ولده يوسف *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يوسف المنصور

هو ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن
علي قام بالامر بعد أبيه فقرب الأراذل وأبعد مشائخ الموحدين فكانت لا
تنفذ أوامره وأخذت دولة الموحدين في الأدبار وظهرت دولة بني مرين
في أيامه سنة ثلث عشرة وستمائة وبعث المنصور جيشا لقتالهم فكان
الظهور لبني مرين واستباحوا سكر الموحدين * وكان يميل إلى الراحة
فكانت لا تنفذ أوامره عند عماله وكان مغرى بنتاج البقر فدخل ذات
يوم بين البقر فقصدت إليه بقرة شرودة فضربت به في بطنه فمات من
ساعته وكانت أيام ملكه عشر سنين وأربعة أشهر وذلك سنة عشرين
وستمائة والملك لله وحده * ولما مات اتفق أشياخ الموحدين على مبايعة
أبي محمد عبد الواحد *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد

هو ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويج ثالث عشر ذي الحجة
سنة عشرين وستمائة وهو في سن الشيخوخة وكان صالحا مشورعا فاستقام
له الأمر شهرين ثم اضطربت أحواله وقام عليه أبو محمد العادل وكان
في مرسية فأخذ البيعة لنفسه وكتب إلى أخيه أبي العلي وكان بأشبيلية
يدعوه إلى بيعته فاجابه وبعث إلى أشياخ الموحدين الذين بمراكش والعدوة
فاستمالهم بعد ما وعدهم بجزيل العطاء فاتفقوا على مبايعة ودخلوا على الخليفة
عبد الواحد فطالبوه بخلع نفسه وتهديدوه بالقتل فاجابهم فادخلوا عليه
القاضي والشهود فاشهدهم على خلعهم وأنه بايع لأبي محمد العادل * وبعد
أيام دخلوا عليه فخنقوه وأنتهبوا قصوره وكان أول مخلوع من بني عبد المؤمن
وانفتح باب الفتن بين الموحدين وصاروا كالأنثراك بالعراق * وكانت

أيام خلافته ثمانية أشهر وتسعة أيام * وقام بالامر بعده أبو محمد عبد الله
ولقبه العادل باحكام الله *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين عبد الله

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح
بهوسية في صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة وتم له الامر في شعبان بعد
خروج عبد الواحد ورجع من لاندلس الى حضرة مراکش وفوض امر
لاندلس الى اخيه أبي علاء الملقب فيما بعد بالمأمون فاقام على طاعة
اخي له سنة أربع وعشرين وستمائة فنكث البيعة العادل ودعا الناس
لبياعته فاجابوه وتلقب بالمأمون وكتب الى اسياس الموحدين بمراكش
واستمالهم فاجابوه فدخلوا على العادل وخنقوه بعصاه حتى مات في شوال
سنة أربع وعشرين وستمائة وكانت خلافته ثلاث سنين وشهرين وكتبوا
يحبهم الى المأمون أبي علاء ادريس وبعثوا بها على البريد ثم ندموا وخافوا
منه لما يعرفون من شهامته فرجعوا وبايعوا يحيى بن الناصر *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يحيى

هو ابن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
ابن علي لقبه المعتصم بالله بويح في الثاني والعشرين من شوال سنة
أربع وعشرين وستمائة وامتنع من مبايعة كثير من الناس لمبايعتهم المأمون
ووقع لذلك فتن في البلاد واضطربت الاحوال وكثرت المحن وضلت
الاسعار وكثر الخوف واتصل الخبر ان المأمون بويح له بالاندلس وانه
يملأ البحر الى مدينة سبتة * فلما علم يحيى بذلك ورأى اختلاف
الموحدين عليهم بمراكش فر الى جبل درن ثم رجع الى مراکش فاقام
سبعة ايام ثم هرب ثانياً وكانت بينه وبين المأمون حروب انهزم فيها
يحيى ولم يزل يهرب الى ان مات سنة ثلاث وثلثين في ايام الرشيد
وسباني خيرة وجدد الموحدون البيعة للمأمون في اخر جادى الاخيرة سنة
ست وعشرين وستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المأمون

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان فصيح اللسان صابغاً للحديث الشريف حسن الصوت والنبالة عالماً بالعربية واللغة والاداب وايمان الناس سالكاً في امور الدنيا والدين وكان حازماً شجاعاً وهو اول من ادخل الصاري الى مراكش استنصر بهم ودخل معه اثنا عشر الف نصراني * ولما حل بمراكش سعد المنبر وخطب الناس وسب مهديهم وقبح مذهبه ومذهب من تبعه ومحا اسمه من الدراهم ومن الخطبة وقال لا تدعوه بالمهدي واشياء يطول شرحها وكتب بذلك الى كلافق وقتل اشياخ الموحدين لاجل نكبتهم البيعة ولم يبق منهم احد وكان جات القتلى اربعة آلاف وستمائة. وكتب لعالمه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام عليه اخوة بالاندلس وكثرت عليه المحن وتوالت عليه الهموم فمات رحمه الله * وكانت ايام خلافته ثلاث سنين وستة اشهر وفي ايامه استولت الروم على جزيرة صيرقة وبويع ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين الرشيد

هو عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويع اول المحرم سنة ثنتين وستمائة وعمره اربع عشرة سنة فقام بمراكش الى سنة ثلث وثلثين فقتل جلته من اشياخ الخلفاء فقاموا عليه وحاربوه فانصر عليهم بعد ما نهبوا مراكش وحرب ورجع الى حصنته ولم يزل في غتات الى ان وافاه حمله غريفا في صهرير يوم الخميس تاسع جمادى الاخرة سنة اربعين وستمائة وايام خلافته خمسة اعوام وخمسة اشهر وايام وسمان في زمانه وباء وفساد مشرد بحيث انه بلغ قفيز التمسح ثمانين دينارا * وفي ايامه استبد ابو زكرياء يحيى بالامارة في مدينة تونس وام يتسم بامير المؤمنين وتغلبت بنو مرين على اكثر بلاد المغرب وقام بالامر بعده ابو الحسن السعيد *

الخسبر عن خلافة امير المؤمنين المعتضد

هو ابو الحسن علي بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المومن بن علي تسمى بالمعتضد بالله ولقب بالسعيد بوبع يوم وفاة اخيه الرشيد بمراكش عاشر جادى لآخر سنة اربعين وستمائة * وفي ايامه مكث جمع بني مرين وارسل اليهم الجيوش فكانت الدائرة لبني مرين وخرج سنة ثلث واربعين بنفسه في جمع عظيم واخذ البيعة على الامير ابي يحيى بن عبد الحق المريني وجاءه الخبر في هذه السنة بان المعتضد تسمى بامير المؤمنين احتقارا لدولته فازمع للخروج بنفسه والتقى ببني مرين وكانت بينهما وقعت وحارب ابن زيان القائم بلسان وفر امامه الى بعض القلاع فتبعه السعيد وحاصره بها ثلثة ايام وخرج السعيد في الهجرة يتجسس عن احوال القلاع وكيف الحيلة في اخذها فكمّن له ثلثة نفر على حين غفلة فقتلوه احدثهم وقتل وزيرة معه ونهب ابن زيان جميع ما كان في محله وجلت جثته فدغنت خارج للسان وكانت وفاته يوم الثلاثاء آخر صفر سنة ست واربعين وستمائة وبوبع بمراكش المرتضى *

الخسبر عن خلافة امير المؤمنين المرتضى

هو ابو حفص عمر بن الامير اسحاق بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المومن بن علي بوبع بعد موت السعيد فقد له البيعة برباط الفتح وارتحل الى مراکش واخذ البيعة عن اهلها واستقام له الامر من مدينة سلا الى مدينة السوس وكان يدعي الزهد والورع ويحب السماع وكانت ايامه ايام هأة ورخاء مفوط ما سمع به مثله * وخرج سنة ثلث وخمسين في ثمانين الف الى قتال بني مرين فلما قرب من مدينة فاس وكان خوف بني مرين خامر قلوبهم انطلق فرس لبعض العسكر فجرى صاحبه في اثره فظنوا ان العدو قد ذهبهم فانهم من العسكر لا يلوي احد عن احد واتصل الخبر بالامير يحيى بن عبد الحق فخرج واحتوى على جميع محله وسار المرتضى الى مراکش في نفر يسير فاقام بها الى ان دخل عليه

أبو دبوس قتلته أواخر المحرم سنة خمس وستين وستمائة فكمالت أيام
خلافته تسع عشرة سنة إلا أياما وتولى بعده الواثق أبو دبوس *
الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي دبوس

هو إدريس بن الرشيد أبي حفص بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن
علي كان شجاعا مقداما وسبب تملكه مراکش كان المرتضى فقم
عليه أشياء فخاف منه وهرب إلى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق
المريني متصرا به فالفاه بمدينة فاس فاصرم مشواة وأعاناه بالمال والرجال
وأنفق معه أن يعطي لبني عبد الحق النصف فيما يغلب عليه من البلاد
فلما تمكن من مراکش ودخلها على حين غفلة وفر أمامه المرتضى واستقل
بالامر كتب إليه لأمير يعقوب يهنيه ويطلب منه الشروط الذي بينهما
فقال للرسول - قل لأبي عبد الرحمن يختم الفرصة ويقنع بما في يديه
والأئمة بجنود لا قبل له بها - فلما وصل الخبر إلى يعقوب المريني
شن عن بلاده الغارات وجهاز له الجيوش * وفي سنة سبع وستين خرج
أمير المسلمين يعقوب المريني بنفسه فالتقى معه أبو دبوس ببلاد دكالة
فكانت بينهما حروب قتل فيها أبو دبوس وجيء برأسه إلى يعقوب بن
عبد الحق فبعثه إلى مدينة فاس وطيف به هناك وانتهب محلاته *
وكان قتلته آخر ذي الحجة سنة سبع وستين وستمائة وبه انقضت
دولة بني عبد المؤمن * وكان ابتداء أمرهم من المهدي بن تومرت سنة
خمس عشرة وخسمائة وانقضت بأبي دبوس سنة سبع وستين وستمائة *
وملوك بني عبد المؤمن أربع عشرة خليفة - وانتقلت بلاد المغرب إلى
حكم بني مرين - والاندلس إلى الثوار من الطوائف - وأفريقية إلى
بني حفص - والله يرث لأرض وتن عليها وهو خير الوارثين :

الفصل الثاني

فيمن تولى من بني حفص في البلاد لأفريقية
وها أنا أذكر بعض سيرتهم والعمدة في ذلك على ما نقله ابن الشماخ

ولاكن نأتي به مختصرا لئلا تذهب ديباجته ويظن المتامل اني غرت عليه ونزلت ساحته وربما ناتي بما ليس فيه واذكرة وانبه عليه ان شاء الله تعالى وبه المستعان وعليه التكلان . فاقول وبالله التوفيق : -
 اول تن تملك من بني حنص المولى ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حنص عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن عليته بن احمد بن والال بن ادريس بن خصاله بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافق بن محمد بن نجبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كذا قيد نسبه ابن الشعاع * قلت هذا النسب غارق في انساب البربر والعرب كانت تائف عن التزويج منهم وخصوصا قريشا والله اعلم بحقيقة ذلك . ولاجل هذا النسب الشريف خطب لهم بامير المؤمنين والناس صدقون في انسابهم والشيخ ابو حنص من قبيلة هنتات من قبائل المصامدة وهنتات اكثرها جمعا وهم القائمون بدعوة المهدي بن توموت والسابقون اليها وابو حنص احد العشرة الذين بايعوا المهدي وقد سبق خبره * ولما دخل الناصر بن المنصور افريقية عند تغلب بن غانية عليها وحرره الناصر وطرده واسترجع المهدية ورجع الى تونس واقام بها حولا واراد الرجوع الى المغرب اراد ان يولي بافريقية من يقوم مقامه فوق اختياره على المولى عبد الواحد فولاه عليها بعد تمنع وشروط شرطها عليه ووفى له الناصر بها فرفعت رايته بين الموحدين ورحل الناصر الى المغرب وفارقه المولى عبد الواحد من باجة ورجع الى حاضرة تونس فتعد مقعد لامارة بقميتها وذلك يوم السبت عاشر شوال سنة ثلث وستائة وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا فطنا شجاعا محسنا وهو الذي اخترع زمام النصر في بتونس للوفد وكنان يجلس يوم السبت للظر في مسائل الناس ومدحهم بعض الفضلاء بصيغة تدل على فضله ومها :

وماذا على المداح ان يمدحوا به وفيك خصال ليس تحصر بالعد
 نهارك في تدبير ما يصلح الورد وليلك مقسوم على الذكر والورد

ودخل عليه الامام ابو محمد عبد السلام البرجيني من تلامذة الامام المنزري وكان تحت جبة منه فقال له المولى عبد الواحد - كيف جالك يا فقيه - فقال - في عبادة - فقال له المولى عبد الواحد - تعرضها ان شاء الله بالشكر - قال ابن بختيل كاتب المولى عبد الواحد - لم نفهم ما اراد فسالت المولى عن ذلك فقال - اراد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتظار الفرج بالصبر عبادة - وهذا يدل على ذكائه رحمه الله عليه وتوفي يوم الخميس اول الحرم عام ثمانية عشر وستمائة وايام دولته اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر * ودفن بالقصبة وقبره يزار ويتبرك به وبالقرب من تربته مغارة كان يتعبد فيها * فمسلت وتربته الى يومنا هذا مشهورة داخل القصبة ولما توفي رحمه الله قدم ولده المولى ابو زيد ثم طلع الى المغرب هو واخوته ثم وصل الى تونس ابو محمد عبد الله بن المولى عبد الواحد من قبل العادل بن البصور ومعه اخوه ابو زكرياء يحيى سنة ثمان عشرة * وقدم المولى ابو زكرياء على مدينة قابس من قبل اخيه ابي محمد عبد الله ثم وقع بينهما اختلاف فخرج المولى عبد الله الى قتال اخيه ابي زكرياء فخالف عليه الموحدون وابوا قتال اخيه فرجع لتونس واستقر بها ثم بعد ذلك تجرأ ابو زكرياء الى تونس فملكها ووجه اخاه في البحر الى مدينة اشبيلية من بلاد لاندلس واستقر قدم المولى ابي زكرياء في الامارة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يحيى

هو المولى ابو زكرياء يحيى بن المولى ابي محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن المولى ابي حفص عمر الهشاني ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة ويروي بالقيروان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة وحدث له البيهقي يوم وصوله لتونس في الرابع والعشرين من رجب المذكور * وفي سنة اربع وثلاثين ببيع البيعة الثانية وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بامير المؤمنين واقتصر على الامير وعرض له بعض الشعراء بقوله من قصيدة بحرصه فيها وهو قوله :

الأصل بالأمير المؤمنين فانت بها احق العالمين

فجزيرة ولم يقبل وذلك في أيام الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور عند اضطراب المغرب فاستبد أبو زكرياء بافريقية * وفي سنة خمس وثلثين وستمائة وصلت اليه بيعة زيان بن مرد يشن صاحب شاطبة ورسوله أبو عبد الله محمد الأبار وأنشده قصيدته السينية الفريدة التي منها *

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجائها درسا

وفي سنة تسع وثلثين تحركت الى مدينة طلسان ففتحها وكان معه من الجيش اربع وستون الف فارس * وفي سنة اربعين وصلت اليه بيعة سبتة وبيعة المرية * وفي سنة ثلث واربعين وصلت اليه بيعة اشيلية والمرية وغرناطة ووصل وفدهم لتونس وقررت بيعتهم على الناس وكان رجة الله عليه من الصالحين والعلماء العاملين ختم على الشيخ الرعيني السوسي كتاب المستصفا للغزالي وغيره من الكتب المفيدة وناظر في النحو على ابن مصفور وكان فقيها اديبا وكان معدودا في العلماء والشعراء وكان مختصرا في لباسه ومركوبه وكان يلبس جبة الصوف وحرام الصوف * ونقل من ابن القصار ان المولى أبا زكرياء استدعى بعض وزرائه من باب الصوف بعد انفصال مجلسه والعادة عنده ان تن استدعاه من ذلك المكان انما يستدعيه للعقوبة قال الوزير فلما استدعيت ادخل بي بابا بابا الى ان انتهيت الى باب قبة الخليفة فوجدته جالسا على كرسي من خشب وبجده ابرة وهو يرقع ثوبه فسلمت عليه فامرني بالجلوس واذا بخادم قد اتى بمائدة مغطاة فلما رفع عن المائدة فاذا بها طعام واحد ورغيف خبز غير قني فاكل واكملت معه فلما فرغ قال لي انصرف بسلام فخرجت ووقعت هندي حيرة فاخبرت بذلك بعض اصدقاء لي فقال وما صنعت قلت لا شيء الا اني لما دخلت عليه نظرنني شرا فقال لي دخلت عليه في ثيابك هذه قلت نعم قال لي من هنا اتى عليك تراه اخبرك ان حكومتهم الموقرة واكلهم الخشن من الطعام فان انت انتهيت عن فعلك ولباسك

التياب الرفعة وإلا لا تلوتن إلا نفسك * قسست رحم الله هذه الروح الزكية . وهو الذي بنى الجامع بالقصبة وبني صومعته العجيبة وهي باقية إلى يومنا هذا ولها شكل عجيب واسمه منقوش عليها وكانت قبل اليوم بارزة ينظر إليها المآريها ويقرا ما هو مكتوب عليها وقد حيل بينها ببناء ستر اكسرها ولم يبق منها إلا مقدار نصفها وانستر رونقها على الناظر وكان بناؤها سنة تسع وعشرين وستمائة وبني مصلى العيدين * قسست هو الذي يقال له جامع السلطان من ناحية المراكض وكذلك بنى المدرسة التي بطرف سوق الشماعين * قسست سوق الشماعين يعمل فيه السباط في يومنا هذا وبني سوق الطارين وحضر مدينة تونس وجعت دولته من رؤساء العلماء والشعراء وأهل الصلاح عالم يجتمع لفيرة وجمع بعدله وسياسته أموالا لا تحصى إلا بالبيت والبيت عبارة عن ألف ألف وخلف سبعة عشر بيتا من المال ومن الكتب سنة ولثين ألف مجلد وفي سنة سبع وأربعين تحركت إلى المغرب فمات هناك ودفن بجامع بوننة ونقل بعد إلى قسطينة وكانت وفاته أواخر جادى لأخيرة وهو ابن تسع وأربعين سنة ودولته اثنتان وعشرون سنة وتترك من الأولاد الذكور أربعة وهم محمد المستنصر وأبو اسحاق وأبو بكر وأبو حفص عمر * ويقال ان في هذه السنة توفي الملك الصالح ابن أيوب صاحب مصر وكان دينيا عفيفا والملك المنصور بن رسول صاحب اليمن والامبرطور صاحب مقلية عظيم النصرانية والفنش لأحول عظيم النصرانية بالاندلس فكانوا يرون ان هذا ملك الدنيا ماتوا في سنة واحدة فسبحان من لا يزول ملكه *
الخبر عن خلافة الأمير المولى أبي عبد الله محمد

هسرو ابن المولى أبي زكرياء بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن المولى أبي حفص عمر بويج صبيحة الليلة التي توفي فيها والده يوم الجمعة التاسع والعشرين من جادى لأخيرة سنة سبع وأربعين وستمائة وعمره اثنتان وعشرون سنة أمه أم ولد اسمها عطف وهي التي أموت ببناء

جامع التوفيق والمدنسة التوفيقية * قسّلت المدنسة التوفيقية اندرست
 * انارها وكانت قبالة زاوية الشيخ الزليجي * وفي سنة ثمان واربعين
 نصبت المقصورة بجامع الموحدين وفيها بنيت السقاية التي شرقي جامع
 الزيتون وفيها جعلت الشكّة لليهود وبولغ في مذلّتهم * وفي سنة احدى
 وخسين بنيت قبة المجلس وبنيت الممشى الى راس الطابية * وفي
 سنة ثنتين وخسين وصلت بيعة بني مريّن من مدينة فاس ودعي له على
 منابرها * وفي سنة سبع وخسين وصلت بيعة مكّة بانشاء عبد الحق
 ابن سبعين وقرّئت على الناس فعند ذلك تسمى بامير المؤمنين ولقب
 بالمستنصر بالله وكان قبل ذلك يدعى بالامير فقط ونصب للنساء في الاحكام
 الشرعية ابا عبد الله محمد بن ابراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز من
 اهل العلم والورع وكان المستنصر يقول - ما يسألني الله عن امور الامة بعد
 ان قدمت عليهم ابن الخباز * وفي عام ستة وستين اكمل المستنصر بناء
 الحناية التي كان يجري عليها الماء الى مدينة قرطاجنة في الزنن الاول
 فاصلح ما فسد منها واحياها واجرى عليها الماء من ميون زغرّان وجعل قطعة
 من الماء الى سقاية جامع الزيتون وباقي الماء الى جنة ابي فهر * قلت
 هي التي يعبر عنها في زماننا بالطوم ولم يبق من ذلك الا الفسقية وبقيت
 خرائب والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وفي هذه السنة
 تهرّك الى بني رباح ومسلّ جماعة من رؤسائهم وضربوا اعناقهم وبعث
 الى تونس برؤوسهم على الرواح * وفي سنة ثمان وستين وستائة في ذي
 القعدة نازل الافرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا وكانت
 بينهم وبين المسلمين حروب مات فيها خلق كثير من الفريقين ومدة
 اقامتهم اربعة اشهر وصلة ايام * وفي عاشر المحرم سنة تسع وستين مات
 ظاهيتهم قيل ان السلطان بعث اليه بسيف مسموم وقيل مات حتف
 انفه * وارسل الله وباء على جيشه فمات عدد كثير وطلبوا الصلح
 فصالحهم السلطان على الانصراف من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين

على أن يدفع لهم ألف قنطار ومائة قنطار وحشرة قنطير من الفضة
والهدنة خمسة عشر عاماً قسم الصلح * وكان رحمه الله لم يخسرن
في قتالهم وإنما يمدحهم بالجيش وسبب غزول الفرنسيين تونس قيل أنه
ذكر يوماً بحضرة المستنصر فسمع من جانبهم وقال هو الذي أسره هؤلاء
وأطلقوه يشير إلى الأتراك الذين كانوا بين يديه وكان يستخدم منهم جماعة
فبلغت هذه المقالة الفرنسيين فحقدوا لها وعزم على غزو تونس * ولما
علم المستنصر بذلك طلب منه المهادنة فامتنع وأعطى للرسول وعزم على أخذ
تونس فجعل الله دلائمه بها ومن غريب الاتفاق لما نزل تونس قال أحمد
أدبائها الشعراء :

يا فرنسيس هذه الخث مصر فتبها لما إليه تصسير
لك فيها دار ابن لثمان قبر وطواشيك منكر ونكير
فصدقت لأفكار قوله ومات بأرض العائمة وقبر بها وهذه الكاينات يشير
فيها بالملح إلى ما سبق له بأرض مصر سنة سبع وأربعين وستمائة فرل على
مدينة ذرياط وملكها ومدة إقامته بها تسعة أشهر وذلك في زمن السلطان الكامل
ابن أيوب فامكنه الله منه فأخذته وجاءته من قواميسه وحمل على حمل
ووجهه إلى خلف وطيف به وسجن في دار ابن لثمان ووكل به طواشي
اسمه صبيح ففقد نفسه بقناطير من الذهب وحلف أن لا يطأ أرض المسلمين
فلما رجع إلى بلاده عزم على العودة إلى الديار المصرية ونكث العهود بنفسه
الحبيشة فلما علم به صاحب مصر كتب له رقعة من إنشاء كمال الدين بن
مطروح وبعضها مع رسوله وفيها قصيدة بليغة فلما ورد الرسول على الفرنسيين
استجاسه فابى أن يجلس وأنشده وهو قائم بين يديه *

قل للفرنسيس إذا جئتكم من صدق من مقول فصيح
أثيت مصر تبغي ملكها تظن أن الدين بأهل ربح
منها :

وقل لهم أن ازمعوا عودة لاخذ نار أو لفل قبسبح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باقى والطراشي صبيح
وهي طويلة ذكرها المقرئى وذكر ابن الشماخ عدة ابيات منها والقصيدة
في غير ما موضع مشهورة * فلما سمع المقالة ذلت نفسه على العودة الى
مصر واراد ان ياخذ ثارة من تونس فدمره الله تعالى وكان فزوانه على تونس
سببا لا تلتفى الاموال التي تركها المولى ابو زكرياء والتي جمعها ولده المستنصر
ففرقت على الاجناد والرفود والاعراب وتوفي المستنصر بالله في الحادي عشر
من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة وعمره خمسون سنة فكانت
خلافتهم ثمانين وعشرين عاما وخمسة اشهر واحد عشر يوما رحمة الله عليهم
وتولى بعده ولده المولى ابو زكرياء يحيى ولقب بالوائى وخلع فيما بعد *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي زكرياء يحيى الوائى

هو ابن المستنصر بالله امير المؤمنين ابن المولى امير المؤمنين ابي
زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن عمر بويج صبيحة اليوم
الذي توفي فيه والده * ولما ولي سرح السجورين وامر برقع المظالم واحراق
ازمة المودات وبالنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واحسن الى
الحند وكان غير ناص باعباء الملك وطلب على امرة ابن الغافقى وكان
ابن الغافقى كثير الاعجاب مفرطاً في التعسف والكبر مشغلاً بالبداء والالات
الملاهي واقبتناء الاثالث ولا يحسن شيئا من سياسة الملك والرعية فادى
ذلك الى فساد الملك فخرج عليه عمه ابو اسحاق ابراهيم وكان مقبلا
بالاندلس لما فر في زمن اخيه المستنصر خيفة على نفسه واقام بها زمانا
وكان اخوه المستنصر بهادي صاحب لاندلس لامساك اخيه عنده فلما
مات اخوه وتولى ولده ابو زكرياء ولم يكن له ولا لمن يدين معرفته
بالامور حاز المولى ابو اسحاق الى المغرب وقصد افريقية فملكها واتى الى
تونس في غرة ربيع الثاني وصابق على المولى ابي زكرياء فخضع نفسه
لعمه وسلم له الامر فكانت مدة خلافتهم ستين وثلاثة اشهر وعشرين يوما
وخرج من القصبية وسكن بدار الغوري بسوق الكتبيين الى ان مات

في هفوز سنة تسع وسبعين بعد ما اقتتل ومات مسجوناً رحمه الله عليه *
 الخسبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي إسحاق إبراهيم
 هسرو ابن المولى أبي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن أبي
 بكر بن أبي حفص مر بوبع بتونس غرة ربيع كاخير سنة ثمان وسبعين
 وستمائة وكان ملكاً شجاعاً وفيه فليظة ويغيب عن مجاسه لانسمة ودانت
 له افريقية * وفي سنة ثمانين وستمائة بعث ولده المولى عبد الواحد
 لجباية الوطن واخذ مال هواره فلما بلغ القيروان بلغه ان مرغم بن صابر
 الرباحي معه قائم يدعي انه الفضل بن الوائلي فكتب الى ابيه
 بذلك * وفي سنة احدى وثمانين عظم امر الدي وملك قابس واحتوى
 على اكثر البلاد فاحرج الخليفة اليه جيشاً من تونس امر ابيه ولده ابي
 زكرياء فنزل القيروان ونزل الدي فمودة فانسف غالب العسكر الى الدي
 ولم يبق مع المولى زكرياء إلا قليل فرجع الى تونس واخبر ابيه فخرج
 ابيه الخليفة بنفسه في شوال من السنة المذكورة بجيش عظيم واخرج
 من الدروع والسيوف ما حل على تسعين بغلاً ونزل بالمحمدية فلم يقن
 شيء من ذلك وفر عنه اكثر عسكره الى الدي ونهب جمع ما كان معه
 هناك فرجع الى تونس واخرج نساًء واولاده ورحل الى المغرب * ولما
 وصل بجاية لقيده ولده ابو فارس وكان عادلا بها فخلع الخليفة نفسه لولده ابي
 فارس وثاقب بالمحمد وتجهز للنسأء الدي وتزكت والدة بجاية واشفى
 المحمد والدي بوطاة فاهت سنان فخانث انصار المعتمد فاخذ وقتل ونهبت
 امواله * ولما سبى سمع ابيه الخبر خرج هارباً فادركه اهل بجاية فاخذوه
 واتوا به الى الدي فقتله في تاسع عشر ربيع الاول سنة الثنتين وثمانين
 وستمائة فكانت مدته ثلثة اعوام وستة اشهر وستة وعشرين يوماً ولما ولده
 المولى ابو زكرياء الى بلاد المغرب والدي هذا هو احمد بن مرزوق بن ابي
 عملة المسيلي مولده بها ونشأ بجاية وكان محترفا بحرفة الخياطة حامل
 الذكرا إلا انه كان يتطور وخالط السحرة ويزعم انه يحيل المعادن الى

الذهب بالصناعة وتغلب في البلاد له ان وصل الى طرابلس وصحب
نصيرا مولى الوائق ابن المستنصر فلما رآه تبين له في شبه من مولاه فاخذ
نصير يبكي ويقبل قدميه فقال له الدعي فما خبرك فتقص عليه خبر مولاه
فقال له صدقتي وانما اخذ بشار مولاك فاقبل نصير على امراء العرب
واخبرهم بانهم ابن مولاه فصدقوه واتوه بسببهم وزعم انه الفصل بن الوائق
ابن المستنصر فكان من امره ان خطب له على منابر افرقيته وكان
سفكا للدماء خسيما فاجرا كذابا ولم تكن له منقبة غير انه رفع النزول
عن اهل تونس وبقي جامعا خارج باب البحر للخطبة * ولما تمادى
في جورته وكذبته مثته الناس ومثته جنده وطهر المولى ابو حفص بن المولى ابي
زكريا وكان مختفيا في البدايت والنف عليه الناس فجاء لتونس وحاصر
الدعي وانكشف سره فابقن بالهلاك وفر بنفسه الى دار فران اندلسي
قرب حمام زرقون فدلته عليه امرأة فاحيط به وضرب اسواط فاعترف
ببدايته وبسببه وشهد عليه الناس بحضور القاضي ثم طيف به على جار
ثم قطع راسه فكانت مدته بتونس سنته ونصفا غير ثلثة ايام وذلك
اواخر ربيع الاخير سنة ثمانين وثمانمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي حفص عمر

هو ابن المولى ابي زكريا يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر
ابن الشيخ ابي حفص عمر بويج يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر
ربيع الاخير من السنة المذكورة وكان ملكا عافلا كريما لم تحدث منه
عقوبة لاحد وكان له اعتقاد في العالمين وخصوصا في الشيخ الولي الصالح
ابن محمد المرحاني ويعظم العلماء والصالحاء وبنهم ولم يزل على اكمل الحالات
الى اخر عمره وابامه ايام عدل وامن وجماعه * ولما اصابه المرض الذي توفي
منه عهد الى ولده عبد الله فلم ترخصه اشياخ الميراثين لصغر سنه فاستشار
ولي الله الشيخ المرحاني فاشار عليه بتولية ابي عبد الله محمد ابي عبيدة
فقبل اشارة الشيخ وانفذ بعهدة اليه وتوفي اواخر ذي الحجة سنة اربع

وتسعين وستمائة فكانت خلافته احدى عشر عاماً وثمانية اشهر واوله من
العمر اثنان وخمسون سنة وقام بالامر بعده المولى ابو عبيدة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي عبد الله محمد ابي عبيدة

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي
زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص هو
يبيع اواخر ذي الحجة سنة اربع وتسعين وستمائة وسبب تسميته بابي
عبيدة لما قتل والده واخوته هربت احدى جواريه وقد اشتملت منه على
حمل وانثى ربه الى الشيخ المرجاني فوضعت له هناك وصق عنه الشيخ واطعم
الغبراء عبيدة الخطية وسماه محمداً وكناه بابي عبيدة فبقيت له ذمة مع
الشيخ وكانت ايامه ايام هدنة وعافية وسلم لا حرب غرست فيها الغراسات
وبنيت الابراج وامتدت الامال كل ذلك ببركة الشيخ المرجاني وتلقب
بالمستنصر بالله وكانت خلافته اربع عشرة سنة وثمانية اشهر وستة عشر
يوماً ولازمه مرض الاستسقاء فمات منه في عاشر ربيع الاخير سنة تسع
وسبعمائة ولم يخلف ابناً فارصى الى ابي يحيى ابي بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر الشهيد

هو ابن الامير عبد الرحمن بن الامير ابي بكر بن المولى ابي زكرياء يحيى
ابن الخليفة المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد
الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص هو يبيع يوم وفاة المولى ابي
عبيدة لانه كان تحت كفه فاقام ثمانية ايام وتحرك اليه المولى ابو البقاء
خالد من بلد قسطينة فخرج المولى ابو بكر بمحله والنقى مع ابي البقاء
خالد فانهزم جيشه ورجع هو عارياً الى القصبه ووقف بالسجدة ووطن
ان لا جراد ناحته فلم يجتمع له أحد فوق ساعة وانصرف ناحته وتبع
عليه فقتل ولذلك سمي شهيداً وكانت مدته ستة عشر يوماً *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي البناء خالد

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى ابي اسحاق ابراهيم

ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر كان مأملاً في بلد الغناب وقسطينة بعد وفاة والده ابي زكرياء وكان يضع تاج الملك على راسه ويركب بغلة عالية * ولسا حل بتونس انصرف على لذاته ولهوه وترك سياسة الملك فقام عليه ابو يحيى زكرياء ابن اللحيماني وقفل من المشرق * ولسا حل بطرابلس وراى اضطراب افريقية طلب الملك فبريع بطرابلس وانضم اليه اولاد ابي الليل فبعثهم في مقدمته مع شيخ دولته محمد المزدوري فوصل لتونس اول جادى لاولى سنة احدى عشرة وسبع مئة فاجتمع القاضي ابن عبد الرافع بالسلطان ابي الهناء خالد وحرصه على الدفاع عن سلطنته فكبر اللقاء واعتذر بالمرض واشهد على نفسه بالانخلاع من الامر فدخل ابو عبد الله المزدوري القصبته واخذ البيعة عن المولى خالد وتن معه من الاجناد وقتل بعد ذلك بربيع المولى ابو يحيى ابن اللحيماني وكاثت ولايته عامين وستة اشهر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابن اللحيماني هو زكرياء ابن الامير ابي العباس احمد بن الشيخ ابي عبد الله محمد اللحيماني ابن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر اخذ له البيعة حين دولته المزدوري واقبل هو بعد ذلك ثاني رجب من السنة المذكورة يعني سنة احدى عشرة ونزل الحمديّة وجددت له البيعة هناك ودخل لرأس الطابية ومرض الجند واسقط من لم يكن ثابتاً وكانت له مشاركة في العلم والادب وقد طعن في السن وكبر وساس لامر وجربها وتجرع عليه المولى ابو يحيى ابو بكر من التخور الغربية فعلم ان ليس له طاقة على لقائه واضطربت عليه البلاد فجمع الاموال والذخائر وباع كل ما في القصر والكسب التي جمعها ابو زكرياء بيعت في الوراقين وجمع نحو عشرين قنطاراً من الذهب سوى الفضة والدر وغير ذلك وخرج حلة قابس ثم الى طرابلس وكانت مدته الى ان بوبع ولده ابو هريفة

سنة اعراف وثلاثة اشهر ونصف وقام بعده المولى ابو ضربة وكان الامير ابو عبد الله محمد ابن اللحجاني عرف بابي ضربة مسجوناً عند قاضي الوقت لجنابة فاعلق وتبها للعلاء المولى ابي بكر وكان حزة بن عمرو بن ابي الليل من بطانة ابن اللحجاني واخوه مع ابي بكر فدرس اليه ان يجفل بالعسكر فاحذل عسكر السلطان ابي بكر ورجع الى قسطنطينة ودخل ابو ضربة لتونس سنة سبع عشرة وسبع مائة في منتصف شعبان ويبيع بالحصرة وتلقب بالمستنصر ولم تطل ايامه واعاد عليه الكثرة المولى ابو بكر فهرب ابو ضربة الى المهديّة وتحصن بها وبلغ خبره الى ابيه بطرابلس فبعث اساطيل الى المهديّة فحمل ماله واهله وسافر الى مصر وذلك في ايام الملك محمد بن قلاوون فاكرمه وكانت مدة ابي ضربة ثمانين اشهر وثلاثة ايام واستولى على تونس المولى ابو يحيى ابو بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابي بكر هو ابن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر يبيع في الثامن عشر من ربيع الاول سنة ثمان وسبع مائة وكان رحمه الله شجاعاً جيل الصورة كامل القامة محبوباً عند الخاص والعام ولا يولي قاضياً حتى يشهد فيه بالخير وكان قاضيه ابن عبد السلام وقد تعرض له في بعض احكامه القائد ابن الحكيم فاعلق القاضي بابه وامتنع من الحكم فانتبه له السلطان وقال له نطالبك بين يدي الله ان توجه لاحد على ولدي حق وتركته وكان يحب الشرفاء ويكرمهم وكان جده ابو اسحاق انتبه في زمان الموحدين * ولمسا تولى المولى ابو بكر حوزهم الرباع وملكهم اياها فاقسموها بينهم وكانت له وقعة مع بني عبد المؤمن وسافر عن تونس عدة مرات وهزم العرب وفك رقاب اشيائهم ودانت له البلاد وتلقب بالبركل على الله * وفي عام فتح قائد ابن الحكيم المهديّة وكانت في طاعة اللحجاني وولده

من بعده فتحت سنة تسع وثلاثين * وفي سنة ثلث وأربعين نزل العرب على تونس ولم يتخلف منهم احد وانماوا سبعة ايام ثم ارتحلوا وخرج السلطان في اثرهم وهزمهم هزيمة شنيعة على رقالة ورجع الى حضرته وهرب له ابن تافراجين وقبض على فائده محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط واخذ جميع امواله * وقسيل ان الذهب الذي اخذ منه وزنه خمسون فنطارا سوى الفضة والجوهر والياقوت ومائة وستين قنينة من الربع وقتلته بعد ذلك وكان بتونس في مدته ازيد من سبعمائة حانوت للعطارة وكان يصنع جونس كل يوم اربعة آلاف قنينة من اللصع النى نبل والنى تطحن والى تعربل والى تعجين وزعت البلاد في ايامه وطالت ايامه الى سنة سبع وأربعين فدخل عليه هلال شهر رجب على مادة قنينة الحنطرة وهو في رياسته بابي فهر فلما قراه قال - لا اله الا الله دخل رجب - وكررها مرارا ثم قام وتطهر واغسل التوبة واخبر من معه انه يموت في رجب ثم ركب واخرق الاسواق ودخل القنينة ولم تظهر به زيادة ثم حث بكشفه فخرجت له حبة صغيرة اخذته منها الحمى ثم توفي ثاني يوم الشهر وكان حين ولده ابا العباس لاختلافه وكان ببلاد الجريد وبقيته اولاده في الاعمال ولم يبق بين يديه الا ولده ابو حفص عمر فجلس بعده للخلافة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابى حفص عمر

هو ابن المولى ابى يعقوب ابى بكر بن المولى ابى زكرياء بن المولى ابى اسحاق ابراهيم بن المولى ابى زكرياء بن المولى ابى عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابى زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابى بكر بن الشيخ ابى حفص عمر الهذلي بوبع يوم موت والده ثاني رجب وام بانث في عهد ابيه لاختلافه ابى العباس وذلك بانارة ابن تافراجين فلما بلغ الخبر لابى العباس حشد احدى رزدين الى الحنطرة وخرج المولى عبد المستنصر الى لوائه مع اخوته والبردين فهدى النسي الجمعان متحصن ابن تافراجين ورجع الى تونس واخذ ذخائره وفر الى المغرب وكر السلطان عمر الى

تونس وبعد هرب الى باجة ودخل ابو العباس البلد واقام بها سبعة ايام وبعد سبعة ايام رجع المولى عمر من باجة ودخل الحاضرة عند الفجر فخرج ابو العباس هارباً على وجهه لا يدري اين يذهب وقامت العامة على من بها من العرب فلم يفلت إلا القليل منهم وابو حفص عمر زاد خطبة يسابعة في جامع سيدي يحيى السليمانى وكان يقال من علامته خراب تونس سمع خطب تكون بها * قسلت اليوم بها ثلث عشرة خطبة والعلم عند الله * واقام المولى عمر الى ان تحرك عليه ابو الحسن المريني فهرب من تونس فادركه طلب المريني عند قابس فقتل هنالك وكانت ايامه بتونس عشرة اشهر وثلاثة عشر يوماً ومات سنة ثمان واربعين وسبع مائة وانتقل الامر الى بني مرين *

الخبر عن خلافة الامير ابي الحسن المريني

هو علي بن الامير ابي سعيد عثمان بن الامير ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ونذكر نبذة من نسبهم لزيادة الفائدة . بنو مرين فخذ من زناتة والنسابون مختلفون في نسبهم ولكن يجتمع نسبهم في قيس غيلان وتناكحوا في البربر * وكانتم قبائل البربر يجاورون العرب في مساكنهم وتفرقوا في زمن داود عليه السلام لما قتل ملكهم جالوت ففرقوا ايدي سبا وابوا المغرب * فسيهم من مكن الجبال . ومنهم من سكن المهاد . ومنهم من تم على حاله ولازم البراري على عادة العرب * وبنو مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب افريقية وينتقلون من مكان الى مكان وجل اموالهم الابل والخيول وطعامهم اللحم والتمر ودخلوا بلاد المغرب سنة عشر وستمائة مثل ما دخلت لتونة فوجدوا البلاد خالية وملوك الموحدين اختلفت اراؤهم فبنوا الغارات وقطعوا الطريق فبعث اليهم المنتصر من بني عبد المؤمن جيشاً فهزموه واخذوا ما فيه واستحل امرهم وهابهم الناس ولا زال امر بني مرين ينمو الى ان ملكوا بلاد المغرب والاندلس وكان ملكهم بمدينة تلمسان واول من تملك منهم الامير ابو محمد عبد الحق بن خالد بن يحيى بن ابي

بكر بن جانه بن محمد الزناتي المريثي ويحيى بن خالد شهد غزوة لاراك مع يعقوب المنصور واستشهد هنالك وعبد الحق كان من اهل الصلاح والخير يسرد الصوم كثير الذكور والتسبيح ولا يأكل إلا الحلال من لحوم ابله وغنمه وقدمته مرين على تديرها ومساعدة القدر وتوارث الملك من بعده بنوه الاربع - ابو سعيد عثمان - وابو معروف محمد بن عبد الحق - وابو بكر بن عبد الحق - ويعقوب بن عبد الحق * ويعقوب هذا دخل لاندلس نحو عشر مرات ونكا المشركين وفعل بهم العجائب وجاهد في الله حق جهاده ولم في ذلك اخبار عجيبة اختصرناها خوف الاطالة وكانوا سلاطين المغرب وتسموا بامراء المسلمين كما كانت لتونة وقرضوا دولة بني عبد المومن من المغرب وخطبوا لبني حفص في اول الامر ثم استقلوا بالملك ل ان اخذ الملك منهم الشرفاء وملكوا مدينة فاس ومراكش ولم يبق منهم احد في يومنا هذا * ولسترجع ل خبر ابي الحسن وتملكه البلاد الافريقية والسبب فيه ان ابن تافراجين لما فر الى المغرب وفد على ابي الحسن المريثي واستخذه على ملك افريقية فتحرك من المغرب واجتمعت عليه الاغراب واخذ بجاية وقسطينة وانزل صاله فيهما وملك افريقية ومحا رسوم الموحدين ودخل تونس بجيش لا تحصي وشرع في بناء مدينة فوق سيجوم سماها المنصورة لسكنى جيشه فان المدينة لم تسعهم * وقبيل بايعه بتونس خمسون سلطانا في يوم واحد من بني عبد الواحد والاندلس وغيرها * ولما تملك البلاد منع العرب من اعطياتهم ومنعهم الاطاعات فغضبوا عليه وشنوا الغارات في جميع البلاد فخرج اليهم والتقى بهم قرب القيروان فانخذل صكرة وفر هو ل القيروان هاربا فاخذوا محلاته بها فيها وحاصروه بالقيروان ومعه ابن تافراجين وذلك سنة تسع واربعين وكانت العرب تميل ل ابن تافراجين فطلبوه من السلطان ليتفقوا معه على الصلح فلما خرج اليهم قلده حجابة سلطانهم المسمى بابي دبوس واسمه احمد بن عثمان بن ابي دبوس من بني عبد المومن كان مستترا في بلد توزر فدلهم

عليه تن. عرفه فصبوه للخلافة وتوجه أبو دهرس وابن ثافراجين لتونس
وحاصروا قصبتها ورموا عليها بالحجانيق من ربح العلم سعد وكان بالقصة
ولاد السلطان وماله ورجاله * وفي أثناء ذلك داخل السلطان أبو الحسن
بعض العرب من اولاد مهمل أن يفرجوا عنه من الحصار على مال اشترطوه
عليه فوفى لهم به واسروا به إلى سوسة وركب منها في البحر وقدم إلى
تونس * ولما سمع ابن ثافراجين ركب البحر وفر إلى الاسكندرية
في ربيع سنة تسع وأربعين فلما فقد أصحابه تشتت جمعهم ورحلوا عن
تونس فخرج أولياء السلطان من القصبة وملكوا تونس وأقبل السلطان أبو
الحسن في ربيع الأخير من السنة المذكورة وانتقضت عليه افرقية واشتد
الغلاء حتى بيع قفيز القمح بثمانية دنانير * فسلت لا حول ولا قوة إلا
بالله كيف عد أهل تونس هذا القدر مندهم غلاء وأر شادوا ما عايناه
لعدوه من الخسنى لانا شاهدناه اضعاف ذلك * وكثر الرباء حتى انتهى
عدد الاموات إلى شخص كل يوم وفيه مات القاضي ابن عبد السلام والفقير
العابد سيدي يحيى السليماني وتحرك المولى أبو العباس لاختد تونس *
وفي أثناء ذلك باع السلطان أبو الحسن المرنيني أن ابنه أبا عثمان استقلال
بملك المغرب لانه سمع بوفائه بالقيروان وقت حصاره بها وشهد له
بذلك جماعة فاقام نفسه في سلطنة المغرب * ولما سمع به حيا بعث لجميع
عالمه أن يصدوا اباه عند توجهه وخرج أبو الحسن من تونس وركب
البحر وتوجه للمغرب وخلف بتونس ولده الفضل إلى أن ازعجه منها أبو
العباس المفضي فلاحق بالمغرب وخبره أكثر من هذا تركناه للاختصار *
وسكانت مدة السلطان أبي الحسن بافريقية إلى أن خرج عنها ولده الفضل
آخر ذي القعدة سنة خمسين وسبع مائة عامين وستة أشهر وخمسة عشر يوما
ورجع ملك افرقية إلى بني حفص وملكها المولى أبو العباس *

الخبر من خلافة الامير المولى أبي العباس الفضل

هو ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بن المولى أبي زكرياء بن ابراهيم

ابن ابي زكرياء يحيى بن محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر الهشاشي يبيع اول ذي الحجة سنة خمسين وسبع مائة * ولما ملك تونس ركن الى الراحة والهدوء واحتوت العرب على دولته وكان صاحبه احمد بن عتوا قد شاركته العرب في الديوان ورجبة الطعام والمأثية واخذوا البرطيل على تولية الشهود وزوج ابو العباس الفضل اخته لابي الليل بن حزة رجاء ان يطول ملكه ولم يسبقه احد لذلك ويابى الله الا ما يريد * ورجسح الحاجب ابن تافراجين من المشرق هو والشيخ عمر بن حزة فاتفق ابن حزة مع اخوته على ادخال ابن تافراجين لتونس * وبعثوا الى ابي العباس الفضل فقال لا سبيل الى ادخاله فبعثوا اليه صل الينا نتحدث معك فخرج مع جماعته ليدفعوا عليه وعلى اصحابه الذين معه وجردوا واخذت دوابهم ودخل ابن تافراجين لتونس واخرج المولى ابا اسحاق ابراهيم واجلسه مجلس الخلافة وقتل المولى ابو العباس عاخر جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وسبع مائة فكانت مدته خمسة اشهر واربعة عشر يوما *

الخمسبر عن خلافة لامير ابي اسحاق ابراهيم المستنصر

هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن عبد الرحمن بن ابي يحيى زكرياء بن محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر جلس مجلس الخلافة بعد اخيه * واستوزر ابن تافراجين فقام بتدبير دولته وعلت همة ابن تافراجين الى ان سلم عليه بسلام الملوك واستخلص قواعد البلد من ايدي العرب وهي بلاد قرطاجنة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسى والاريس وجعلها بايدي خدامه واستبد بالجماعي الداخلية والخارجية وشرع في بناء السور الذي يحيط بارباع تونس وحبس عليه نصف خراج الارض ونصف كراء المعاصر التي بداخله لاصلاح ما يخطر منه * وفي سنة خمس وخمسين اخذ السلطان ابو عنان المريني بجاية من ايدي الموحدين * وفي سنة ست وخمسين

أخذت النصارى طرابلس وجعلوا ما فيها وسكنوها خمسة أشهر * وفي سنة ثمان وخسين أخذ السلطان أبو عنان قسطنطينة وفي آخر شعبان وصل أسطول أبي عنان لتونس فطاردهم ابن تافراجين وهزمهم ثم وصل الخبر بأن محلة أبي عنان واصله ففر ابن تافراجين إلى المهديّة فدخل أهل الأسطول وملكوا تونس وكتب البيعة لأبي عنان وهو بقسطنطينة وخطب له بافريقية ما عدا المهديّة وسوسة وتوزر وبقي الأمر على هذا شهرين * ولما أراد أبو عنان التوجه لتونس لجأ إلى علي بن جشم فرجع إلى المغرب فقامت ثورة في مسكرة الذي بتونس فاجأ إلى أجدانهم وتركوا ما كان معهم ورجع ابن تافراجين من المهديّة وجمعت البيعة لأبي اسحاق فدخل المحصورة في ذي القعدة سنة ثمان وخسين وسبع مائة * وفي سنة ستين أخذت النصارى الحمامات * وفي شوال سنة إحدى وستين توجه السلطان أبو اسحاق إبراهيم وفك بجاية من أيدي المرينيين * وفي سنة ست وستين قري صفاق المولى أبي اسحاق على ابنة ابن تافراجين بخط ابن مرزوق فراه علامة الوجود الشيخ ابن عرفة * وعدد الصفاق اثنا عشر ألف دينار وتلون خادما وتوفي ابن تافراجين عقب ذلك * وفي رجب سنة سبع وستين جهد الكتابة التي بالازورد في قبة جامع الزيتونة * وفي سنة سبعين وسبع مائة توفي المولى أبو اسحاق في الثاني عشر لرجب فجأة فكانت مدته ثمانية عشر عاما واحدا عشر شهرا وخمسة عشر يوما ونصب ولده من بعده وهو صبي لم يناهز الحلم *

الخبر عن خلافة الأمير أبي الهيثم خالد بن المستنصر

هو ابن المولى أبي اسحاق إبراهيم بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي زكرياء يحيى ابن المولى إبراهيم بن أبي زكرياء يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر جلس بعد موت أبيه وحسب له أحد اليماني * فلم يترك أحد للأمير خالد شيئا فانتهب أموال الناس وأهان الأشراف فعظم على الناس ذلك واختل

الامير فالحق منصور بن حرة بالمولى ابي العباس وحضر على ملك افريقية
وكان بقسطنطينة فنهض ابو العباس الى تونس وتلقته وجوه افريقية
بالطاعة وانتهى الى الحاضرة وحاصرها اياما ففر الامير خالد واصحابه من
باب الجزيرة وانطلق الجند في اتباعهم فقبض على الامير خالد واعتقل ثم
وجه به وباخيه في البحر فعصفت بهما الرياح ففرقا وكانت مدتهم بتونس
سنة وتسعة اشهر *

الخبر عن خلافة الامير ابي العباس احمد بن المستنصر

هو ابن الامير ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكرياء
يحيى بن المولى ابراهيم بن المولى يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد
الواحد بن ابي بكر بن ابي حنبل بن عمر بن بوبع بتونس ثاني عشر ربيع
الآخير سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة * وكان رحمه الله شجاعا دينيا عافلا
صفوحا جال في بلاد المغرب ووصل مع السلطان ابي سالم المريني الى
وزار الشيخ ابا مدين وعاهد الله عنده ان لا يكافى من عمل معه سوءا الا
بخير * ولما ملك افريقية رفع انواع الفساد وكفح العرب على التغلب وانتزع
ما بايدهم من الامصار وانمي اليه ان محمد ابن تافراجين داخل العرب في
الفساد فقبض عليه واعتقله بقسطنطينة الى ان مات بها ثم لم يزل يحاول
امر العرب الى ان قطع دابرهم وافتتح بلاد قفصة واخذ شيوخها بني العابد
واستولى على اموالهم وفتح توزر واحتوى على ذخائر شيخها ابن يملول *
ومن حسنات المولى ابي العباس احمد اقامة القراءة في الاسبوع بالمتصورة
قربي جامع الزيتونة واقف على ذلك وقفاً موبداً والسنيّة التي يطحها
الشيخ سيدي مردوم نفع الله به داخل باب قرطاجنة واقف عليها
اوقافاً جليلة وانشاء الهرج الذي هو شرقي قرطاجنة للاحتراس ورفع التضييف
عن قراها عند خروج السلطان لذلك المكان وبناءه طوله الكبير بزينة ابن
عبد السلام قبالة باب البهور جربي الجامع الاعظم ليصوم به رمضان كل
سنة واخباره اكثر من هذا ذكرها ابن السماع واطال في مدحه وحق له

ذلك * فسلط هذا الملك هو ممدوح العلامة بدر الدين ابن الدمايني رحم الله تعالى الجميع مدحه بقصيدة بديعية اتي فيها بجميع انواع البديع ولا بدع ان طلع بدر التمام من ذلك الجنب الرفيع وبعث بها من ثغر لاسكندرية الى المحصرة العلية ولكن ما استوفي له حق من حقوق السالكين لهذه الطريقة واجازة بجائزة اذا ذكرت بين اهلها قالوا هذه مجاز لا حقيقة * وذكر الزركشي مولاهم في شرحه لهذه القصيدة ونشر در معانيها وان كانت هي الدرة الفريدة ان الممدوح ارسل لمادحها عدد ابياتها دنانير فاهتموها ابن الدمايني فقال له الرسول ان مولانا جعل هذا القدر جائزة لك في كل سنة * وهذا من طرف الرسول انظر ايها المتامل الى كساد سوق الادب ونفاذه في الصدر الاول في ايام بني العباس حيث انابوا عن المدح بالف درهم على البيت الواحد وسروان بن ابي حفصة ممن اخذ هذا النذر في ايام الرشيد وهلم جرا الامر من بعده ولكن بعض الشعراء من بعض ولاء نحن اليوم في زمان لو مدح اهل بنظم النذر لم يجزه احد بالخزف * وهذه القصيدة مدح بها لما افتتح مدينة قابس وذلك انها خرجت في الزمن السابق عن ملوك صنهاجة واستقل بها بنو جامع من الهلاليين الى ان اخذها الموحدين من بني عبد المؤمن ثم دار بها قرافش الارمني الملقب بشرف الدولة ملوك الملك المظفر صاحب مصر وكتان بينهم وبين انيسور في صاحب الهدية مهادنة واستخلصتها ملوك بني حفص في اول الدولة ثم عصت على امير المؤمنين ابي العباس احمد فافتتحها بعد حصار وجهد وانشأ الدمايني الى فتحها بقوله في قصيدته :

ومن نوره ابدا السناء لقابس فلاح لها نور على الحق يسفر
وفي ايامه اقبل عبد الله الترجان وكان قسيسا من اقسمة النصارى فاسلم
على يديه وهو صاحب كتاب تحفة الاربيب في الرد على اهل الصليب
ذكره في هذا الكتاب واني عليه خيرا * وفي ايامه جاءت الجنود

والفرانسييس في ثمانين قطعة ونازلوا الهدية واقاموا عليها نحو شهرين ، وبعث اليها ابو العباس جيشا فكانت بينهما فترات وارتحلوا عنها خائبين وتوفي رحمه الله ثالث شعبان سنة ست وتسعين وسبعمائة وسنه سبع وستون سنة ومدة ولايته جتونس اربع وعشرون سنة واربعه اشهر رحته الله عليه * وهو الذي شيد رسوم بني حفص بعد اندلسها واقطم منار بني حفص في الخلافة ودعم اساسها وحكمت في ايام ولده السعيد ابي فارس ودرس عمر لاعراب وعمر المدارس *

الخبر عن خلافة الامير ابي فارس عبد العزيز

هو ابن المولى ابي العباس احمد بن ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكريا يحيى بن ابراهيم بن ابي زكريا بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص صر الهنتاني رحمه الله بومع رابع شعبان بعد وفاة والده واقام بالامر اتم قيلم ورتب للاحوال واعطى الاموال واصلاح البلاد وقمع اهل الفساد وكان شجاعا حازما ثانيا معتقدا في الصالحين موقرا للعلماء كثير الصدقات فطنا ذكيا فصيحيا عجا لالحير واهله * فمن فضائله عموم صلاته لاهل الحرمين وعلاء المشرق يوجه لهم بذلك محبة الركب الحجازي على الدوام ووظف لاهل الاندلس في كل علم من الطعام وغيره اعانة لهم على جهاد عدو الدين * ومن حسناته خزانة الكتب المستعملة على انهاء الدواوين وجعل لها مقصورة بمجنبة المهلال من الجامع الاعظم وارقفها على طلبة العلم ينتفعون بالنظر والكتب بشرط ان لا يخرج عنها شيء من محله وجعل لها قومة يقومون بها في نفضها ومناولها للطلبة وردها لمكانها ووقت لها وقتا محددا في كل يوم وكان ملازما لمرآة العلم بين يديه سفرا وحضر * وقسمال في تحفة الاريب وابطل امكسا كانت بتوس منها سرق الرهانة وكان مجباه ثلثة آلاف دينار * وجبها رحمة الطعام خمسة آلاف دينار * ورحبة المشية عشرة آلاف * وفندق الزيتون خمسة آلاف * وفندق الخضرة

ثلاثة آلاف * والبطارين مائة وخمسين ديناراً * وفندق الأدام خمسين
ديناراً * وفندق الفحم ألف دينار * وفندق الملح ألف وخمسمائة * ومجبا
لاعمدة ألف دينار * ودار الشغل ثلثة آلاف دينار * وسوق القشاشين
مائتي دينار * والصنارين مائتي دينار * وأبطل القيان ونقى المخنئين من
البلد * وأقسام العدل في جميع رعاياه بالكتاب والسنة وانصف المظلوم من
الظالم * وجاءته الوفود من المشرق والغرب * وغزا صقليته وغنم فيها مغنما
كثيراً * وغزا طرابلس وقابس والحامة وقفصة وتوزر ونفطة وبسكرة وقسطينة
وبجاية والصحرى * وكسنت العرب غالبته على من قبله فاهانهم والزمهم
الزكاة والعشر * وقال صاحب القرباس في اخبار ملوك فاس انه اوسل هدية
الى ابي يعقوب المريني وهو بفاس والناصر بن قلاوون بعث لابني فارس
بهدية حافلة في تلك السنة * هذا لعظيم ذكره في ذلك الوقت * وفي ايامه
عظم شأن المولد الشريف * فليست رحم الله هذه الروح الركية لمثل هذا
يقال امير المؤمنين * لامن استغلبت على دولته البغاة من المفسدين * ورايت
ابن حجة الحموي ذكر في كتاب قهوة الانشاء له رسالة طنانة من انشاء
جواباً عن مكاتبة للسلطان المويدي واثني عليه في تلك الرسالة بما يستحقه *
وقال ابن الشماع وافتتح مدينة تلمسان ووصل الى قريب مدينة فاس *
وقال الشيخ الرصاع رايت في حدود السنين والثمانمائة ببلد تلمسان * وكان
قاضي مسكرة ابو عبد الله محمد الشماع ومفتي مسكرة ابو عبد الله محمد المحسن *
وقرأ البيعة القاضي المذكور بجامع تلمسان * وحضر لشراءها علماء الوقت
منهم ابن مرزوق وابو القاسم العقباني وابن الامام وابن النجار وجاءت من
العلماء * ونسقت من خط السيد بركات الشريف رحمة الله عليه
قال غزا ابو فارس مدينة فاس لما شكوا أهلها اليه بظلم احمد المريني فغزا
فخرجت أخت المريني الى ابي فارس فقالت له انك ميت وانهم
ميتون فعفا عنه واعاده الى بلده وادره بالعدل * قال ابن الشماع وفي
سنة خمس وثلثمائة فولت المصاري بجزيرة جربة وكان السلطان

يولد الجريد فتلافها لى أن رحلوا عنها خائبين * ومن حسناته قطع
القبالة التي كانت خارج باب البحر وبني مكانها زاوية للصلاة وللعلم * قال
الترجمان وكان فندقا للعاصي والخمر بجناه عشرة آلاف دينار * وكان
ولده ابو عبد الله محمد ولي هذه موصوفا بالخير والعفاف والديانة وهو الذي
انشا الزاوية التي يستحوم وجعل فيها جامعا لخطبة ورباطا لطلبة العلم
وسماطا للمقيمين والواردين * وتسوفي سنة ثلث وثلثين ودفن بشربة بقرب
من دار الولي الشيخ سيدي محرز نفع الله به وهو ابو الخلفاء من بعد ابيه *
وتسوفي المرحوم ابو فارس عام سبع وثلثين وثمانمائة فجأة بعد ما ظهر
ولبس ثيابه * ودفن حيث دفن ولك كانت مدة خلافته احدا واربعين
حاما واربعة اشهر وسبعة ايام * قلت ما اطلت الكلام في هذا المجال إلا
لكون هذا الامام هو واسطة بني ابي حص * واذا ذكرت خلافة الحفصيين
بدونه يظهر في خلافتهم النقص * والله تعالى يكافيه ويجازيه
باعماله الفاخرة * وكما رفع ذكره وقدره في الدنيا يرفعه في درجات عليين
سيف الاخرة * انه سميع جيب *

الخبر عن خلافة الامير ابي عبد الله المتصور

هو محمد ابن المولى ابي عبد الله محمد بن امير المؤمنين ابي فارس عبد العزيز
وامام نسبه معروف بويح يوم عيد الاضحى صبيحة الليلة التي توفي جده
فيها ودخل المحصرة يوم عاشوراء سنة ثمان وثلثين وثمانمائة وكان شجاعا
كراما عفيفا * ولما ولي اخرج مالا تصدق به على اهل المدارس
وذوي الحاجات والارامل والايتام ووجه بمال الى جزيرة الاندلس تصدق
به على المجاهدين * وامر ببناء زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وبني
سقاية الماء بداخل باب ابي سعدون واقف عليها ما يكفيها * وشرع في
بناء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلقة بتونس المحروسة لقراءة
العلم * وسافر بمحلة كبيرة فاجفل الاعراب بين يديه فوصل لبلد قفصة
فابتداه مرتبه الذي مات به فرجع لتونس ولازمه المرض الى ان توفي

ليلة الجمعة الثانية والعشرين من صفر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فكانت مدته عاماً واحداً وشهرين واحداً عشر يوماً ودفن بترتبة آبائهم رحمهم الله الجميع *

.. الخبر عن خلافة الامير ابي عمرو عثمان

هو ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى ابي فارس عبد العزيز بريح صبيحة اليوم الذي توفي اخوه فيه ولم يتخلف عنه احد * وكان رحمه الله من اجل ملوك بني ابي حفص وودع ختامهم طالت مدته وفعل خيرات يشب ثوابها في صحيفتهم * فمسن مأثرة رحمة الله عليه بناء مدرسته في غاية الحسن بزيارة الشيخ الولي الصالح العابد سيدي محرز بن خلف وجعل فيها مسجداً للصلاة ودرسا لقراءة العلم ودواوي لسكنى الطلبة وجعل فيها سماطاً مستمرا يتصدق به كل يوم على المحتاجين وجعل فيها ماء للسيل ووقف عليها ما يكتفي بها والقومة * فلبث اما المدرسته فبقيتها موجودة واما خيراتها فلم يبق منها شيء وبني زاوية بعين الزميت وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرسا لقراءة العلم ورباطاً للفاطنين وسماطاً قويا على ممر الايام للقيمين بها والوافدين ووقف عليها وقفاً كافياً ولم يبق منه شيء ايضا * ومن حسناته اخراجه لخزانته الكتب بالمصورة الشرقية من الجامع الاعظم مشتملة على امهات الدواوين وجعل لها قومة ووقف عليها وقفاً كافياً موبدا * فلبث والكتب ايضا لم يبق منها شيء وبعض الوقف باق لكن لغير مستحقه واما الكتب فقد تالشت لما ملك عدو الدين البلاد وسياتي خبرها ان شاء الله تعالى * وبني ثلثة مكاتب لقراءة القرآن واحد قبلي الجامع الاعظم واثان بربض باب المنارة والمينة للوضوء بدرب ابن عبد السلام في غاية الانتقان جوفي الجامع الاعظم بتونس ووقف عليها وقفاً كافياً * فلبث وعي الى يومنا هذا بها بقية وان طال الامر تالشت ايضا * ومنها وتكملته المدرسة التي ابتدا بناءها شقيقه رحمه الله تعالى التي بسرقى الثالثة على اكمل بناء واتقنه ووقف عليها وقفاً كافياً فعمرت حمارة قوية * فلبث اما المدرسته فموجودة واما الوقف

فتداند درس وادركنا قبل اليوم بها طلبة مقيمين ولهم ما يسد رمقهم من العيش ثم
نلاشى الامر وتداركها في حدود التسعين والالف من رزم انه يستغنم ثوابها واراد
ان يحيي رسومها بعد خرابها فاصح ما فسد منها وارقت عليها وقفا لمدرس بها
وعدة طلبة فاحصى عليها من ينسب الى الفقر فعطل بجوارها وتحمل من الرزق
ما يقصم منه الظهر واناها موجودة ومحاسنها ظاهرة وصاحب التدريس
اليوم بها شيخنا ابو عبد الله عرفة فسح الله في مدته * وكان المولى ابو عمرو
ثمان يكرم اهل البيت النبوي ويحسن اليهم ويكرم الضيف ويلزم السرفي
كل عام لقمع اهل الفساد والتفاني من الاعراب * وهنا انتهى ابن الشماخ وزاد
الزركشي نبذة وليات بها مختصرة كما اختصرنا ابن الشماخ * وذلك لوجوه
منها للاختصار ومنها خيفة ان تذهب ديباجة كتابه * ومنها اخذنا منه
الزبدة وتركنا الزباد والله المستعان * قال الزركشي وخرج بمحلة عظيمة في اثر
العرب ومسك اكابهم مثل نصر الدوازي ومحمد بن سعيد واسماعيل بن صرار
ومهلل اربعة من الانبياء بعد ان احتال عليهم حتى دخلوا المحلة فاعطى
الف دينار لكل شيخ وباتوا عند القواد فاصبحوا مصفدين وكفاه الله شرهم *
قلت هولاء العرب اذاهم بالطبع مثل العقرب ولو قطع ذنبها لا يبطل لدغها
والى زماننا نحن منهم على وجل تسال الله ان يحسم هذه المادة بمنه * وأشار
الشيخ الرصاع في فهرسته الى هذه الواقعة فقال تجددت اولاد ابي الليل
من شيوخ افرقيته وحاصروا المحصرة واعلنوا بالنفاق فخرج اليهم سلطان
الوثق ابو عمرو صمان فنصرة الله تعالى عليهم * وكان الامام العلامة سيدي
ابو القاسم البرزلي يدعو عليهم بدعوات مبتكرة غير مستعملة فاستجاب الله
دعاه فاحذوا واخذت اموالهم وديارهم ونصر الله عليهم الملك وذلك ببركتهم
دعاء الشيخ * اه * وقسسال الزركشي وفي سنة اربع وخسين وقيل
اثنيتين وخسين كان عرس ولي العهد الامير لاجل ابي عبد الله محمد المسعود
وكان عرسا حفيلا ما رجع بتونس مثله * قلت هذا المولى لاجل لم يات
في بني ابي حفص مثله من عتاف وديانة وبر وامانة وهو ابو الجلفاء الآخرين

لم يل أحد إلا من ولده * ومسات في حياة والده وهو مشوح الشيخ ابن الخلوف وكفاه تلك الحال التي طرزا بمدحه في حياته وهي باقية تنشر بعد موته وله مآثر عديدة منها الختم التي كتبها بيده في عدة أسفار وأوقف عليها ربحا للاستغلال يقيم القاري بها ويقرأ فيها كل يوم بعد صلاة الظهر نصف حزب أو ربعه بحسب الأيام وجعلها على التوابيت بأزاء الربعة التي بها البخاري من حبس والى بالجامع الأعظم بتونس * وله أخبار شهيرة بأفعال البر اضربنا عنها خوف الأطلالة * وفي سنة ثلث وسبعين عظم الوباء بتونس قيل أنه بلغ عدد الموتى به إلى أربعة عشر ألفا في كل يوم وحصر في الزمام أربع مائة ألف عدا سن لم يدخل في الزمام نحو المائة ألف * وفي سنة خمس وسبعين كملت السانية المسماة بالمنصورة قرب برج الصخراء جوفي جبل الفتح وفيه سائح مسجد الصخراء وقطعة من الجبل حتى وصلت جارتها للبحر * وفي جمادى سنة خمس وتسعين توفي ولي العهد المولى أبو عبد الله محمد المسعود ودفن بمقبرة أجداده جوار ولي الله الشيخ سيدي حمزة وكان هذا المرحوم أنجب بني أبي حصن غفر الله له * ومن حسنات أبي عمرو عثمان الختم الكبيرة الرسلته له هدية من البلاد الأندلسية لم ير الرافلون أحسن منها خطا وتزويقا بالذهب وغير ذلك مما يوله العقل وأوقف على قارئتين يقرءون بها قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وقبل صلاة العصر ألف دينار سنوية وجعل لها غلظا مرصعا وحي الموصوفة قبالة النوايت * وبالجملة هو ختام الدولة الحفصية ونظام المحلس الأخيرة في البلاد الأفرقية وطالت أيامه في الملك عن سن كان قبله له أن وافاه حمامه وبلغ أجله من بهاء وتوفي رحمة الله عليه * آخر شهر رمضان سنة ثلث وتسعين وثمان مائة وفام بالامر حفيده *

الخبر عن خلافة الأمير أبي زكرياء يحيى

هو ابن المولى عبد الله محمد المسعود ابن المولى أبي عمرو عثمان بويح يوم وفاة جده وخرج إلى المحلة على حسب العادة فهربت جماعة من الجند

واخبروا ان الحلة اخذتها لاعراب وان السلطان مات ومن عند جدي براسه
فوضع على رمح وطيف به واستبد بالملك ابن عمه ابو محمد عبد المومن
ابن الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان وبويع
في رجب من السنة المذكورة * وفي ذي الحجة منها جدي بجنته الامير
يحيى ودفنت عند سيدي احمد السقا وكل ذلك مفعل * ثم بعد ذلك افتضح
الامر وظهر ان السلطان بالحياة وبعد خبر يطول دخل السلطان ابو زكرياء
يحيى وفر عبد المومن واستقل ابو زكرياء بمملكه وبعد ايام جدي براس عبد
المومن وطيف به كما طيف براس الخليفة يحيى وكفى الله المومنين القتال
ورجع الى حضرته بتونس وبويع بيعة ثانية ووقع الحلم منه على الناس
وجاءته بيعة بلد العناب وقابس وصفاقس وذات له البلاد وتم في ملكه
الى سنة تسع وتسعين وكان فيه وباء عظيم مات به خلق كثير
ومات به السلطان ابو زكرياء في التاسع من شعبان فكانت مدة ملكه
ست سنين الا شهرا وعشرة ايام *

الحسبر عن خلافة الامير المولى ابي عبد الله محمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن الامير ابي عبد الله محمد المسعود
ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان بويع يوم وفاة ابن عمه ابي زكرياء
يحيى وجلس بالقبلة وبايعه الخاص والعام وكان فطنا ذكيا فصحا
محب للخير واهله معتقدا في الصالحين وهو الذي بنى المقصورة بطرف صحن
الجامع الاعظم بتونس من الجهة الشرقية مما يلي الجوفي شارفت على سوق
الطارين وسوق الطيبين وجعل فيها كتبا مفيدة وجعل لها قومة يقومون
بها ووقت للانتفاع بها وقتا محدودا عند اذان الظهر وبعد صلاة العصر
واوقف عليها وقفا كافيا وجعل سقايتها باسفل منها مما يلي الشرقي حيث
كانت سقاية المولى المستنصر بالله وجعل النظر لامام الجامع الاعظم وكان
لامام اذ ذاك العالم العلامة ابو البركات ابن عصفور سالم الله الجميع
وانابهم على حسن الصنيع * وفي ايامه توفي الشيخ ابو القاسم الجليزي

اول صفر سنة اثنتين وتسعمائة ودفن بزوايته داخل باب خالد من تونس
وحضر السلطان جنازته * وفي سنة اربع وتسعمائة في جادى توفي الزلي
سبدي منصور بن جردان وخرجت روحه ورأسه في حجر امام الجامع ابن
صفور بالمقصورة الشرقية من الجامع وكان عمر الشيخ ابن جردان
مئسة وثمانين عاما وحمله الامام الى موضع سكناه بزنقة ابن عبد السلام
فغسله وكفنه وخرجت جنازته من هنالك ودفن بزوايته بحوانيت الفار
نفعنا الله ببركاته * وفي ايام السلطان محمد كانت وقائع بينه وبين
العرب وهزوة على القيروان ورجع تونس في ثمانمائة من الخيل * وفي
ايامه خرجت بلاد كثيرة من حكمه وهو الذي ملك الجزائر للتأكد خروج
التوكي وكان بها برج للنصارى ضيق عليها فملكها عروج واخذ الهرج *
وبعد السنة الرابعة التي كانت فيها الواقعة على اهل تونس كما سيأتي وتمكن
الانبراطور من تونس ارسل اليها عمارة لاختذها وكان بها حسن عافة نائبها
من خير الدين بلنا وبها شيخ شريف واراد حسن عافة ان يهرب فبصره
الشريف واتى امر الله فكسرت العمارة بالريح فصارت لهم ذبيمة وهو
سبب قوة الجزائر هكذا نقلت من خط السيد الشريف بركات رحمه الله
ومن خطه ايضا ان السلطان محمدا بعث محمدا الغوري رسولا الى سلطان مصر
وهو الملك الغوري وذلك في اول دولة السلطان محمدا وارسل له الغوري هدية
وفيها الزرافة قال وكان الغوري شاخ بباب السويقة فخافه محمد فقتله
قدرا * وقسمال اخذت طرابلس من يد محمد سنة اربع عشرة وتسعمائة
قام بها ابن قراب وملكها للنصارى وبعث لهم جيشا مقدمه المأكد محمد
ابو حداد وكان من اكبر قواده فبارزة فبطان النصارى فاخذ ابو حداد
بالحملة وساقه اسيرا وابو حداد هذا كان فائد توزر * والسياسطان محمد
هذا كان ختام بني ابي حفص ومن بعده اسم لا رسم وتوفي رحمه الله يوم
الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاخير سنة اثنتين وثلثين وتسعمائة
وتولى بعده ولده الحسن *

الخبر عن خلافة الأمير أبي محمد الحسن

هو أبو محمد بن الحسن بن السعيد بن المولى أبي عمرو عثمان بوبع يوم وفاة والده يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنى عشر وثلثين وتسعمائة * ولمسا تولى رفع المكوسات كلها وأجرى على الناس العادة العثمانية وسار سيرة حسنة في أول الأمر * وهنا انتهى النقل الذي قيده الزركشي ولم اطلع على ما سواه إلا ما تلقينته من أهل المحاصرة ولهذا نأني به جلا لا تفصيلا ولم أقيد نفسي لتاريخ الوقائع لقلته الضبط ولم أجد من له اهتمام بهذا الأمر فأقول وبالله المستعان - سمعت من يذكر من أهل تونس أن السلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعته مدينته سوسة فقام فيها صهره القليعي * وقام عليه القيروان الشيخ عرفت وكان من مرابطي القيروان من ذرية الشيخ سيدي نعمون وهو جد الشابييين قام على السلطان الحسن وبيع لرجل من لشونة اسمه يحيى ارتقم في السلطنة وأدعى أنه حفصي جاء من المغرب ولم له الأمر وهو في الحقيقة اسم لا رسم والشيخ عرفت ينفذ الأمور * وفسر بعد ذلك يحيى من القيروان ودخل تونس في أيام السلطان أحمد وهو متنكر نظره في المراكز فقطع رأسه وطيء به * ولمسا مات الشيخ عرفت صاحب القيروان قام بالأمر بعده ابن أخيه واسمه محمد بن أبي الطيب ولم يزل يحارب السلطان أحمد إلى أن أخذ القيروان من يده درغوث باشا بأمر من أهل القيروان إلى درغوث وهو بمدينة طرابلس * فسلوا له البلاد لمسا جاءهم وانصرفوا عن ابن أبي الطيب وذلك ففتح سيرته في الناس وكان يحارب السلطان أحمد مدة حياته وبينهما عدة وقائع * ولما أخذها درغوث في مدة السلطان أحمد الحفصي أخذ ابن أبي الطيب وعلق وفرت أشباعهم من القيروان وسكنوا البادية وهم الذين يقال لهم الشابييون * لأن أصابهم من الشابية والصبية وهي بلدة قبالة المهدية هند مكان يقال له قبوذية * والعسرب الذين يقال لهم دريد هم

تلاميذ للشابسية وهم طوائف كثيرة لا يستحقون له تعريف في زماننا *
 والشيخ عبد الصمد الذي ادركناه من خرج من القيروان عند انزاجهم
 وهو اذ ذاك دون الاربعين يوما ولم اطلع على اسم ابيه والغالب على ظني
 انه ابن محمد بن ابي الطيب واستحكم في دريد فيما بعد وشاخ عليهم
 ولم اخبار ليس هذا موضعها وقام بعده علي وكنيته ابو زغاينة ثم ابنه
 ابو زيان * وفي ايام ابي زيان خرجت اسكرت رعياه عن طاعته ودخلوا
 في طاعة الترك ومنذ خروجهم من القيروان دخلتها الاثراك واقاموا بها *
 وكان دخولهم على يد رجل من خدام الشابييين يقال له الغالي وهو
 الذي تسبب في مجي الترك لاجل واقعة يطول شرحها * اه * ولنرجع
 الى خير السلطان الحسن * وفي ايامه كانت قسطنطينة في ايدي الترك
 وانما كان ولده احمد نائبا ببلد العناب * وفي ايامه تغلبت الاعراب على
 جل البلاد * وكانت الشوكة في اولاد سعيد لانهم استقلوا بالبلاد بعد
 اولاد مدافع والشرح لما انقرضوا فعاث اولاد سعيد في البلاد وهادنهم السلطان
 الحسن بستين الف دينار على الوطن * وفي ايامه جاءت عمارة من بر
 الترك لآخذ تونس ارسلها ابراهيم باشا وكان وزير السلطان سليمان بن
 السلطان سليم فاتح مصر . وكان ابراهيم باشا حروب الدينار باسمه وهو اول
 وزير تولى الوزارة من اولاد السراية واهلكه لادل والاعجاب بنفسه
 ومات سنة احدى واربعين وتسعمائة وكان مخادعا لسلطاناه فارسل
 خير الدين الى تونس من غير اذن سلطاناه فنزل تونس واخذها وفر عنها
 الحسن ودخل خير الدين الى تونس واستقل بقصبتها ولم اقف على صحة
 خبر كم كانت مدته الا انه كان قبل الاربعين والتسعمائة والصحيح عندي
 والله اعلم انها كانت سنة خمس وثلاثين او ست وثلاثين * وقام اهل باب
 السويقة على خير الدين وكانت بينهم مقتلة عظيمة مات فيها خلق كثير
 عن الذين * وكانت من باب القصبة الى باب البناث على حومة العلوج
 وفشا القتل في الناس وانجز القتال * وبمعت خير الدين بالامان

وانعكفت الفريقان . وخير الدين هذا هو الذي نفى العالم مغوشا لحوافه منه لما ملك تونس ومغوش هذا كان في دولة الحسن وجيهها فخرج الى المشرق وحج ودخل الى الديار الرومية والنقى مع العلامة الشيخ المفتي بملك البلاد علامة وقته ابي السعود افندي رحمه الله * وظهرت فضائل العالم مغوش هنالك وطارح علماء القسطنطينية واعترفوا له بالفصل وترقى في ذلك العصر الى ان ام بالملك السلطان سليمان خان وكل ذلك من بركة العلم وبركة الشیخ سيدي منصور بن جردان نفع الله به * ولما تمكن خير الدين بتونس جاءت عمارة من بلاد البصارى استنجد بها الحسن من قبل الانبراطور فيها مائة الف مقاتل * قسست الانبراطور في ذلك الزمان هو صاحب اسبانية دمره الله وانما تسمى بهذا الاسم لما تحكم على اكثر بلاد الاندلس فشنخ بانفسه وتسمى بالانبراطور ولم يكن هذا الاسم لاحد من اجداده والانبراطور من اسماء ملوك الالبان لان ملكهم قديم والانبراطور عندهم كالخليفة عند المسلمين وانما نهبت على هذا لتلا يظن انه الانبراطور المعهود * ولما نزلت النصارى قسابلتهم لاثرات وتن انجاز اليهم من المسلمين وعددهم ثمانية عشر الفا والنقى الجمعان بخربة الكلنج شرقي تونس وخير الدين معهم وانتشبت القتال بينهم وكانت مقتلة عظيمة * وظهرت شجاعة خير الدين في ذلك النهار وكادت ان تكون له على النصارى الا والخبر انا ان القسبة اخذت وان الاعلاج الذين بها فتكوا الباب فخرخير الدين من وقته وتن معه الى المغرب * واعترضه العرب عند تبرسق فكانت بينهم حروب شديدة وتخلص منهم الى ان وصل بلد الغناب وركب البحر في عشرين غرابا وسياني بقية خبره ان شاء الله تعالى * ولما دخل الحسن الى قصبته واطمانت الناس وقعد كل صانع في صناعته واهل الربع فتكوا ربعمهم واطمانوا في اماكنهم دهمهم عدو الدين فهجمت النصارى عليهم على حين غفلة في قاتلة والاسواق مفتوحة فاحذوا ما فيها من الامتعة وقتلوا اهلها وسبوا خلقا كثيرا وفر الناس بعيالهم ممن قدر على الهرب

وراحوا إلى ناحية زغوان * فبعث عظيم النصاري إلى العرب وجعل لهم
جعلاً على كل مسلم اتوا به إليه فخرجت العربان في طلبهم وأخرجوهم من كل
شعب وواد واتوا بهم إلى النصاري فكان طلب العرب لهم أصعب من طلب
النصاري وأخذوا ما شرطوا لهم والبعض فدى نفسه من العرب وباعث
فدية الرجل ألف دينار وأكثر وأقل ومن لم يقد نفسه من كافر العرب
تملكه الكافر الآخر وكان هذا الخطب جسيماً * وهذه الواقعة هي
المعبر عنها بخطرة الأربعاء وكان السلطان الحسن أباح البلد للنصاري
ثلاثة أيام * وإلى هذه الواقعة أشار العالم ابن سلامة في قصيدته التي
يتشوق فيها إلى تونس ويندب أطلالها * ويذكر أيامها الرافلة في حل
الدعة كيف تغيرت وتبدلت أحوالها * ولله سر في تقلبات الزمان *
كل يوم هو في شأن * وقيل في هذه الواقعة أسر الثلث ومات الثلث وهرب
الثلث * وسمعت من شيوخ البلد من يقول عدد كل ثلث مئتين
ألفاً والله أعلم بحقيقة ذلك وكانت هذه الواقعة سنة إحدى وأربعين
وتسعمائة * وأما خير الدين فإنه فر من بلد العناب في عشرين فراساً
ورجع إلى بر الترك فعثر على سفينة وفيها رسول من عند إبراهيم باشا فأخذه
خير الدين ورجع به إلى السلطان سليمان وكان مع الرسول دلائل الخديعة
التي لأبراهيم باشا فعنا عن خير الدين وقتل إبراهيم باشا بيده * ولما تفرق
الأمبراطور عن تونس بعد نهيبها طالبتة نفسه بأخذ الجزائر فبعث إليها حماراً
فكان من أمرها ما تقدم ذكره ومن ذلك الوقت لم يضع تاجاً على رأسه ولا
أحد من ذريته إلى يومنا هذا وذلك أنه لما سمع بفساد عمارته على الجزائر
رمى بتاجه إلى الأرض وأقسم لا يضعه على رأسه إلا بعد أخذه الجزائر
وحلم جراً الأمر في عقبه زادهم الله خيرة * وعند استقرار الحسن بتونس
تراجع بعض أهل البلد بعد النشوب والنهب وحسب الوطن إلى أهل من
الأيمن * واستقصى السلطان الحسن بعد هذه الواقعة الشيخ سالم الهواري
وكانت فيه رحمة للناس في تأمينهم على أملاكهم وسار فيهم سيرة مسكورة

انا لله الله على صنعه * والشيخ سالم عند اهل تونس يقولون كانت له
صهوة ايام صباه واقلع من ذلك واقول وانا استغفر الله معاذ الله ان يكون من
اهل ما ينسبونه اليه فان اهل المحصرة من العلماء في ذلك العصر كانوا
اهل دين وعفاف فكيف يقدمون من كانت فيه تلك الخصال الغير المرضية
اللهم إلا ان يكون حدث منه ايام الشباب واقلع بعد او هذا من اقوال
المبغضين والعلماء لحرمهم مسومته والله اعلم بذلك * وبعد سنتين الاربعاء
جمع الحسن عربانا وجمع جوعا وخرج الى القيروان اتصد افتكاكها من يد
الشبيبين فلما قرب منها ونزل باطن القرن خرجت اليه اهل القيروان
فكبسوه ليلا فانهم هم هو وتن معه واخذت امواله ورجع مكسورا . فانقسم لا
يرجع عنها بحال وعزم على اخذها بالنصارى كما اخذ تونس فخرج
بنفسه الى بلاد النصارى ليأتي بعمارة مثل الاولى ويأبى الله إلا ما يريد .
وكان غرض الحسن اباحت القيروان كما اباح تونس فقابلته الله على صنعه
وخبرت نيتهم . وكان ابنه احمد عاملا في بلد العناب فلما شعر بشغل ابيه وما
عزم عليه خاف من اتلاف المحصرة فتلافها واقبل الى تونس خلية وتكلم
مع بظانته وجماعته من اهل اريانة وعمدته الشيخ عمر الجبالي الذي
شاخ بباب الجزيرة واولاده من بعك شاخوا بالربرص المذكور وكان الشيخ
عمر ممن قوي قلبه يوم دخوله القصبه فدخلها على حين غفلة * ولما
وصل قبالة القصبه عند المكان الذي فيه سكنى المرحوم محمد باشا وبه يعرف
في عصرنا هذا جهت نفس احمد عن الاقدام الى باب القصبه فوكرة
الشيخ عمر بين كنفه وقال له تقدم فتقويت نفسه ودخل القصبه فلم
يتعرض له احد واتصل الخبر بالناس فهدرعا اليه وبما يعوده * فقال لهم - انما
فعلت هذا لاني انفت لما حل بكم في السابق وخفت عليكم مما ياتي -
فشكروه ودعوا له وسار في الناس سيرة حسنة نظرت بها نفوس اهمل
البلد من ابيه الحسن وبعث من يتعصب للحسن الى النصارى الذين
بجلق الوادي واعلمهم بالخبر فهدرعا فرقاطة في اثر الحسن اخبرته بما وقع

من اخذ ولده أحد القصة واستلذله بالامر فعظم ذلك عليه وبذل أموالا كثيرة واتى بعمارة عظيمة وجع كثيره ولما وصل الحسن بالنصارى هبطوا له الهر فسمع السلطان أحد وأهل البلد ووقعت هرجة عظيمة وخلى أهل المدينة أن يصابوا مثل المرة الأولى فتفروا خفافا وثقالا بينة الجهاد والمدافعة عن الأموال والأولاد ونسأى منادي أحد - سن أنى بأسير أو رأس قتيل فله مائة دينار - وجلس عند باب القصة وجعل الدنانير في قراطيس من الكاغد وحرص الناس على الجهاد فخرج أهل الربيعين بلا سلطان معهم والتفوا بالنصارى والحسن وكانت المصافى من خربة الكلخ إلى سانية العناب * وكان يومئذ الشيخ سيدي علي المحبوب ممن حصر الواقعة فوقى عند كدبة الفيران وأخذ قبضة من تراب ومسكها في يده وقرا حزب البحر للشيخ الشاذلي نفع الله به الجميع وعند تمام قراءته رمى بها نحو الكفرة وقال - شامت الوجرة لنا - واصطف الفريقان ولم يكن بينهما قتال والناس ينظر بعضهم بعضا إلا وعلم انهم طلع من المدينة وأقبل من بين شط البحيرة وبين نوايل سيدي ميثان ومعه مائتا رجل لا غير وأمرهم المعلم عمر فلما رآه الناس كثوث نفوسهم فتقدم الشيخ عمر وسكن عند وتقدم الناس والتقى الجمعان واشتد القتال ساعة من النهار * فانزل الله النصر على المسلمين ، وصدقوا في قتالهم لاعداء الدين فانهزم حزب الشيطان - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - وثبت أهل دين الاسلام وحذل الله الكافرين ، فقتلوا قتلا ذريعا لم يقتل بتونس مثله * وسمعت من أهل المحصرة سن يقول كان السلطان أحد ذلك اليوم يعطي كل سن اتاه برأس من الكفرة مائة دينار وكثرت الرغوس حتى صار يعطي العشرة الدنانير وأقل وأكثر له ان اعطى دينارا * وحصر ذلك اليوم الشيخ سيدي عبد الله بن داود نفع الله به فجاهد في الله حق جهادة حتى يبست يده على قائم سيفه والدم منعقد عليها جزاء الله خيرا * وفر الحسن له شكلته ودخل في الماء راجلا بلا فرس وهاشم الناس لكونه مرلي أوبر فدخل أبو الهول فاخرجه وهو

ملوث بالخمر فكسي برنسا وجني به . له ولده احمد فربخه على فعله
حتى قتل له . خالفت مساك الحسن . وسجنه . وكانت واقعة مذكورة عند
اهل تونس بردت بها حرا كبودهم مما وقع لهم قبل ذلك . واستغاث العوام
بالسلطان احمد وقالوا لا يكون ملكان في مدينته وكثر هرج الناس فاستشار
احمد اصحابه في سجنه او قتله فاشار عليه ابن ابي حمزة بسمل عينيه
فسمت عيناه * . ولما نذ امر الله فيه اخذ نفسه بزيارة الصالحين
ويطلب في ذلك لاذن من ولده فياذن له ولا زال ينتقل من ولي الى غاخر
حتى استاذنه في زيارة الشيخ سيدي ابي القاسم الجليزي فقال له ولده
احمد . لعلك تريد ان تالحق بصهرك ابي سلامة القليعي . فقال له الحسن
- وما صي ان يكون مني وانا على هذه الحالة - فاذن له فكان الامر كما قال
احمد . فانه لما خرج الى مقام الشيخ الجليزي نفع الله به اناه القليعي بالليل
وهرب به الى القيروان * واقام بزاوية الشيخ المجدي برهة من الزمان
وكانت عجائز القيروان يجلسنه ويثن معه وانا ادركت بعض من ادركت
بعض العجائز اللاتي جالسنه وحادثنه * . وسمعت من الحاكي انه قال
دخل عليه اولاد الشيخ عرفت صاحب القيروان في بعض الايام واتوه ببربط
وهو عود الملهة وقالوا له - نريد ان نسمعنا من غنائك بالعود - والزموه
ذلك استخفافا به فاخذوه وجسه بيده وقد كبر عليه اقدامهم بما لا يليق
بهنله فانشدهم البيت الشهير بين الناس :

وكنا اسودا والرجال ثيابنا انا زمان فيه فحشى لارانبنا

والقى العود من يده وجهش بالبكاء في وجوههم فخرجوا من بين يديه لا يدري
احد اين يضع قدمه فسبحان المعز وسبحان المذل * . وكان في خبري انه
مات بالقيروان لانه مقبور هناك حتى وقفت على ورقة بخط الشيخ بركات
الشريف يذكر فيها ان السلطان المحسن حرب الى بلاد النمصارى وهو اعمى
واقى بعصاة لاخت المهدية فمات في البحر فانزل الى البر ورفعوه الى
القيروان فدفن بها . والله اعلم بحقائق الامور . ويمكن ان يكون فر من القيروان

بعد ما اقام بها وهذا هو الاصح لان اقامته بالقيروان معروفة بين الناس *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي العباس احمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى
ابي محمد الحسن بن ابي عبد الله المسعود ابن الامام ابي عمرو عثمان وبقيّة
النسب معروفة تغلب على ملك ابيه في حياته حكما فندم ذكره *
وقيل ان السلطان الحسن لما فعل بتونس ما ذكرناه واستحكم اعداء
الدين بخلق الوادي وصارت لهم صولته وشاركوته في احكامه واستوزر الحسن
محمد بن عبد الملك السليطيين وكانت مدته نحو اربعين يوما كان المشارك
له في الحكم النصراني جوان بن جاكمو * وسكان من اهل العقد والحل
مع نصارى خلق الوادي وكان معه ثلثمائة رجل من النصارى وهو كبيرهم
وكانوا يلبسون المبطن والبرنيطة وسكناهم في الربض الذي خلف القنيطرة *
واول من اسكن النصارى بذلك الربض السلطان عثمان لانهم اخواله *
واستدّت شوكتهم في ايام ابن عبد الملك . وجوان هذا هو الذي قتل عبد
الكريم بن هلال صربه على راسه بفأس في علو الخليفة الحسن واشرف من
العلو على اصحابه فقال لهم اقتلوا بقيّة بني هلال فقتلوا يومئذ ثلثة عشر
رجلا . ووجدت قبورهم مبنية وسببه ان جدهم عليّ تعلم النجامة على رجل
رباة فلخبره بان بنيه يموتون في يوم واحد ولا يجدون مدفنا فجعل
ماكثر من ثلثة عشر قبرا فلما قتلوا احدثوا بها . ومشى محمد بن حذيفة
اليمني الى ابيهم ابراهيم بن هلال في ذلك اليوم واورده هو وبقيّة بنيه
ان لم يتوبوا قتلوا بالحديد وهربوا بعد ذلك الى قسطينة وهي اذ ذاك بيد
الترك فاكرعهم ورجعوا بعد ذلك على يد القائد ابراهيم الشيخ * وقد النقى مع
علي بن حذيفة بن هلال وقال له تشوب قال نعم . وبسوهلال من خدام
ابي فارس وجم اهل رياسته * ولما تزايّد تسلط النصارى استبدوا
بالاحكام حتى ان ابن عبد الملك لما مات قام ولده مقامه وجوان المذكور ناظر
عليه فانفج احد من ذلك وذهب الى الشيخ صالح فمدّه بالمال ورافقه

في ذهابهم محمد العساوي وأبو حنيفة والبرادي وعصام بن جميع وجماعة
واخذ البلد كما ذكرنا قبل والله اعلم . وأول من راسل ملوك الترك
السلطان أحمد بن الحسن بعث أولا محمد القصبي في أيام حسن بن خير
الدين وجاء معه إلى الجزائر لأحسنه إليه . وبعث بعده محمد
الريش وبعد ذلك بعث أبا الطيب تاج الخصار للبasha علي وهو بمدينة
طرابلس وبعث معه البasha علي إلى الجزائر ووقعت الفتنة بينهما أي بين
البasha علي وأبي الطيب وبعث مرة أخرى إلى القسطنطينية وهي
الآخيرة * ولمسا تمكن من الملك لم يجد في خزائن أجداده شيئا
لأنها انقلبت أوبة في أيامه وعاشت أولاد سعيد في البلاد كعادتهم الخبيثة
وشنوا الغارة على أن وصلوا للجبل الأخضر وساقوا بعض مواشي السلطان
فخرج إليهم بنفسه فأدركهم في سيجوم وطعن بعضهم . وكان شجاعا متداما
وفيه فروسية حتى قيل أنه لم يضع رجله في ركاب عند ركوبه * ولمسا
استولى له الأمر أركب ثلاثة آلاف فارس وسماهم زمازمة وكانوا قبله يسمون
موحدية وأخرج فتوى من علماء الحضرة بقتال أولاد سعيد فبدد شملهم
وأهانهم * قسست تقدم في خبر جده عثمان أن الشيخ أبا القاسم
البرزلي رحمه الله كان يدعو على أولاد سعيد عند خروج السلطان إلى قتالهم
كما ذكره الشيخ الرصاع * وسمعت من يقول أنه أفتى بقتلهم أيضا وبقتل
غيرهم من الحجازيين من عرب إفريقية ولا فرق إلا أن هذه الطائفة الملعونة
أشد نفاقا من غيرهم * وأبسن ناجي أفتى بتحريم مبايعتهم آلات الحرب
حتى لا تنقش والرواحي التي يلبسها الأفريقيون من العرب لا فرق بين
تولاء وهؤلاء إلا أن السعيديين أقوى صورا من غيرهم لأنهم على مر الأيام
لا ينسون فسادهم ولا ينتهون من فعلهم الخبيث . وكان الولي أبو عمرو
عثمان ممن أذلهم ومزق جمعهم وأخذ عليهم أن لا يصلوا إلى نواحي
الوطن وسكنهم من إدران إلى القبلت لا يتعدونه . وإنما حدث منهم
هذا الحادث في أيام السلطان الحسن إلى أيام السلطان أحمد هذا زاد طغيانهم

فسلطه الله عليهم * وكان السلطان المذكور محبا في العدل وإقامة الشروع لا يتعدا أحكامه في رعيته وتسبب طلب معه الشروع أجابه اليه واعتصموا عليه ينسبونه له غير هذا والله أعلم * وسمعت من أهل الحضرة من يقول كان يزور الشيخ سيدي أبي القاسم الجليزي وله اعتقاد فيه * وكان المذكور يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم في نومه كل ليلة جمعة فلما جئ بالسلطان أحمد ميتا ودفن بزاوية الشيخ الجليزي المذكور قصر عن زيارته فاعتنع من رويته النبي صلى الله عليه وسلم فلا زال يستهل بالدعاء إلى الله ويستغيث إلى أن يسر الله عليه فورا فيما يرى النائم النبي صلى الله عليه وسلم فقال - يا رسول الله ما جئتني - فقال له صلى الله عليه وسلم - لم لا تزور الشيخ الجليزي - فقال - يا رسول الله لاجل الظالم الذي دفن بأزمته - فقال له صلى الله عليه وسلم - إنه كان يذب عن شريعتي فزحما معا فلم تكن له إلا هذه المنقبة لكنته سامحه الله تعالى * وكانت بهيمة وبين درغوث باشا صحبة أكيدة ، ولما كان درغوث باشا محاربا لجربة أرسل له السلطان أحمد المونة وذلك أن جربة عصت عليه لظلم منه وملكتها النصارى ستة أشهر وافتكت على يد الباشا علي . أرسله درغوث ، والباشا علي هذا هو الذي مشى إليه أبو الطيب الخضر وعدل معه في الجزائر * وفي أيام السلطان أحمد كانت دولة الجنائين لائمه اتخذ سودانا وجعلهم جيشا له لما كان يتوقع من تعليق البلاد لقوم لغتهم غير العربية فجعل أقواما من السودان ورفع منزلتهم لتأولوا بذلك لكي يكونوا حرم الموضع بهم لما أخبره منجمه وتسبب يدعي الجشرو وكان للسلطان أحمد اهتمام بهذا العلم * وكذلك ما أخبر به عن أهل هذه الصناعة أن الحكم يستل منه في رجل اسمه علي من غير جنس العرب وذهب ملكه على يديه فأقام مملوكا له من كالألج وسماه علي وأجلسه في مجلسه وفرض له الأمر * والقدر يجري بخلاف ذلك * وكانت له فتكات في العرب أدانهم وهدد جمعهم غير ما مرة وفي أهل حلق الوادي له عدة وقائع

منها انه عزم على السفر الى افرقيّة على عادته وسار حكاكه فواز ومعه
 الف فارس وارتقى خلف كل فارس رجلا وسار الى ان بلغ ماطر ورجع
 من هنالك على غير طريقه الاولى الى ان اتي الى ناحية المعلقة فكمّن
 هنالك * وبسبب خيل الدالة وامرهم بالغارة على حلق الوادي
 والنصارى مطمئنون من جانبه لان جواسيسهم وهم المهجرون اخبرتهم بان
 السلطان خرج عن البلد فلما اندروا بخيل الدالة خرجوا من البرج في
 طلب الخيل وانهمزوا امامهم فاتبعوهم الى ان وصلوا الى قرب المحصرة * فلما
 علم احد يبعدهم جال نحو البرج ودعم الذي به على حين غفلة ووقف على
 بابيه وانذهلت النصارى من غلق الباب وامتنع هو من اخذه ورجع ولو
 اراد اخذه لممكن منه لما هو سابق في الغيب لان القوم كانوا يرون ان
 البرج المذكور يحول بينهم وبين عدوهم المتوقعون له * ولمسا رجع
 السلطان عن خلفه حال بين الاعلاج الذين خرجوا فائرين وبين البرج
 فقتل منهم خلقا عظيما * وكان اهل حلق الوادي يأخذون من اهل
 تونس الرمية من الصوف والجعر لبناء برجهم فان اضطوهم ذلك وقعت
 الهدنة وان لم يعطوا يصيقلون عليهم برا وبحرا وتصبح بطائعهم في البحيرة
 ويرمون بالمدافع وفي البر يغيرون هم ومن معهم من المهجربين فيقاسي من
 ذلك اهل تونس اكبر التعب * وان عزم اهل تونس او السلطان على غزوهم
 انذرهم المهجرون وهذا ذابهم معهم * وكان اهل تونس في شدة مع العدو
 في كل حين ولهذا كانوا يدرسون اولادهم بلعب الحجر دائما لينظروا
 بملاقات العدو ولم يزالوا يقاسون من الكثرة الشدائد الى ان من الله عليهم
 بهذه السلطنة الخافانية ابقاها الله لمجاهدة الكفرة حسدت عن اهل تونس
 تلك الارجاس والله عزوف بالناس وسيأتي بعد ان شاء الله تعالى * واخبار
 السلطان احمد يطول شرحها وفيما ذكرناه كفاية ودامت ايامه وانتشرت
 بالعدل احكامه الى ان نفذ فيه امر الله لا راد لمصائره * وقسيل ان
 ابا الطيب كان يتوقع منه القبح عليه * وهذا هو المرجح لانهم اظهروا

عليه وانه دخل عليه في بعض الايام فوجده في شغل من الفكرة فحدثه بما
يسلم فقال له السلطان - يا ابا الطيب لو جاءني علي من المغرب في
هدد يسير ما كنت اتساءل وهذا - انه واني لفي حيرة من ذلك - فحدثه
ابو الطيب بما شرح صدره واذهب عنه فكرة فكان هذا هو الباعث
لابي الطيب الى ان كاتب الباشا علي وهو بمدينة الجزائر وحرصه على
القدوم لتونس وكانت بين السلطان احمد والباشا علي صفائن في النفوس
من وقت استخداهم بمدينة طرابلس * ولهذا السبب ارسل اليه ابا
الطيب فيما تقدم لاتصال الحال * ولمسا بلغت مكاتبة ابي الطيب
لعلي باشا ثموى عزمه وخرج بمحطة عظيمة . واجتمع اليه من صراوة وقرقة
وسويد نحو من سبعة آلاف واقبل بهم * ولمسا سمع احمد بمجيئ اهل
الجزائر خرج ليصدهم عن الوطن والتقى معهم على بلد باجة * وكان مع
السلطان احمد خيله الرمازية . واخذ معه من الرجال الشاوشمانية والتقى بهم
فلم يغنوا عنه شيئا . واخذت محله وانهمز احمد بمن معه . وجاءت الترك
الى وادي مجردة فوجدوه رائدا فمنعهم من العبور فارسل الباشا علي الى
بنزرت فجاءته كلالواح والفتناطر وجعلها جسرا على الوادي وقطع العسكر
والتقى مع السلطان احمد مرة ثانية قرب سيدي علي الخطاب فكسر ثانيا
وقيل وقع الحرب ثالث حكة عند سيدي عبد الوهاب ولم تكن للسلطان
احمد قوة فدخل الى المحصرة وقد ايس من الملك وراى الموانسة لعدوه من
عسكرة وفر عنه غالب الناس وخرج في بعض الليالي الى ربض باب
السويقة وقصد دار الشيخ سيدي علي المني نفع الله به وهو اذ ذاك
بنييد الحياة * فلما جلس في صدر البيت ولم يكن الشيخ حاضرا الا
والشيخ قد اقبل ووضع يديه على طرقتي الباب وقال يا احمد فاجابه بنعم
فاستفتح الشيخ وقال - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتسزع
الملك من تشاء - الى تمام الاية فعلم السلطان ان الامر مدبر فخرج وهو
ايس من الملك فرجع الى قصبه وجع ذخائره وامواله وبعض اهل رتن تبعه

وخرج نحث الليل فنبه العرب والبعض من أهل البلاد فدافع عن نفسه ونهب الكثير من ماله وسار على طريق رادس ولم يبق معه إلا نفر قليل وصرح في طريقه إلى ناحية البريجية وقطع إلى حلق الرادي ولم يكن البحر فامراً تلك الجهة كما هو في زماننا وإنما طغى الماء بعد . ولما وصل إلى الحصار قرع الباب فطن به العسس فأنشروا كبيرهم فأشرف عليه من فوق فعرفه أحد بنفسه ففتح له الباب فدخل وأطمأنت نفسه * ولما خرج من المدينة لم يكن لأهل المدينة قبل بمداغمة الأتراك ففتحو الأبواب ودخل الباشا علي * ودخل العسكر معه وأصبح جالساً في القصبية وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين وتسعمائة ونادى المنادي في الناس بالآمان وطلع إليه أهل البلد وأخذ عنهم البيعة لسلطانهم ومن غد اجتمعت جماعة من جند السلطان أحمد من الزمازية الذين رجعوا عنه وسن بقي منهم وأنشقوا على الرحيل من البلد فقال قائلهم - لابد لنا من الوقوف بين أيدي الترك - فساروا بإجهم إلى باب القصبية وتكلموا معهم وقالوا - أنا كنا خدمنا سلطاننا مدة أقامت ودافعنا عنه بقدر طاقتنا وأما اليوم فإن شئتم ابقيتمونا في أماكننا وإن شئتم صرفتمونا وأرض الله واسعة - فتشاوروا في أمرهم وأبقوهم على حالهم وقالوا لهم - أنتم نصحتهم ساطانكم وليس لكم ذنب وحيث أديتم حق ملككم وقاثلتم في طاعته أنتم اليوم معدودون من جماعة - فمن ذلك اليوم عرفوا بجماعة الترك في يومنا هذا وعليهم أبو الطيب قوانين البلاد وتصرفاتها وأخذ يتصرف في الأعمال لأن القوم ليس لهم خبرة بأحوالها طناً منه أنه يستبد بالحكم معهم لكونه هو السبب في أتيانهم وممن أعانهم فعاجلوه وقتل صبراً ونهبوا أمواله وإن الله لا يهدي كيد الخائنين وعوقب بنقيض مقصوده كما هي عادة الله في من ساءت نيته * ولما تمهدت البلاد رجع الباشا علي إلى الجزائر وخلف في البلاد نوبة من الأتراك وزواوة أصبانها وخلف قائلهم رمضان حاكماً في البلد ومدة الأتراك الذين خلفهم ثمانمائة والزواوة كذلك * وكان في عسكر السلطان أحمد أربعمائة من

الأتراك ولما أراد أن يدافع أهل الجزائر كما ذكرنا قال للأتراك الذين في خدمته هؤلاء أهل الجزائر من جنسكم وأنا لا أريد أن تقع بينكم عداوة فقالوا له إنما خدمناك لدافع عنك بانفسنا فإني عليهم وبعثهم إلى سوسة إلى أن وقع عليهم ما وقع وأخذت الترك البلاد فتراجعوا بعد ذلك ومكنت في أيدي أهل الجزائر ثلث سنين والعرب من برها وأهل حلق الوادي من بحرهما إلى أن جاءتها العمارة من الأتراك بآذن السلطان أحمد وذلك في سنة ثمانين وتسعمائة . وانفق عليها أموالا كثيرة . ولما وصلت العمارة إلى حلق الوادي أخرج الجنرال كتابا من عند سلطانه يذكر شروطا اشترطها على السلطان أحمد فاشتمع منها وقال - مالكم عندي إلا المال لا غير وأما البلاد فليس لكم فيها شيء - فقال الجنرال - أن توف بها فخير وإلا نقدم غيرك يفت لنا بها - وقدموا أخذه محمدا فقبل الشرط ونزل بهم إلى البر وأما السلطان أحمد ففر إلى جزيرة صقلية وسكن مدينته بلرمو وبقي بها إلى أن مات رحمه الله وجميع به إلى تونس فدفن بزاوية الشيخ الجزائري بعد ما مكث ثلثة أيام ملقى في الجبل لاسم يؤذن بإدخاله البلد طنا من الغم أنه حي وأدخل بعد ذلك ودفن والملك لله وحده .

الخبر عن خلافة الأمير المولى محمد بن المولى الحسن

أمه أم ولد وهو خاتمة بني أبي حفص وبانتراضه انقضت أيامهم قدم إلى المحصورة بعمارة النصارى فلما علمت أهل تونس بعجزهم هربوا من البلد خيفة من هول الأرباع وحي الواقعة التي جرث عليهم أيام الحسن وهرب أكثر أهل تونس إلى ناحية جبل الرصاص وأختشوا هناك في الدواميس وهذه الواقعة يعبر عنها بخطر الدواميس . وكان فيها الخطب جليلا وكانت في زمن الخريف وغالب أهل البلاد عرائس فأنهت حجابهم وافتضحوا ونالهم من الهوان ما لم يعهدوه وصنعوا نوابيل في الغابات وسكنوا بها وأسلوا بين خيام البادية وقالوا من الخوف والجموع ما لم ينله أحد وتولى الحرس على النساء والذراري القائد عبد الله والقائد علي بن أبي زيد . وبعث إليهم

الشيخ المجدي يحرصهم من قلعة الطمانينة . وبعث السلطان محمد بعد ذلك للناس وامرهم بالرجوع الى البلد ثم رجعوا فتمن وجدوا دارة اخذها وتن وجدها بيد النصارى وكل امره الى الله . وقسمت المدينة قسمين كفر وايمان * وفي تلك الايام ادين المسجد الاعظم ونهبت خزائن الكتب التي به ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين العلم وتبددت في الشوارع حتى قيل ان البار عن شرقي الجامع حيث الثوار يرين لان انما يمر على الكتب المطروحة هناك وضربت النواقيس في الحضرة * وسعت بعض اهل البلاد يقول ان النصارى وبطوا خيولهم بالجامع الاعظم ونهبوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به الا الرمل وفعلوا ما لا تقبله الاحياء بالاعداء . وساكنوا المسلمين وصارت الدار بالدار . وسكن القبطان مع السلطان محمد بالقصبة ويجلسان معا في سفيفتها للحكم واستمال القبطان قلوب الناس وساسهم بعدله ومكره ومنع من التعدي عليهم . واتحاز اهل باب السويقة على ناحية ومنعوا انفسهم من الاهانة . واهل باب الجزيرة واهل المدينة ادينوا لانهم تحت الرمية فجرى عليهم حكم النصارى * وفي تلك المدة همر البسثيون خارج باب البحر من تونس وفصلت اسواقهم وحوانيشهم وعمر بالكفرة ونال اهل تونس من اهل البسثيون ما لم ينالوه من غيرهم حتى كانوا يفتنون الرجل عن دينه . وشاركت النصارى المسلمين في مساكنهم ومعاملاتهم واقاموا معهم تحب التهر والاحسان وفي تلك الايام وقعت خطرة الشكارى بين مسلم ونصراني كل منهما اراد شراءها فمد النصراني يده في المسلم فصاح المسلم واستغاث فقامت الناس لنصرة المسلم وقتلوا النصراني وكانت الواقعة بباب البنات فسمع ابنه جنسه ففرعوا وخرجوا من باب السويقة ووقعت بينهم مقتلة دام فيها الحرب من الصبح الى غروب الشمس وبقيت جنازات الفريقين ملقاة وخرج السلطان وحز بين الفريقين وجرت النصارى موتاهم على العجل . وسبب هذه الخطرة على يد ابن الصغار كانت دارة بالعزافين . وقد لدركت ابنته بسكن هناك وسمعت من

ولده يقول كان أبي هو السبب في تلك الواقعة والله أعلم بحقيقة ذلك ،
وانرجع إلى خبر الترك فانهم لما دعمهم العدو وعللوا ان ليس لهم طاقة
بمقاومتهم سلموا البلد وهربوا إلى ناحية جزيرة شريك ونزلوا على الحمامات
فغلقوا دونهم أهل الحمامات باب البلد فطلبوا منهم الفريث فمنعوهم وطلقوا
سلوقية مينة على برج عندهم وبه يسمى برج السلوقية إلى اليوم وقالوا لهم هذا ما
لكم عندنا - فباتوا هناك وجعوا امرهم إلى أين يكون ذهابهم فانفتحت عاراهم على
القيروان وبها الباشا حيدر . وكان لما اليهم الخبر بما وقع بتونس فاضطرب
القيروان تلك الايام * ولمسا أراد الترك ان يتوجهوا إلى القيصروان
لحققت بهم النصارى على بلد الحمامات فلم يكن لهم ملجأ يلجأون اليه
فقال كبيرهم فجعل البحر خلفنا ونستقبل العدو والنصر بيد الله تعالى . وسمعت
سن يقول ان اميرهم كان خير الدين وليس كذلك لان خير الدين هو
الذي اخذ تونس من يد الحسن في حدود الاربعين وهذه الكائنات في
سنة ثمانين إلا ان يكون الحسن بن خير الدين والله اعلم * ولمسا
وصل العدو إلى الترك صدقوا في القتال وصبروا صبرا لا حوار فهربت الكفرة
وركبت الترك ادبارهم إلى ان اخرجوهم من الخنقة التي بقرب الحمامات
وقتلوا منهم ما شاء الله وقطعوا رؤوس القتلى وبعثوا منها اجالا للقيروان
لنسكين الاحوال فيها . ووجئت صناديق للنصارى مملوءة بالريش بقصد
من قتل منهم مسلما وشقوا ريشته في راس قائله للمباغة فخذلهم الله تعالى *
ومن الغد رجعوا إلى الحمامات فحاصروها واخذوها عنوة وقتلوا سن قتلوا
عليه من الرجال وفر الباقون وسييت اولادهم وحريمهم ونهبوا اموالهم
وفعلوا بهم الفاقة ، واتى الشيخ الجديدى فافتك منهم النساء والاولاد وتراجع
اليها سن هرب ، والتحق الترك باخوانهم بالقيروان واقاموا هناك عشرة
اشهر مدة سلطنة محمد وتحكم النصارى بتونس . واشتد الامر على الذين
بالقيروان وصاقت بهم البلاد * وكان بها الباشا حيدر وهو الذي ضرب
الحيدري المشهور بالقيروان . واراد الفرار عنها لشدة الامر وكان يتردد إلى

الشيخ سيدي احمد الرناني نفع الله به فكان الشيخ يربصه ويرصده بالخبر
فيثب عند إشارة الشيخ إلى أن قدر الله بارتفاع المحن * وازالة البوس
والحزن * واطهار شعائر الاسلام بالدرجة الطيبة * ونشر الاعلام الخافائية
وتطهير الديار التونسية * من الكفر والارجاس * فسلم الله هذه المملكة
بالحقان سليم بن سليمان والله رءوف بالناس * وكاتب اهل القيروان
اخوتهم بطرابلس والجزائر فانوا بنية الجهاد من الجزائر ومن طرابلس ومن
القيروان ونزلوا بساحة تونس في يوم واحد وفاوضوا القتل لاهل تونس وصايقوها
من البر واقاموا عليها مدة فلم يفعلوا شيئا * ولما طالبت اقامتهم ولم يحصلوا على
شيء عزموا على الرحيل إلى بلادهم . فظهرت لهم مراكب في البحر فظنوا
انها عمارة انت لتصرة النصارى فغويت نفوسهم على الرحيل بالليل * وكان
من قدر الله ان العمارة المذكورة من قبل السلطان سليم ابقي الله البركة
في ذريته إلى يوم الدين والقبطان بها علي باشا وسردارها سنان باشا فلما
وصلوا إلى ناحية المرسى من حلق الوادي وعلم المسلمون الذين هناك
بانها عمارة الاسلام طلع اليهم بعض المسلمين فسأله عن احوال البلاد فاخبرهم
بمخبر الحال النازلة على البلد فكتبوا كتابا وبعثوه إلى امراء تلك الحال
مخبرونهم بمجي العمارة السلطانية ويأمرونهم بالاقامة في املاكهم فلما
اتاهم الخبر ايقنوا بالنصر وتوحي عزمهم إلى ان فتح الله عليهم * وسمعت من اهل
المحصنة من يقول سبب مجي العمارة إلى هذه الديار ان السلطان سليم
رأى في منامه الشيخ الولي سيدي حرز بن خلف يستجده على بلاده وقال له
- انا حرز بن خلف - فلما أصبح سال من الشيخ وعن بلدة فقيل له تونس *
وقيل ان العمارة كانت معينة إلى لاندلس فجدة لخرناطة لان اهل غرناطة
بعثوا يستجدونه فعزم على ارسال هذه العمارة اليهم فبلغه خبر غرناطة وانها
اخذت في تلك الايام واحتوى عليها اعداء الدين ففتر عزم السلطان عن
لاندلس وبعث بها إلى تونس . ولعل الالتحاق وقع من الطرفين والله اعلم
وكان عدد المراكب ثمانية عشر معونته ومن الغلاط وغيرها من السفن

الفا وخسمائة قطعة حرس الله هذه السلطنة العثمانية من «أفانت الزمان» . وجعلها تذب على الدين الحمدي وهي بشعائرها مشيدة لأركان . ولم يزالوا مطبقين على تونس من برها وبحرها إلى أن تمكنت أيديهم بسجورها وفجرها ونزعوا ملكها من أيدي الكفرة بعد ما كانوا استولوا عليها وسابوا ملك بني امية . حنص بعد ما كانوا ملوك البلاد لأفريقية وغيرها والله يورث لأرض وتن عليها . وكان ابتداء ملكهم كما قدمنا ذكره سنة ثلث وستمائة وانقراضهم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فكانت مدة ملكهم ثلثمائة وثلاثين وسبعين سنة . وملك الله هذا الأقليم لأفريقي كما ملك غيره لال عثمان . وطهره بتوليتهم عليه من أهل الشرك والصبايان . وحسبنا بلغنا ما أردناه من لأخبار السابقة نصيف بحول الله وقوته ما يسر لنا من لأخبار اللاحقة إن شاء الله تعالى لا قوة إلا به ولا انكال إلا عليه .

البسب الساب

في الدولة العثمانية والسلطنة الخاقانية

إدام الله ظلال أمنها في الخافقين . وجعلها دائمة اليعن .

والبركة قاهرة لأعداء الدين . وخادمة لأجرمين الشرقيين

أول تن ملك منهم ألبالد جدهم عثمان وأبيه انتسابهم وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه وكان سليمان هذا في بلاد ماغان قرب بلخ وهو من جنس التركمان الرحالة النزالة من طائفة التتار ويصل نسبهم إلى ياقوت ابن نوح عليه الصلاة والسلام . وأما ظهر جنكزخان وأخرب بلاد بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه ففرقت أهل تلك المملكة وبخرج سليمان شاه المذكور من بلاد ماغان بخمسين ألف بيت من التركمان وقصد أرض الروم وعبر من الفرات فغرق بفرسه فمات وتفرقت جماعته في أطراف تلك البلاد وبقيتهم موجودة هناك إلى الآن على عادتهم في النزول والارتحال وخلف سليمان أربعة من البنين فعاد منهم إلى بلاد العجم اثنان

وتوجه النان الى بلاد الروم وقدموا على السلطان علاء الدين الساجوقى صاحب بلاد قرمان ومملكه اذ ذاك بقونيه فآكرمهما واذن لهما بالاقامة بارجعه فاستاذناه في الجهاد فاذن لهما واجتمع اليهما جماعة من الشراكمة فواصلوا الجهاد في ارض الصكفرة ولهم وقائع مشهورة عند اهل السير ومات ارطغرل وخلف مدة اولاد اشدهم باسا عثمان فواصل الجهاد على عادة ابيه قرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فآكرمه واعزه واحده واعانه وجعل له الميراثات السلطانية . وارسل اليه نوبة خاقانية ودق بين يديه الطبل والزمر وسماه خان تعظيما له وتقجيما . ولما دقت الطبول بين يديه قام هو على قدميه اجلالا لمخدومه فمن هناك صارت عادة لال عثمان القيام عند دق النوبة قانونا جاريا الى الان وجرى عليه اسم السلطنة سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وافتتح تلك السنة قرة حصار وخطب له فيها وثمانى في فتح تلك الحصون وسامدته المنادير لما سيكون الى ان توفي رحمه الله سنة خمس وسبعمائة وتولى بعده ولده السلطان اورخان بن عثمان وهو الذي افتتح مدينة برسا في حياة والده وجعلها دار الملك . وفاق والده في الجهاد وفتح بلادا كثيرة . واجتمع لحربه جلته ملوك نصارى من بلاد الروملي وقصدوا لقاءه في بولانا طولى فسير اليهم ولده سليمان بك فجاز اليهم الى بر الروملي ودحهم على حين غفلة فمزقهم الله وفرق جمعهم وفتح عدة اماكن وعاد الى والده منصورا . وعاش اورخان الى سنة سبع وأربعين وسبعمائة فمات رحمه الله . وتولى بعده ولده السلطان مراد بن اورخان بن عثمان سنة سبع وأربعين وجلس على تخت المالك سنة وفاة ابيه . وهو الذي فتح ادرنا واتخذ الماليك وسماهم يكشريم معناه العسكر الحديد والبسهم اللبد لايبض المنني الى خلف . وكانت له صولة نظيفة . واجتمعت ملوك الشرك الى قتاله فهزمهم وقتل زعيمهم الاكبر . واطهر بعض ملوكهم الطاعة واقبل لتثيل يده فسطعنه بخنجر كانت معه فمات رحمه الله ومن ثم صارت عادة عند آل عثمان لا يدخل احد بسلاح على السلطان وان ينشئ لهابه وان يدخل

بين رجلين يكتنفانه * وتوفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وتولى بعده
 بايزيد خان . وكنيته يلدزم معناه الصاعقة وصرة اذ ذاك اثنتان واربعون
 سنة واقام ستة عشر سنة سلطانا . واستولى على قلاع كثيرة وغصب ملوك
 الطوائف الذين بازائه . واخذ ابن كرمان وحبسهم ففر من حبسهم وفر منه
 ايضا ابن متنسبا في صورة قلندري حلق لحيته وحواجه وابن اسفندار وغيرة
 من الملوك ولحقوا بتيهور ملك التار واستغاثوا به وحرضوه على اخذ بلاد الروم .
 وتيهور هذا من اشر ملوك الدنيا اهلك ثلثي العالم ومملكه وكان مبشدا امرة
 من وراء خراسان . ومملك ما وراء النهر والسند والهند والصين والعراق .
 وجاز له الديار الشاميه والجلبيه ولم ينج منه الا مصر والمغرب وسفك
 من الدماء ما لا يعلم الا الله واخباره كثيرة ليس هذا محلها وقتل من
 العلماء الرفا لا تحصى . وسئل بعض الفضلاء عن تيمور اي سنة ظهر فيها
 فقال - في سنة « عذاب » * ولما وصل الى بلاد الروم خرج بايزيد
 الى قتاله فخذله من كان في عسكره من التار وغيرهم . ورجعوا مع تيمور
 بامتنانهم اليهم وبقي بايزيد في جمع قليل وقايل بنفسه الى ان هجم على
 تيمور فالقي عليه بساطا فائقه واخذ اسيرا ومات عند تيمور في القيد سنة
 سبع وتسعين وسبعمائة وتسلطن بعده بنوه عيسى وموسى وقاسم وسليمان
 ومحمد . ووقع بينهم القتال والتحاسد نحو اثنتي عشرة سنة . واستغل بالملك
 السلطان محمد بن بايزيد في سنة خمس وثمانمائه وصرة اذ ذاك ثمان
 عشرة سنة . وكان مطاعا مقداما واسع العطاء عين صدقات للاحرمين
 الشريفين ومهد البلاد وفتح عدة فتوحات . وتوفي بعد سبع عشرة سنة من
 سلطنته سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وتولى السلطان مراد الثاني في التاريخ
 المذكور اي اثنين وعشرين وثمانمائه فاقام الشرع في ايامه ولازم الجهاد
 على عادة اجداده وفتح بلادا كثيرة الى ان كبر ولده محمد فتخلى له عن
 الملك واجلسه في حياته على سرير مملكه وتلقاه بوضاه الى ان وافاه حاكمه
 نسب استغل بالامر السلطان محمد خان في سنة اثنين وخمسين وثمانمائة

وعمره اذ ذاك عشرون سنة . وهو من اعظم سلاطين آل عثمان في الجهاد متوكلاً على الله . واكبر فتوحاته قسطنطينية العظمى وجعلها داراً للملك . وبنى بها المدارس وقرب العلماء واجرى عليهم النفقات . واستجلب العلماء العظام من انطار البلاد وتزخرفت بإمامه الدنيا وتشرفت العلماء في ايامه . وفعل خيرات لا تحصى . وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة رحمة الله عليه . وجلس بعدك في الملك السلطان بايزيد ابن السلطان محمد في ربيع الاول من السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ثلثون سنة . وقام بالامراء اثنين وثلثين سنة وفتح عدة قلاع وانضم بها من ايدي الكفرة ونزعه اخوه في الملك ووقع بينهما الحرب فانهمز اخوه هارباً الى مصر في ايام قيت باي فاکرمه . وعاد الى قتال اخيه مرة اخرى فهزم وحرب الى بلاد النصارى فدرس عليه اخوه ممن قتله هناك بموسى مسمومة حلق راسه بها . وفي ايامه ظهر اسماعيل شاه ببلاد العجم . واظهر مذهب الرافضة واستولى على تلك البلاد فغزا بايزيد وكنان رحمه الله محبا للجهاد مداوماً على افعال البر . وكانت بيضة لاسلام في ايامه محفوظة بحب الاولياء والصالحين وبنى المدارس والكتبات وديار المرضى وعرضت الى بابهم اعيان الداس . ومنحه شهاب الدين ابن الخليفة شاعر مكنية بصيدة وارساها اليه فانابه بالغ دينار وجعل له كل سنة مئتمنة دينار . وهي باقية في عقبه تصل الى اولاده في كل سنة الى يومنا هذا . وكانت له عدة اولاد فرقمهم في حياته على المناصب الى ان ماتوا في حياته . ولازمه مرض القوس وهو من امراض آل عثمان فعجز عن السفر وبال العسكر في حياته الى ولده سليم وتقاتل معه وعاخر الحال خلع نفسه وقدم ابنه للملك وخرج الى ادرنت فمات سبعة سبع عشرة وتسعمائة والسلطان سليم جلس على تخت الملك في السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ست واربعون سنة وايام ملكه تسع سنين . وكان ملكاً جباراً سافكاً للدماء قوي البطش غزاً بلاد العجم وافك مصر من الشراكسة . واخذ مدينت حلب والشام . وهو اول من خطب له بمخادم الحرمين الشريفين . وتوفي

في ثامن شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة رحمت الله تعالى عليهم : وقسم
بالامر بعده ولده السلطان سليمان في التاربخ ودامت ايامه في الملك سبعا
واربعين سنة . وفي ايامه فتحت عدة بلاد وغزا بنش بلاد لانكروس
وغزا جزيرة رودس واخذها من اهلها وسكانت ليس لها مثل في الحصانة
واسلوها لم يعد حصار شديد ضايق عليها وعاخر الحال طلبوا منه الامان
على اموالهم وانفسهم فاعطاهم امانا فخرجوا الى بلاد المغرب وعمروا جزيرة
مالطة دمرها الله . وسكانت افعالهم برودس كفعالهم لابن عيسى الله
ان يدد شملهم عن قريب . وفتح رودس اول شهر صفر سنة تسع وعشرين
وتسعمائة وجعل بعض الافاضل فيها تاريخا وهو : يفرح المؤمنون بنصر
الله . ولبا تمكنوا من مالطة وزاد ضررهم ارسل اليهم في اواخر ايامه عبارة
لاخذها فما امله اجله . ومن فتوحاته جزيرة استنكوى وبودرم وقلعة
ايدوس . وسافر بنفسه الى بلاد العجم وحرب امامه الشاه واخرب بلاد
تبريز واخذ بغداد . وفتح عراق العرب وطلب الشاه منه الامان والهدنة
فاعطاه ذلك ورجع الى مصر سلطانا . والطف تاريخ قيل في هذه السقرة
فتحنا العراق . ولم رحمه الله ثلث عشرة شهرة على اهل الشقاق والشقاق
ومات رحمه الله في فزونه الاخيرة بتاعة سكتان وكنم الوزير موتم وارسل الى
واده السلطان سليم فاقبل بسرعة وعند ذلك اظهر الوزير موت السلطان
سليمان . ووضع في تابوت ورجعوا به الى القسطنطينية . وكانت مدة سلطته
ثمان واربعين سنة سقى الله ثراه من صوب الرحمة . وكفاه من الفخر ان
ولاهم الوجرد في ذلك العصر وهو المولى ابو السعود رحمه الله وثاه بتصيد
طائفة تدل على فخرهما العشد والمنشود . وهي من غرر المراتب ومهرات
استهلها حيث قال :

اصوت صانقة ام نفخت الصور فالارض قد ملئت من نقر ناقور
وهي طويلة اضربنا عنها وليس هذا محلها تركناها خشيعة لاملات . وجلس
بعده على تخت الملك ابنه السلطان الاعظم السلطان سليم الثاني

وبويع يوم الاثنين لتسع مئة من ربيع الآخر سنة اربع وسبعين
وتسعمائة . ومولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة . ومدة سلطته تسع سنين
وهو المبارك النقيب على الديار التونسية سلمها الله بسليمها من اوباش
النصرانية وقامت الخطباء باسمه المبارك على منابرها ولاحظت عين
السعادة منازل المحصرة واصيف فخر الدولة العثمانية الى مفارها . ولما
تمسك من ملكه تبع طريقته اسلافه في الجهاد . فممن اكبر غزواته فتح
جزيرة قبرس بالسين المهمة . وفتح بلاد اليمن بعد ما عصى اهالها . وقد كان
فتحها والده السلطان سليمان فلما مات قام بها مظهر ابن شرف الدين
يحيى الزيدي واستشعل امره بتلك البلاد فبعث اليه عسكريا صاحبته الوزير
المبارك سنان باشا فافتك البلاد . وبلغ منها ما اراد . وهذا الباشا السعيد
لم يكن له نظير في دولة آل عثمان ولا جاء مثله من ذلك العصر الى هذا
الزمان فكيف خلف رحمه الله من المآثر والخيرات حيث حل وكناهه وكم بنى من
مساجد وتكايا . يحمل بها المسافر وينال من خيراتها ويحمد ذهابه وايابه
فانه كان يعمون النقيبة حيثما سار ولا استقرت قدمه باقليم الا بنى فيه
اماكن للخير والصدقة والناس كثيرون ممن شاهدوا تلك الآثار حتى انهم
يقولون ان جباية تلك البلاد لا تقى بها صنع من خيراتهم . وكان محبا
لفعل الخير والزيادة الى ان مات زاد الله في حسناته . وقد سمعت من
يقول انه كان يعلم سر الحجر المكرم ودليل هذا كثرة ما خلف من اماكن
جيسة على الفقراء والى يومنا هذا يدعى له وطلبه يترحم . وعلى يديه كان افتتاح
هذه البلاد والله رءوف بالعباد . وذلك ان سلاطين تونس من بنى امي
حفص كما بيناه في اول الكتاب كان منهم من بلغ درجة الملك ومنهم
من قاربها ومنهم من نال الاسم من السلطنة فخط ومنهم من تغلبت
عليه العرب واقاموه في الملك وشرطوا عليه شروطا وافى لهم بذلك وتماذت
ايامهم في اقبال وادبار الى ان اتاهم ما اتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما
خلت منهم الديار . ولما اراد الله تعالى انقراضهم وضعوا تفرقت

ءاراهم واختلوا الى زمن مشينهم لا حسنهم ، واطهر من مساويه ما غطى به
 حسنت احسنهم * وفي ايام تملك النصارى حلق الوادي وبوا فيه
 حصارهم المشهور وشيدوا فيه بناء لم يشيده شداد . في ارم ذات العماد ،
 وابتدوا بناء سنة سبع وثلاثين وتسعمائة . وهدموا اكناف واس الحناية التي
 كانت لقرطاجنة واخذوا حجارها لبنانهم وجعلوا الرميّة على اهل البلاد من
 الجير والجص . وحصنوه حصانة لم يكن لها نظير واداروا به خندقا
 وادخلوا له ماء البحر الى ان دار به دور السوار وملاوه بآلات الحرب
 والرجال وما يحتاجون اليه بحيث صار فصّة في الحلق ، وصارت النصارى
 تسكن باخرتها ومراكبها ويقطعون في البحر على المسافرين ويساخذون
 كل سفينة فصبا وعم اذا هم المسلمين وملكهم اذ ذاك باشيلىة اصادها الله
 للاسلام . وكان استجده الحسن في السابق كما ذكرنا وتبع ابيه ابنه احمد
 واراد ان يعد من نجباء الابناء واللعين النصاراني ساعده على ضررهم ويضمرو
 في الباطن بمكره على غدرهم فاستصفى اموالهم واموال اهل البلد في واقعة
 الاربعاء وكمل على بقيتهم في خطرة الدواميس ولم يبق لاحد ما سعى *
 ولما تمكن عسكرة بتونس في ايام السلطان محمد تمكن بالبلد اي تمكن
 وصار قبطان النصارى يحكمهم معه في حضرته وهو له قوين وعلم بذلك
 صاحب بلاد اسبانية ان تونس في قبضته وصار يفخر بها بين زعمائه
 في قريته وقعدته حتى اذا راي من قواميسه الميل عنه يقول لهم - داري
 عندي - يريد تونس . واراد ان يتولى طليها من اولها الى آخرها ويشعل
 بها من اقامة شعائر الكفر كما فعل بغيرها ولما اراد ان يجعلها مأمدة قيس
 الله سليما سلمها منه * ولمسا نمت اخبار تونس وما حل بها الى
 ملك بني عثمان وهو السلطان سليم جعل الله النصر والتمكين في عقبه الى
 يوم الدين فاقت حتمه الى نزع الديار التونسية من ايدي الكفرة . ويبدل
 عوضهم اناسا برة . وقد تقدم ان الشيخ سيدي محرز بن خلف نفع الله به
 تعرض له في منامه واشار عليه باخذ تونس في اليقظة ولم تكن الرويا

اصغات احلام * وقسيسيل ان الباعث له على تلك العمارة وقد قدمنا خبرها اهل غرناطة فانهم استجدوا لنصرتهم فلما عزم برايه بالغد استيلاء اللعين على صولتهم فنتى عزمه الى هذه الديار وعلى ككل وجه بارادة الله جرت الاقدار ، فاستدب لهذا الامر سنان باشا رحمة الله عليه وجعله سردار العسكر واصاف اليه تن يسكرين له النظر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة وذرية وهو قبطان البحر فليج علي باشا اعلى الله منزله في درجات الجنان وانعم السلطان عليهما بتشاريفه المعنادة وخلع عليهما وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السفروزيادة وشحن المراكب بما يحتاج اليه من الذخائر والاموال وعلات الحرب وبرز العسكر من القسطنطينية غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنت الاغربة بالرجال وعددها مائتا غراب وثمان عشرة معونة وغيرها من السفن الكبار والصغار فالجملة الف وخسمائة قطعة . وقد سبق التعريف بها وسارت العمارة فوق الماء مثل الطيور اولى اجنحة متنى وثلاث ورباع . وان كان البر يتيق بها فلها في البحر انساع . وطفت على متن البحر كالطوفان . وان بردت اكباد اهلها بالامن وجسومهم بقاء البحر فلان مدافعهم لاء دلتهم تسخن وتلث بالنيران . واجتمعت في ميناء نورين . ومن هناك توجهوا للمغرب على رءس متوكلين . واجتازوا بقلعة في بر الكفر تسمى لجة وهبطوا للمبر فدعهم العدو واقتتلوا ففر العدو منهم بعد ساعة من نهار ولاح هناك بعض اليات شهيدا . وظهرت علامة النصر واخذوا في طريقهم عدة قلاع وغنموا شيئا كثيرا وفي طريقهم اخذوا مركبا مشحونا بالقصع وفي الثاني عشر من الشهر وصلوا فليبية فنزلوا هنالك واستراحوا . وفي الرابع والعشرين من الشهر بلغوا حافى الوادي وانزلت العساكر بعيدا من دمية المدافع ونزلوا اطلق الوزير سنان باشا * وكان من قدر الله تعالى قبل وصول العمارة العثمانية بيم وميل الى تونس الباشا حيدر من الدروان * وقد تقدم خبره ولم يكن لي علم به انه كان متوليا على منصب تونس من

قبل حتى وجدت في تاريخ انه كان صاحب البلاد واطنه خرج منها حين
دعه العدو وكذلك مصطفى باشا صاحب مدينة طرابلس فحاصروا الى تونس
ونزلا معا بازاء المدينة في سيجوم لقصد محاصرتها . وفي آخر اليوم ظهرت
مراكب في البحر فظنوا انها نجدة للعدو فعولوا على الرحيل ليلا ولما كانوا على
اهبة ذلك جاءتهم الاخبار من عند الوزير سلطان باشا مع رجل من اهل المرسى
كان طلع للعمارة واستخبره الوزير عن احوال البلاد فاخبره بخبر الحال فبعثه
اليهم رسولا يخبرهم بتقدم العسكر العثماني . فلما صبح عندهم الخبر قويتم
نفوسهم وسار حيدر باشا ومصطفى باشا في تلك الليلة في بعض الخواص
الى حصرة الوزير . فان باشا وسليما عليه وطلبا منه ان يتوجه معهم
بنفسه فامر طائفة من امرائه وقين لهم ألفا من العسكر واعطاهم مدافع
وزرايز وما يحتاجون اليه وامرهم بالمسير الى تونس مصحبة البكوبكية
مصطفى وحيدر وارسل معهم ابراهيم بك من مناخف مصر المحروسة
ومحمود بك بصنحوق قبرس وبالكير بك صاحب قره حصار وصحبتهم
الفان من العسكر مع اناهم حبيب بك وتوجهوا في الحال الى تونس
واحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم ونادوا بها بالقتال من كل جهاتها . فلما
راى السلطان محمد الحفصي ومن معه من النصارى كثرة العساكر صلوا
ان لا طاقة لهم بالقتال هذا مع ان قلعة تونس كان اكثرها خرابا لتواتر
المحن وقلته الاهتمام وكذلك المدينة لم تكن معمورة باهلها بل غالبها خراب
ايضا فضلا عن سعة الشوارع التي بها . فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها
فخرجوا الى مكان يقال له - قوملودكز - معناه بحر الرمل وعادوا به
حصارا من الحشب وحشوة بالرمل والغراب والتجأوا اليه . فلبست
هكذا وجدت اسم هذا المكان مقيدا ولا اعلم في تونس مكانا يعرف بهذا
الاسم الا ما يذكر اهل تونس عن المكان الذي يعرف بالبستيون خارج
باب البحر من شرقي المدينة . وهذه الاخبار تصدق عن ذلك المكان والخبر
- وابر عنه الا ان صاحب "القييد" الذي اورد هذه الحكاية كان

بعيد الأدار من الديار التونسية وإنما بلغ الخبر بلسان المخبر ومنه قيد ما سمع منه * ولما تحصنوا بهذا المكان وكان فيه نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كافر وموحد وشحنوا تلك البقعة بالآلات الحربية والمدافع الكبار ومن الطعام شيء كثير طمأنوا أنه ينفعهم من قضاة الله ، فعند ذلك خلت المدينة وقصبتها ولم يبق فيها من يصونها فدخلها العسكر العثماني من كل جهة ومكثوا المدينة وقلعتها وحصنوها بالأخشاب والألواح والتراب واحكموا ذلك ، هذا والحرب بينهم على ساق ، وأهل الملة المحمدية مقابلة لأهل الشقاق ، وبعثوا يخبرون الوزير المعظم سنان باشا بما وقع لهم ويطلبون منه المدد بالاعانة ومن ينصرهم فلما بلغ الوزير ما هم عليه عول على من يقوم مقامه ويستوفيه فبعث لنصرتهم القبطان قلج علي باشا رحم الله الجميع فتوجه بجمع من العساكر المنصورة من طائفة المسلمين ليكفوا اعانته لمن تقدم قبلهم من مسجدهم ، فلما وصل الباشا قلج علي إلى تونس وشهد تحصن البستيون وكثرة النصارى والأعراب المرتدين الذين به رعاة حصنا منها فبعث إلى الوزير يطلب منه عدة مدافع أخرى وزيادة عسكر فبعث له ألف ينشري وبعث معهم علي آغا ساحدار الباب العالي وثمانية مدافع وستة زرايز والحقهم بالقبطان قلج علي باشا ، فلما وصلوا إليه اجتمع أمرهم أن يدوروا بالبرج من كل جهاته وكانت الكفرة وتس معهم من المرتدين كثيرين ما بين فارس وراجل وجاءت لنصرتهم طوائف من العربان وخرجوا من قلعتهم مرارا ودهموا المسلمين واقتتلوا مرارا ومات من الفريقين خلق كثير ، فربق في الجنة وفربق في السعير ، واشتد الأمر على المسلمين والمدد متصل بأعداء الدين ، وبلغ الخبر إلى الوزير سنان ، فجاء رحمه الله بنفسه إلى اصلاح هذا الشأن ، وهذا والحرب متصل بين أهل خلق الوادي وبين رجال من العسكر العثماني قويي الهمم غلاظ شداد ، ولما نظر الوزير إلى حصانة القلعة التي هي البستيون أشار بربايه السعيد على ما اقتضاه نظره السديد بالتدبير ، وأمر بتوزيع طوائف العسكر من

كل جهاته . وعين لكل موضع من يقيم به من رجاله وكمائمه . وأشار على
القبطان والبيكر بكيت بما رآه من الصواب . وهون على الجميع حسن العاقبة
ووتدبهم بنصر الله واحسن اليهم بالخطاب . فاستدبت نفوسهم بكلامه ورويته .
وايقنوا بزيه ومشورته . وحاد من يومه الى محل اوتاقه من حلق الوادي وقصد
لام فالاهم وان كان كل موضع حصل فيه فصل الجهاد . ويأتي تمام الخبر في
محل ان شاء الله تعالى . وما استطردت الى هنا إلا لارتباط الحديث لان اول
الحرب وقع في هذا المقام عدة ايام . ولما تيسر ابتداء الفتح بحلق الوادي كان
في البسثيون التمام . ولنرجع الى خبر حلق الوادي ومآثره . ونسوق الكلام
ان شاء الله من اوله الى اخره . تقدم ان العمارة المنصورة بلغت الى مستقرها
من حلق الوادي يوم اربعة وعشرين في ربيع الاول ونزلوا للبر على بعد من رمية
المدافع ونصبوا اوتاقاتهم . وارتجت الارض بأصوات مدافعهم . ورين مكاحلهم
ونزلوا المدافع الكبار التي اتوا بها لهذا القصد . ورموا بها من البعد . الى ان علا
الدخان وصار النهار يحاكي الليل . وبرز الامر من الوزير ان يتقدم العسكر
على عادته . وان ياخذ كل انسان اهتبه لما يعلم من صناعته . فمنهم متفرس
متدرب بالحرب والجلاد . ومنهم من عادته نقل التراب والرمل وقلع الاصلاد .
وصاروا يتقدمون قليلا قليلا ويسوقون التراب ويستثرون به ويحفرون
خنادق في الارض وينزلونها . ويجعلون مزاريس ويستثرون من خلفها . وهذا
دأب العسكر العثماني في كل مكان . ولم يزلوا على هذا لاسلوب الى ان
احاطوا بالبرج من كل جهاته ورموه بالمدافع والمخنيقات والبندقيات
ورموا عليهم اصنافا من آلات الحرب . وكان هذا الحصن لم ير مثله في
الشرق ولا في الغرب . وكان للنصارى به اهتمام وحصنوه بما قدروا عليه
من المبتدأ الى التمام . واداروا به خندقا واجبروا الماء فيه . والماء من
البحر الى البحيرة والشن تجري فيه . وهو منع من كل جهاته . واسواره
مليدة مشحونة بحصائمه . وقد كنت منذ زمان وقفت على رسالته بعثها
بعض من شاهد الواقعة لبعض الروساء بالديار العثمانية واخبر فيها

بها شاهد من شدة الحرب ومنعة الحصار وكثرة رجاله وذخائره وسعته وطوله بما يعجز عنه الوصف ومن شاهد بقية عائساره حاكم بصحة ما وصف ولكن طال عني وبعد زمانها ولم يحضرني إلا القليل من أخبارها سأذكرها في أوانها * ومسسن جلته ما قال فيها أن سعة السور يسير عليه سبعة من الخيالة من غير ازدحام . وأن البناء الذي به ما ساء طائر عقل ولا عنه حام . وعدد الدور التي حوله لسكنى المهاجرين أزيد من مائتي دار والبحر من جميع جهاته . والخندق به دائر ودور المهاجرين من ناحية المغرب وعائساره باقية . وكل ما أدموه من البناء أهدمه الله على أيدي المسلمين وبددت صنائع الشوكيين فهل ترى لهم من باقية . وكان عمق الخندق ستين ذراعاً وقعره متصل بالبحر وفي حافته قبعة منيعة أعدوها للتحصن فيها ونقبوا تحت الأرض نقباً طويلاً يتصلون منه إلى تلك القبة . وكافت قريبة من ناحية الوزير ففطن بمن كان فيها فسار الوزير إليهم برجاله وقائدهم قتالا شديداً وملك القبة وقتل من كان بها . وأعجزهم أمر الخندق فما وجدوا له حيلة إلا أن يملأ بالتراب فبعث الوزير بأمره السعيد إلى العسكر أن يجتهدوا في نقله فامتثلوا له أن نقلوه في ثيابهم * والرسالة التي تقدم ذكرها يقول فيها ومما رمي به في الخندق من الصوف مقدارة بالعدد سبعون ألف شليف . والشليف عبارة عن حل الجمل ووضع في كل شليف قنطاراً من الرصاص ليثقل به وبغوص في الماء * قسمت الله أكبر هكذا تكون هم الملوك فإذا كان من الصوف والرصاص هذا المقدار وهذا العدد ولو تأملت قيمته لكانت مئين من الأموال فكيف غير ذلك من الأجفان والآلات الحرب وبارود ومصروف من الأموال على الرجال هكذا تكون والله ملوك الزمان . ولولا أن السلطان سليم رحمه الله من البشر الذين بعد النبوة قلنا أنه سليمان ولكن هو ابن سليمان . وأخبرت من أهل تونس أن الصوف الذي القوة في الخندق جيء به من نجع دريد كثيرة ومن غيره أقله * وأظن أن المشيئة عند الصمد من حضر الخطرة

كما أن جده إحد بن نويرة المحمدي حضرها هو وجلة من العرب الذين
بارض طرابلس جاءوا معجبة المحطة التي بها مصطفى باشا * ولما القوا
في الخندق الصوف القوا من فوقه الخطب والتراب والاختشاب وأهت
العسكر بنقل التراب كل الاهتمام وأقدموا بنيتهم غاية الأقدام لئلا
من أوله لئلا آخره وصارت فوقه كيمان كالجمال ، وجلت الرجال من
التراب ما لا تحمله الجمال ، وكانت لتلك العساكر نية صالحة ، بلعوا أنفسهم
واشتروا الجنة فكانت لجاراتهم رابحة . وسسمعت من نقل عن شاهد
تلك المواطن أنه مر برجل من العسكر وهو حامل على ظهره حملا من
الخطب لكي يلقيه في الخندق وبه عدة جراحات وهو على آخر رمق قال
فأردت أن أخفف عنه فإني لم يزل ساقرا به لئلا أن القاء في محله .
ومات لوقت بحضور اجله . رحمه الله وماله بنيتهم عن عمله * ولما امتلا
الخندق بالتراب بنوا المتاريس فوقه وصار المكان املا من حيطان الحصار
واتفق هذا الواقع لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني من السنة
المذكورة هذا والحرب نارها متقد في كل الجهات . وأفرغ الله الصبر على
عصاة المجاهدين والحزبي على الطغاة . ونصب الوزير مدافعه فوق الحصار
ورمى من كان به من الكفرة من افواحها بالنار ، فالتفتهم النار الى النار .
ورمى في أثناء ذلك رمضان باشا المتولي على مدينة الجزائر في التاريخ معه
ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير سنان باشا وطلب منه خدمته
يودعها فارسه ومن معه لئلا اعانة الذين يتونس . فتوجه اليها وحط عليها
مع من هنالك من العساكر والبايات ، والامراء والغزاة ، واستمر الوزير في
تحريض المسلمين على الأقدام الى البرج الذي بحلق الوادي وتشديد الحرب
عليهم من كل جهاته لئلا أن وهنت نفوس أهل العناد . ومن قدر الله
سبحانه ان محمد عرب كان بعسكر من ناحية رادس فعزم أهل الحصار
ان يدهموا ليلا على حين غفلة وتكون وصمت على المسلمين فخرجوا عليه
عند الفجر فوجدوا متيقظا على أهله فاقوم بهم فانعزموا بين يديهم فستبعهم

يقتل فيهم لئلا يدخلهم الى حصنهم . ووافق الخال ان الوزير حين من
العسكر من يقدم بنفسه الى البرج ويبيع نفسه في مرضات الله وجعل
لهم مطايا سنية لاول فالاول من الف دينار وقل وعين لذلك من جميع
الجناس . ووافق دخول المنهزمين من ناحية رادس وهم ذاهلون ولم
يستطع احد اضلاق الباب والمسلمون على اهبته فحملوا حلة رجل واحد من
كل الجهات واعلنوا بكلمة التوحيد وارتفعت الاصوات فتزلزلت الجبال
بحملتهم . ودخلوا القلعة والقصر المشيد بنيتهم . واخذوه عنوة بالسيف .
وقتلوا من فيه من المقاتلين بغير تشبيه ولا تكليف . وكان هذا الفتح
التقريب والنصر الغريب . الذي مر به البعيد والتريب . لست مضين
من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة والله الحمد والمنة * وضموا
ما كان فيه من الذخائر التي لم يوجد مثلها في مكان ومن العدد والسلاح
وعالات الحرب ما لا يوصف . واخبر الوزير ان الذهب الذي انتهبته
العساكر ليس له حصر فسامو الوزير بتفتيش الاخبية والرجال فوجدوا
شيئا كثيرا . واخبرني بعض الناس قال اخبرني جدي وكان ممن حضر
الفتح واصابته جراحات يوم الدخول للحصار قال بينما انا واقف اذا بعض
اصدقائي وضع تحت فراشي من الدنانير التي انتهبت فلما دخلوا الى الحبا
الذي انا فيه ووجدوني في حالة المرض انصرفوا عني وسلم ما كان تحت
الفراش وكان ازيد من ثلثة آلاف دينار . واسر قبطان الصاري صاحب
البرج والحاكم عليه . ومر السيف على من وجدوه من الصاري المهجرين
والمرتدين من ساكني البرج وما يليه . وشاع في الخاضقين خبر هذا الفتح
المبين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين * وكان هذا الحصار من
اعظم ما عيّد بنيانه فوق الارض . فانه جيش السلطان سليم وقال امرة
السعيد نريد ان ينقض . وكذا وقع الهدم على ذلك البناء العالي الى ان صار
هبا . وحظ من اعلاه الى اسفله وتفرق من كان فيه بايدي سبا . ورأى
الوزير ان ابقاء على حالته الاولى لم يامن عليه من الافات * وكان

انتقامه بالفعل الماحي فوق عليه الامر بجزم الفتح فخطي ان لا يتم له الرفع فيما هو ذات . ولم يبق من اثره إلا ما هو معلوم عندنا اليوم . وهو المكان الذي كان مسكننا لقبطانهم وباقيهم مسكننا لليوم * ومن عجيب الاتفاق انه رسمت معاليه في سنة سبع وثلثين وتسعمائة ومكثوا في تحصينهم مدة ثلث واربعين سنة لم يبطل لهم يوم بلا تحصين * ولما اراد الله سبحانه وتعالى نزعهم من ايديهم اخذ في ثلثة واربعين يوما عدد ما ملكوه من السنين . فكان كل يوم من ايام الفتح يقابل مما ملكوه بسنة . وان كان طغيانهم تزايد في تلك المدة وانتهبوا لاختد البلاد فانه كان سنة . والله تعالى يديم عز هذه السلطنة العثمانية ليدوم بها عز المسلمين . ويجعل سيفها قاطعا بحده في الحدد وفي رقاب المشركين والمنافقين . وارسل الوزير البشاقرة الى الباب العالي . وكتب بما يسر الملك والامراء والموالي . ولولا تدارك الله هذه البلاد بنصرة هذا الملك العظيم . لكان الكفر استحوذ على اكبرها حتى لا يكون بها سليم * وقيل ان ملك النصارى لما سمع بهجوع العسكر العثماني اطعمته نفسه ان يمد اهل الحصار بمدد من عنده . ويرسل عمارة مشحونة بذخيرته وجنده . وظن ان باب الاستدراك واسع . ولم يعلم بان الحرق اتسع على الرافع . فبعث رجالا من حكمائه يتطلعون احوال القوم . فذهبوا ورجعوا في زمن قريب كانه يوم او بعض يوم . فسألهم عما شاهدوا من احوال العسكر وابصروا . فلم يكتموه بنصيحتهم واخبروه . وقالوا رايانا ما اذهلنا . وحير افكارنا وشغلنا . وذلك انا وجدنا كل صاحب صناعة مشغلا بشغله . وكل من هين في مكان للجهاد ملازما لفرضه ونخله . والقوم بين طباع وجزار . واسواق ملثانة بالباعة من كل صنف والمشتري بين دلال وسمسار . وحداد ونجار وبيطار . واكثرهم مشغول بجمع الدرهم والدينار . ومنهم من يتداول الحرب ويعتمد عليه . ومنهم من همم شأن نفسه ولا يلتفت اليه . وليس لاحد علم بما صنع الاخر . وعسكر المقاتلة ليس له اول من آخر . ولو تبعث اليهم جميع النصارانية . لم يغب عنك

شيئا ولم تبق منهم بقية . فبطل عزمه وزعمه . ونام ان اليهم دعمه واهمه .
 فاستوحش لما اخذله الله بعد الثمانس . وانهب الله رجسه الذي كان
 بتونس . ولسا اثم سنان باشا ما فتح الله عليه بحلق الواد . ثنى مزمه
 المبارك الى البلد التي لم يخلق مثلها في البلاد . فرجع بعسكرة المنصور الى
 تونس واجتمع بالعزيزة المحاصرين قلعة البستيون وهم في اشد القتال ففرج
 البكر بركية والامراء بقدومهم واشتد ازهرهم به واطمانوا وتقدم معهم وجاوا
 على متن بالقلعة حلة الاسود الصارية . وتعلقوا باطراف الحصار من كل
 ناحية . وعبثت السيوف والمدافع بين الفريقين . ومات خلق كثير من
 المثنين . وتواطى المسلمون على الاقدام الى ان دخلوا عليهم بالسيف وقتلوا
 منهم زهاء ثلثة آلاف . ورمى بانفسهم من املا الحصار الى اسفل زهاء
 خمسة آلاف وبعثوا رمية سهم ثم ارادوا ان يتسوسوا بالتراب لان العسكر كان
 مشغولا بالنهب فتداركهم الوزير قبل ان يستحكم امرهم فتقاتلوا قتالا شديدا .
 وعلم اهل الكفر ان لا مانع لهم من الموت الا الموت فاقدم كل على صاحبه
 وتضاربوا بالخناجر وعانق بعضهم بعضا الى ان بدد الله شملهم وقتلوا عن
 اخرهم الا من نجا منهم الى شكلي ولم ينج من قصاء الله . وملككت
 المسلمون البستيون واخذوا ما كان فيه من امتعة واسباب ولبوسات وعلات
 حرب ومدافع وبارود كثير وبشمات اعدوة لحصارهم واخشاب والواح استعدادها
 لانقاذ حالهم . وكان البستيون اقوى ضررا على اهل تونس من غيرهم
 لانهم ارادوا ان يبنوا فيه حصارا ومدينة وقد ابتدأوها وفصلوا شوارعها
 واسواقها وكادت ان تستكمل لولا لطف الله باهل تونس ولو تلخر العسكر
 العثماني قليلا لكان ثم لهم ما ارادوه ولكن قدر الله اصجلهم عن اثمهم البناء
 واتقانهم . ولو تكمل بنيانه لكان اصعب من غيره ولو لم يهزم السلطان
 سليم بهذا الفتح لاستاصلوا افرقية بالجملة ويتفرعون من تونس الى طرابلس
 ولم يكن لهم مدافع هذا مع شدة نفاق العربان الذين بافرقية لانهم او
 اكبرهم لا يراعون الا ولا ذمة والكفر اقرب اليهم من الايمان فجزى الله

خير هذا السلطان علينا وعلى جميع المسلمين . وجعل السلطنة والنصر في عبه
الى يوم الدين . ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر
مأمن بالسلام والاعمال وربما اهل البستيين كانوا يشتون الناس عن اديانهم
وما صي غير ذلك . وكان اخذه بعد حافى الروادي بسبعة ايام وقيل خمسة عشر
يوما وقيل غير ذلك والله اعلم . واسروا قبطانه فاراد ان يفتدي نفسه بالمال
فصرهوا بغير لانهم وجدوه يني في رودس وايتنا في جربة لما اخذها درغوث
باشا وهذه الثالثة في البستيون فاراح الله منه لاسلام . ثم ان الطائفة المعونة
لما تحصنت بشكلي طلبت امانا من الوزير فامتهم : وقد رأى في ذلك
مصلحة فاجاء اليه زعماء مائتي منهم واخبروه بامور مهمة منها ان مددكم مائتين
وخمسة من رجالهم اهل صناعات غريبة منها صل الطوب الذي يعجز عنه
وتقريب الحديد والنحاس وعمل المدافع الكبار وغير ذلك من الصناعات
فاعطاهم الامان واخذ اولئك المعلمين وشرط عليهم تقربغ المدافع وسبك النحاس
وتكون في ارجلهم القيود ويتكفل بعضهم ببعض فرضوا بذلك واعطاهم على هذا
الشرط الامان وكساهم وجعل لهم العلوفات واستخدمهم للباب العالي ومن
ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار . وكان هذا التسريح لآخر
البارك يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين
وتسعمائة وقتل في القتال الثالث عشرة آلاف مقاتل . ومن المسلمين ذلك القدر
خمسة ائنه لهم بالسيادة . وبواهم دار الرضى لما ختم لهم بالمحسنى وزيادة . ومات
من اعيان العساكر المنصورة امراء اعلام . فمن مشاهيرهم صقر بك صنجق
الاسكندرية . ويزيد بك صنجق ترحالة . واحمد بك صنجق اوونته .
ومصطفى بك صنجق اسيس . ومن امراء الاكراد خضر بك وفرهاد زعيم
البنشيرة ورأس زمة البنشين . وكثير من الزعماء واهل الثمارات وغيرهم عدد
كثير . واخذ الوزير من الاماكن الثلاثة مائتي مدفع وخمسة مدافع كبار غير
الصغار وزرايز وترك لحفظ تونس خمسة وثلاثين مدفعا وارسل للباب العالي
مائة وسبعين مدفعا من الكبار العظيمة للاعانة هناك . وارسل بصورة الفسخ الى

الابواب المشرفة خلد الله سلطتها . وانفذ في الخافقين كلمتها . ورفع درجاتها
 آمين . ولا يطن الواقف على هذا المجموع اذا سمع لفظة حصار خلق
 الوادي انه كجملة المحاصرات الموجودة كلا بل هذا اعظم حصارات المغرب .
 ونلاحظ ان النصارى نكثوا في بنيانهم واتقانه طول المدة التي ذكرناها .
 وهدموا لاجل ذلك الحناية التي يعجز العالم عن دمجها فها عسى مبناها . واخذوا
 هجارتها المنحوتة من عهد ابن النمرود . وافرغوا عليها من آلات البناء حتى
 قيل انها من صنع داوود . وانما اطلق لفظ حصار على هذا المكان بجازا . وانما
 هو مدينة على الحقيقة والبحر بينه وبين من يصل اليه بجازا . وشكل هذه
 المدينة مربع . واربع حصارات في تراصها الاربع . والبحر من قبلتها
 والبحيرة من ناحية الجنوب ويلتقي البحر والبحيرة من ناحية الغرب ولهم
 مجمع البحرين قبة وهي المعبر عنها بالبريجة في يومنا هذا . وادخلوا خليجها
 من البحر اخذا من القبلة الى الجنوب اخذا في طريق الساحل الشرقية .
 وخليجها آخر مارا من الجهة الغربية ويدوران بالمدينة دور السوار بالمعتم
 وتدخل غلاتهم من البحر الى الخليج لاخذ من ناحية الغرب وتكون
 مرساها عند باب مدينتهم . والباب تحت الحصار الذي على ربع المدينة ما
 بين المشرق والجنوب والخليج المار من شرقيها فيه مرسى الغلات الكبير .
 وغربي المدينة على صورة الرضح الدور التي كانت سكنى المهاجرين ومن
 سواهم من الكثرة ازبد من عائتي دار ولهم حاجز بينهم وبين من يصل اليهم
 مثل الصور . وبناء المدينة بوجهين داخل وخارج كل وجه هجارتهم من
 اعظم شيء يكون وما بين الوجهين حجر دقيق مفرغ عليه الجير والرمل كافرغ
 الرصاص بحيث لا تعمل فيه المعاويل ولا النيسمان بل ولا البارود الذي هو
 بلا ريد . ويشهد لما قلناه ان في اماكن من هذه القلعة عدة مواضع كانوا
 جعلوا فيها الغاما فلم تغن شيئا . واثار هذه الانغام باقية . واثار الحيطان
 على حالها راقية . وفي وسط الحصار كنيسة باقية اثارها ايضا ولهم عدة
 مواجل لاجتماع الماء الذي ينزل من الطر وهي مثل الدواميس ممتلئة عليها

من اعظم ما يكون وهي باقية الى اليوم . وبكل ربع من الارباع منها حصار
مستقل بنفسه مبني على اقيسة يحير العقل في وصفها وصورة كالأعلى كالاسفل
في الاتقان . وهذا قليل من كثير . وانما شاهدناه من بعد التدبير . ولم يبق
منها إلا الربع الذي بين القبلة والمغرب وهو الحصار الموجود في زماننا هذا
ومفتح الباب الآن الى ناحية المغرب . وهو باق على حالته الاولى ولم يتغير
منه إلا شيء يسير . ولما نزلت بساحتهم العمارة العثمانية صباحا وانذروا
باخذ ما احكموه « فساء صباح المندرين » . ولما اخذهم الله اصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم كذلك نجزي الثوم الظالمين . ونزول العمارة من ناحية المشرق
وامتدت الى ناحية الجنوب ومن هنالك وقع الدم الذي القوه في الخندق
كما ذكرنا سابقا وجعل فوقه المتاريس الى ان صارت مدافع المسلمين
اعلى من فوق رؤوس اهل الشقاق . والوضع الذي اخذ منه التراب والثورة
في المتاريس انحصر فيه الماء واختلط بماء البحيرة حتى صار كانه منها يسمونه
انغديره الكحللاء لكثرة مائها وصفها . وصار السمك فيها كثير . والمكان الذي
كان مينا للمراكب من كل الجهات صار ملاحته يسعى الملح منه الطائفة
المرتبون لان لحظ الحصار . واندثار تلك المصانع مشهورة وانما وقع الدم
على الدور التي كانت من خارج المدينة وعلى الاماكن المرتفعة منها . واما
الجدران فهي الى الان يشهد لها من نظر اليها بانها كانت غاية لا تدرك
وانها كانت حصينة منيعه من ملك او يتملك وطولها ... (نخلص ! ...)
واما المكان الذي يعرف بالستيون فمعروف لكن ليس فيه اندثار بناء إلا
ما وجد فيه في حدود الخمسين بعد كالف في ايام حاكم تونس وهو مراد دمي
لما امر بتقل الازبال التي اجنعت هناك وانهم اهل المدينة ان يشغلوها ويضعوها
في المكان المختص ما كان في المرتفع فوجدوا من كور المدافع شيئا مستكبرا
يستدل به على ما وقع هناك من شدة الحرب وناميك بمكان اجتمعت على
اخذة اربعة بحال واربعة باشراف حيدر باشا ومصطفى باشا صاحب طرابلس
واحد باشا صاحب الجزائر وكان منفصلا عنها في التاريخ ورمضان باشا كان

ممثلها عليها . والمدد الذي امدهم الوزير به وهو ابراهيم بك من صنایق مصر
ومحمد بك صبحي قبرص وبالكبر بك صبحي قره حصار كل هؤلاء ما منهم الا
ومعه عسكر الفاندر من عسكر السلطان والى رجل من الطليعة لخدمة المدافع
والى ينشري وهلي عاشر ساجدار الباب العالي وجاعته والطامة الكبرى
وطليح علي قبطان البحر حضر مع هؤلاء المذكورين وعدة مدافع وزوارى امدهم
الوزير بها ومشاهدة الوزير لهم المرة بعد المرة . وبعد هذا لم يحتووا عليه الا
بعد فراغهم من حلق الوادي . وان سكان هذا الخبر قد سبق ذكره ان
انبي اءتهم هنا لزجادة التعريف بها وقع من البلاء في وقعت البسنيون ولان
يظن الظان ان هذا المكان ليس بشيء . واما جزيرة شكلي ادركها بها عاثر
البناء وقد سبى التعريف بها في اول الكتاب . وهذه الاماكن المذكورة
اعجزت سلاطين بني ابي حفص ولم تكن لهم قوة عن حسم هذه الطامة
واهل تونس معهم في جهد جهيد . ونار حرب كانوا قبل لها هل امتلات
فتقول هل من مزيد . الى ان سن الله تعالى على هذه المملكة بتكن نظرحالها .
وفك بعد ما استولت عليها ايدي الكثرة عثمانها . وهو سلطان البرين والبحرين .
وخادم الحرمين الشريفين . وفاسع الطغاة والمفسدين . السلطان ابن نسل
سلطان السلطان سليم بن سليمان . خلد الله سلطنته . وابدها في ذريته .
وجازاه في دار الكرامة بما فتح بسيفه وحسن نيته . ورحم الله وزراء الذين اخلصوا
له بالطاعة . ولم يشق احد منهم العصا ولا خرج من الجماعة . خصوصه
سن كان هذا الفتح على يديه . الوزير الاعظم سنان باشا عامه الله بما جرث
من الصالحات على يديه . ولما تم له هذا الفتح . الذي حصل له به الربح
والنجم . بعث بالخبر الى الابواب العاليه . وبهر بان الكافر بن ليس لهم
باقية . وانعم على سن كان في ركابه من الزعماء والاكابر . وبذل احسانه
لمن كان معه من العساكر . وانعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه . ورضى
ذلك على الباب العالي فبلغ لكل احد حظه . ومهد البلاد وامن العباد .
وقمع وخافه اهل الفساد . وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار

الينشورية وهي الواحدة بعد المائة على ما هو المتعارف بينهم . والجاري على عادة القوانين العثمانية وتن سلك طريقهم . ورجع إلى تلك الديار . وخلق من ذكره ما سارت به الركبان وطارت به الاخبار . واخذ قبطان البصاري وفيدته وجلس في مركبه وحمل السلطان محمد آخر بني ابي حفص وهو آخر العهد وبه انطلقت دولة بني ابي حفص من هذه الديار . ولم يبق من نسبهم الا ارامل وعجائز وبيات وابكار . وانشد لسان الحال *
 كان لم يكن بين الحجون الى العشا انيس ولم يسمر بمكة ماسر
 ولما تمكن قدم العسكر العثماني في تونس كما ذكرنا ورثب الوزير سنان باشا قوانين صارت من بعده ذابطة الرسم . واطهر ناموس الملك وقدر فيها المرتب المعلوم . رجع إلى دار سلطانه بالديار الرومية . وخلق هذا العسكر المعبر منه بالينشورية . فصبوا ملك تونس ودعمت قواعدهم . واستمرت بأيديهم خلفا عن سلف والرومان مساعدهم . واصبحت ما نسد من بنيان فاعدها . وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها . وهي المعبر عنها بدار الباشا . وكذلك الدبوان كان يرسم بها وجعلوا قوانين يتميزون بها وهذا في اول امرهم في الاحكام حذو ديوان الجزائر . والمتصرف في احكام البلد بالاسا الوقت ونظر العسكر الى آفهم . ودرنت الدواوين وخرجت الولايات والجهات . ونشرت في بلادهم كلاف بقى باسم السلطنة العثمانية الرابات . وتروم الخطباء على المنابر باسم السلطان العثماني وحرب اسمهم على الدرع والدينار . واصيقت إلى مملكة الشريعة هذه الديار . واستمرت عليها الولاة العثمانية . وجاءتها من القسطنطينية زعماء الروساء ونصحتهم فيها بالانوبة . وجعلوا اصطلاحا على عادة اهل الجزائر التحكم في الديوان والعسكر جماعته البوكايتية . ولكن ساروا في احكامهم بعفتة على تن دونهم في العسكر ووقع منهم الجور حتى ان الواحد من البوكايتية اذا كان عنده صبيان وهم المعبر عنهم بالعزبة تكون له حرمة وافرة وربها مد يده في اليلداش وما مسى تن دونهم . فسميت نفوس العسكر واضمروا لهم الشر وتعاقبوا بينهم على

الفلك بهم في يوم معلوم وهو يوم جعته * وكان وكيل المخرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عقب الى اليوم فساعدتهم على ما ارادوه ووعدهم انه لا يحضر ذلك اليوم لتكون البيوت التي فيها السلاح مغلقة بحيث لا يجدون سلاحا يذبحون به عن انفسهم . فلما كان اليوم الذي تراءوا فيه واجتمع اهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين غفلة ووضعوا السيف في سن وجدوه هناك ولم يمنع الا سن لم يحضر ذلك اليوم وتبعوهم في منازلهم وقتلوا منهم من ظفروا به ولم ينج الا سن فر بنفسه وكانت هذه الواقعة اخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة * وكانت اشارة الشيخ الفدائش قد تقدمت بما صار لهم لانهم كانوا طالبة بمال ليستعينوا به على مرتباتهم لان الشيخ كان ينفق انفاقا من لا يخشى الفقر من كثرة احسانه للفقراء واحياء الزوايا التي في المدينة والخارجة منها واطعام الطعام وفك الاسارى وافعال البر حتى قيل انه كان يصرف في انفاقه من كون الله فسولت لهم انفسهم ببطالته فطالبوه وارادوا اكراهه فبعث جماعة من الفقراء الى المجازر التي بتونس وامرهم بشري رعيوس الكباش فاجتمع له منها شيء كثير وفي اثناء ذلك حل بهم ما حل فكانوا يرون هذه الواقعة من كرامات الشيخ نفع الله به ءامين * ولما فعلوا فعلهم تحزبوا احزابا وصار كل حزب منهم له رئيس فاجتمعت عدة روساء وصار كل رئيس يدعوا باسم الداي وهذه اللفظة معناها خصال باللسان العربي وهي هتفهم تكبره بمن ينادى بها وصارت جماعتهم تقرب من ثلاثمائة رجل * واذا حل بهم امر تجمعوا في القصبة وتشاوروا بينهم الى ان يتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم رأي من كثرة دياتهم * وكان اكبرهم اذ ذلك ابراهيم داي اشتهر بينهم بشجاعتهم وكثرة جماعتهم الا انه لم ينشرد بينهم بالحكم فمكث على حاله ثلث سنين وطاب منهم دستوروا الزبارة الحومين فاذنوا له وفارقهم ولم يعد اليهم وعاد الى بلاد الروم فاستوطنها وعاش الى بعد الستين والالف * ولما خرج من بين اظهروهم قلم مقامه موسى داي واراد ان ينشرد بكلمته في الحكم فلم يتم له مراده فلما رأى الاضطراب في العسكر

والهرج بينهم ذلت نفسه فمكث نحو سنة وطلب منهم المسير إلى الحج كما طلب إبراهيم داي فاذنوا له ، فلما خرج من بين أظهرهم بعثوا له أن لا يعود إليهم فما رجع بعد ذلك ، ثم تدايعت فيهم الرساء وصار كل واحد منهم يريد الاستقلال فقام من بينهم انسان أحدهما قارة صفر والاخر عثمان وكان عثمان اقل من في الدايات جعا وذكرنا إلا أن الوقت ساعدة والفدر موافق له فوقع بينه وبين صفر داي مشاجرة فذهب كل واحد منهما إلى منزله ولبس لامة حربيه واقبل إلى القصبه ، فسبق اليها عثمان فدخلها وجلس في سقيقتها واجتمع اليه بعض جاعته فلما رأى صفر داي مثبلا إلى القصبه بعث له من رده وامره بالخروج من البلاد فخرج على وجهه ولم يستطع بينهما منازع فخرج صفر داي وسافر إلى ناحية الجزائر ولم يزل هناك إلى أيام يوسف داي فاعاده إلى البلاد ولم يكن له اسم بعد وعاش إلى قريب من الخمسين وكالف ومات بتونس بعد ما تزوج بها وكان له ولد وادركت صغرا هذا رايته ، واما عثمان فانه لما نفى صغرا حابه من سواده واخذ في تشتيت اكابرهم وخافه اكثرهم فهربوا من بين يديه وسكن غالبهم في اطراف البلاد خيفة منه ، وهو اول داي انفرذ بالكلمة في سنة سبع والفسه فباشر الولاية بجاش متين وصوله زائدة وكانت فيه شجاعة قوية بحيث يباشر الامور بنفسه ، وربما سمع ببعض الجنات في الغابة للفسدين من الانراك ينهبون الغلة فيخرج بجاشه في طلبهم حتى يطفر بهم ، وكان اهل البساتين قبل ولايته اذا طابت غلاتهم طلبوا من اهل الديوان عن يحرسهم ممن يجتري عليهم من العسكر لنهب غلاتهم فيعينون لكل مكان ساقجا يحرسهم ويجعلون له جعلتلى ذلك ، فابطل عثمان عادتهم وصار يحرسهم بعنايته فخافه الناس وجعل تلك العادة ياخذها الساقجي من الباعة الذين يلوجون في الاسواق فاسان على كل واحد ، وانحسبت الاشراق من التعسف في الجنات والبساتين ، وقام بالدولة احسن قيام لا ترد كلمته ، واذا تكلم لا يراجعه احد ، وارادوا ان يفتالوه مرارا فلم يتم لهم ذلك لانه ياتي اليهم من

يعلمه فيتمكن منهم ويقتلهم اشرقت له * ولمـــــــــــــــــا ثم لم الامر نفى
 اهل جربة القاطنين بتونس لانهم كانوا تحت حكم اهل طرابلس فاجلاهم
 من تونس * وكثرت في ايامهم غنائم البحر حتى كانت لا توصف وفي
 ايامه كبر صيـث محمد باي بن حسين باشا وكان قبطان البحر بغلاتطه وجر
 * ذة غنائم مشهورة . وكان عثمان داي اذا جاءت غنائمه طلع الى حلق
 الوادي وبيعت الغنـيمـة هناك فيقع للتجار ربح قوي * وفي ايامه جاء
 دال قبطان من بر النصارى وحصر ما بحلق الوادي من المراكب ومنعها
 من الخروج فخذاهم عثمان داي الى ان دبر به واسره وسجنه في القسبة
 وبها مات * وفي ايامه كان الفناء لاظم وذلك في سنة ثمان عشرة واربع
 عشرة بعد الالف وهو مشهور بين اهل الحضرة بحيث اجتمعت ثلث مسائل
 الوباء والغلاء وتغير السكة في زمان واحد فكان اهل تونس يرون هذه
 الامور من اعظم شئ حل بهم بحيث بلغ نفيز الحنطة ثلثين دينارا . وادركنا
 من كان يستعظم هذا الامر ولو ادرك ما وايناد في عصرنا لاستعظم ذلك لانا
 ندركنا الغلاء المفرط الذي لم يسمع بمثلـه في افرقيـة قط بحيث بلغ النفيز
 من الحنطة اضعاف ذلك وبيع الصاع من الحنطة بنصف ريال فيكون ثمن
 النفيز قريبا من المائة ريال وذلك في محاصرة القسبة والمدينة في الكائنة
 العظمى التي حرقـت فيها ابواب المدينة وسياتي لها ذكر بعد . واجتمعت
 مسائل ثـر حـل * وفي ايام عثمان داي كثرت غنائم البحر كما قدمنا لان
 النصارى كانوا في غفلة عن الاستعداد لتسحين المراكب الكبار . وانما كان
 يسافر الغزاة في الفراقط وما ظهرت المراكب مثل الشيطيات والبطاشات وشيورها
 من السفن الكبار الا في زمن عثمان داي . وكذلك في بلد الجزائر وتماضى
 الحـل الى اليوم وسافر عثمان بنفسه المحملة مرتين بمالة الجريد وهي التي اخذ فيها
 بلد سدادة وحلـت الصيف . ومهد البلاد وجعل قوانين للرعايا يكون العمل بها
 ويسمونها قوانين عثمان داي وقد تغيرت لان تلك القوانين * وفي سنة سبع
 عشرة قتل عثمان داي محمد باي بن الباشا حسين لانه اراد الوثوب على عثمان

فطن به . وكان اتفق مع جماعة مستفيضة وأطلع على أمرهم ساقلي وجب
 فإخبر عثمان داي بذلك وقيل كذب عليهم وفي سبب قتلهم اختلاف
 وأنذر محمد باي فتفرقت جماعته وهرب بنفسه إلى ناحية أفريقية فخانته
 تلك العرب وقبضوا عليه وأتوا به فسمع عثمان داي فبعث من قتلته قبل
 أن يدخل تونس خيفة من الفتنة * وكان عمر محمد باي إذ ذاك ثمانين
 وعشرين سنة وذكره طبق بلاد النصارى وفعل بهم النافذة ورزق سعادة
 في البحر لم يسمع بشئها وكان نسيج وحده وجه الله وعفى عنه * وفي هذه
 السنة والتي تليها جاءت لاندلس من بلاد النصارى نفاهم صاحب أسبانية
 وكانوا خلقا كثيرا فأوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق صنعائهم على الناس
 وأذن لهم أن يعبروا حيث شاءوا فاشتروا المشايير وبسوا فيها واتسعوا في
 البلاد فعمرت بهم واستوطنوا في عدة أماكن . ومن بلدانهم المشهورة سليمان
 وبلي ونينوا وقونبالية وتركبي والجديدة وزغران وطبرية وقربش الراد وبجاز
 الباب والسلوقية ونستور وهي من أعظم بلدانهم واحصروا والمدية والندغة وغير
 ذلك بحيث تكون عدتها تزيد من عشرين بلدا فصار لهم مدن عظيمة
 وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين وبنوا الطرقات بالسكراريط للمسافرين
 وصاروا يعدون من أهل البلاد * ولم يلبسوا استقام لعثمان داي ما أرادته
 عاجله حاكمه وأق عليه ما أتى على غيره ولحق بربه في سنة تسع عشرة
 بعد لآلئ ولم يثب إلى يومنا هذا * وقسمهم بالامر بعث يوسف داي
 وهو أول داي استقام أمره بلا ثعب وكان عثمان داي رشحته في حينه وزرجه
 بابتد ولم يدخل بها وكان في مرضه سألوه من يلي بعده فقال لهم - صاحب
 كالمو عجم داي - (وكان غائبا في بلد باجة لأن فيه شهامة) - وأن أردتم
 هذا أنفسكم فقدموا يوسف لأن فيه لنا . وكان قصده توليته لانه صبرة
 فلما مات عثمان بعثوا إلى عجم رسولا وأصحبوا منتظرين في أمرهم وتجمعوا
 عند دار عثمان داي * فبينهم أهم كذلك إذ دخل علي ثابت وكان من
 أصحاب يوسف فلما رأى جمعهم أقبل بهم سائرته وقبل يد يوسف داي

وبارك له فلم يبق من الجماعة احد الا وفعل مثله فبايعهم كبار العسكر وطاعوا به الى النصبه واجلسوه على عدتهم وجاءه الناس وبايعوه على طبقاتهم وتم له الامر . ومن عند اقبال عجم من باجه خلعي الامر قد فانه فلم يسمع الا المبايعه فكان يوسف داي يكرمه فيما بعد . واخذ علي ثابت في تدبير المملكة وصرف نية يوسف داي عن النزول مع بابنة عدلان داي فتخلى عنها ودبر عليه بنزول مع خطاينا من بنات كاتالاج لانه خاف من مصاعرته لا يولد عدلان داي والزحاني جدهم ليمسده هو بالاسر وحده فكان كذلك فلستقام امره وساعده جده الى ان بلغ رتبة لم يبلغها احد قبله وسياتي له خبر . وفي ايام يوسف داي تدهورت البلاد وكثرت عمارتها وكان مغرما بتجيز الراكب في البحر للغزو وباعث عدتها خمسة عشر مركبا من الكبار . وفي ايام كثرت الروساء في البحر وكانت لراكبه سمعة وحيث * ومن اعظم رساء عصره قبطان صمصوم وقبطان وردية فكانا نصرانيين فسافرا في ايامهما على دينهما ولما بعد وكان لهما صيت في البحر . وساعدته الايام بالغنائم من البحر والهند في البر فبنيت في ايامه عدة اماكن في المدينة منها سوق التوك امر بتمشيره على ما هو دايه اليوم وكان على غير هذه الخلد فجاء من احسن الاسوان التي بتونس وبني اجمع المشهور به وجعل اماره من الطائفة الخفية وجعل له اوقاما للذين والقراء والخدمه فجاء من احسن ما يكون وبني باراته مدرسة تعرف به ايضا وفيها عدة بيوت للقاطنين بها وتدرس على مذهب كلام ابي حنيفة وجعل مرتبا للقاطنين بها والخدمة وارتقب طبهم اربعة من الخبز لكل من المؤذنين وكلام والطايبه وقد تلاثن اشكر ذلك . وبني البجعة التي تحت الثغرة ينفع بها كثر من الناس وكذلك الثغرة التي فوق البيضة وجماعت من احسن ما يكون وجعلها وفنا . وبني السوق الذي به الخرابه ملوى التجارم وهو من اعجب الاسوان وكذلك الحمام الغريب من السوق المذكور وبني عدة فنادق لسكنى الطائفة اللوند * وكذلك السوق الذي يباع فيه الرقيق من السودان

وغيرهم ويقال له البركة وهي من اجل الاسواق * وكذلك فتح باب
البنات بعد ما كان مسدودا وبوبه وجعل فيه عدة حوائث فجاء من اجل
الاسواق وبني قريبا منه سوقا يباع فيه الغزل وكانا قبل اليوم في غايته
العمارة وقد تلاكى امرهما ولم تبق الا رسومهما وسميت تلك الناحية بعد ما
كانت خرابا من مكان بعين بواشحة حرة له باب البنات وكان الناس
من هنالك في السهار يخطى على نفسه فسميت تلك الناحية وهي اليوم من
اجل حارات تونس . ولم غير ما ذكر من الخيرات التي بقيت بعدة تذكر .
ومن اكبر حسناته ان جلب الماء العذب على الخباية المشهورة بدوشرى ماءها
في المدينة في عدة اماكن منها انقبة البرجة التي تحت السموعة المصنعة
للتجاءع لاسلم ومنها في راس سوق الترك وفي اماكن اخرى وانفتح الناس
بهذا الماء زمانا وقد تعطل في زماننا هذا ثلث من ينزل في شارع وامثال
الحكام له ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن خيراته ما ارد المتأخرة العبيد
التي على وادي سجدة من ناحية بلاد تارة وجاءت من اجل الظنار وفي
اليوم من اعجاب المنزهات التي لها ذكر بن الناس . وكان عليها برج في
حياتها ثم زاد فيه من بعدة مائة التي نضر عاغة ثم نزل به وانه المرحوم
احد سلبى وصنعه ، ثم صار من بعده الى حليدة ابي الحسن على بني فرادة
صنعت له الى ان صار يضرب به المثل وجاء بسعداته على اجل شكل وسبقي
لذلك زيادة اصباح . ومن في عدة اماكن غير ما ذكر في باب المراجلة
الاماكن المعطشة وجلب اليها الماء من اماكن بعدة بنوع الساعرون بها
وصنعت له صدقات عديدة منها انطارد الوردسين بن بلال السعيد
الشريف خمسة ربالات لكل مكتب حتى ان المكتب ولو تعطل في مدة
السنة يجي في هذه الليلة لاخذ ما هو معلوم انابه الله على صنعه * ومن
زاد ايام دولته . وسلك في فعل المعروف طريقته . وكان يصدر عن رايه
في قومه وقعدته . المرحوم بركة الله الخايج علي فابث وهو وجه الله في
حسنة من حسنات يوسف داي . وكان صاحب احسان للمسلمين وقدمه

ولم ذكر عند أهل تونس لاحتياج إلى تعريف * ومن بعض حسنة
تسمية المسجد الذي بآزاء داره داخل باب الجزيرة وجعل له أوقافا وكذلك
تسمية للجامع خارج اثناب المذكور والمباني التي بسوق الترت وجاءت
من أجل ما يكون ويتمتع بها الغريب وجعل لها أوقافا لمن يقوم بها وكانت
في غاية الحسن إلا أن بعض حسنة استولى عليها وأمرها مصير إلى التلاشي
ولم اخبار تحتاج إلى ديزان ومات رحمه الله في سنة إحدى وأربعين والف
وهو من كان يعين يوسف دلي على فعل البر ولو تبعنا حسنة يوسف دلي
لحال بنا التبع لها * وفي أيامه في سنة اثنين وعشرين والف كانت محلة
الجزائر لاوي ولم يقع بينهما قتال * وفي أيامه كان النداء الأعظم الذي يقول
له أهل تونس وباء سيدي أبي الغيث لأنه فيه توفي الشيخ رضي الله عنه
ونفعا به وكان في سنة ثنتين وأحدى وثلاثين والف ومات فيه خلق كثير
وفي أيامه في سنة أربع وثلاثين أخذت غرابان من أغربة مالطة وجي
بها إلى تونس وزينت البلاد لأخذهما * وفي سنة سبع وثلاثين كانت
الواقعة العظمى بين عسكر الجزائر وعسكر تونس ومات فيها خلق كثير وكانت
في شهر رمضان من السنة المذكورة واستجابهم الشيخ ثابت بن شريف
وأطعمهم في البلاد وأسا النسي الجمعان كانت الدائرة في أول يوم على أهل
الجزائر حتى طابوا لآمان ثم أن الأعراب خذلت وكان أعظمهم أولاد سعيد
فانكسرت محلة تونس ونهبته وعانت الأعراب في الوطن ومشت جماعة
من مشيخة البلاد مثل الشيخ تاج العارفين العثماني والشيخ إبراهيم الغرياني
والشيخ مصطفى شيخ الأندلس وغيرهم وتم الصالح بين الفريقين * وفي سنة
ثمان وثلاثين كانت مجاعة الكد في القيام بني شريف وكابد هذه الأهوال مراد
باي وكان صاحب دماء . وفيها أخذت النصارى غلاتين لأهل تونس .
وفي سنة إحدى وأربعين توفي الحاج علي ثابت وفيها جاء منصب الباشا لك
لمراد باي . وفي التي تاليها أخذت جماعة من أولاد سعيد وركبوا على الخوازيق
في المراكض وفيها ظهرت نجمة محمد باي . وفي أيام يوسف دلي فتحت

الحمامة بعد اتفاق سبع سنين ولم يزل رحمه الله الى ان سار الى رحمة الله مشكور السعي عند الناس وكان مغرما بالصيد يخرج الى البادية ويقيم عندهم اياما ويصطادون معه ولم يكن له منازع في البلد ومات عن سن عالية ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من رجب الفرد سنة سبع وأربعين وألف ودفن في مسجدة المعروف به وبني عليه ولده تربته بديعة الشكل رحم الله تعالى هذا الروح الطيبة وجازاها بما هو اهل به * ومنهم من اصطا مراد بن عبد الله من الاعلاج ببيع صبيحة اليوم الذي مات فيه يوسف داي واثق على تقدمه جماعة واكبرهم مامي من اكبر عماليك يوسف وكان يرى نفسه انه احق بالامر من غيره الا انه خاف من العسكر انهم لا يقدمونه وراى انه يقدم اصطا مراد فان رضوا به دبوا في خاعه واستبد هو بالامر . فعاجله اصطا مراد لما تم له الامر ونفاه الى زغوان وقتل هناك ولما تم له امره باشر الولاية بجاش مئين . واول ما امر به قطع الخمارات التي بين الازقة وكانت كثيرة وابطل برج البستيون وابطل بيع التمح الذي كان يباع به وابطل ايضا باعة السميد والدقيق ونظر في معاش المسلمين احسن نظره وكان الرغيف الذي يباع بناصرى زنة ستا وثلاثين وقية وبيع الناحم في زمانه بناصرى الرطل في فصل الشتاء وكان الناس في ارغد عيش وامر بنثنس الازبال التي خارج باب البحر وكانت كيمان كالجبال وخدم فيها الربيعين والمدينة نوبا بينهم وكان يحضر بنثنس وجماعته كل يوم . وفي اول سنة من اياه جاءت غلايط الجزاير الى تونس وكان عددها ثمانمائة وسافرت مع غلايط تونس وهي ثمانية ايضا انتصارا للسلطان في حرب اولونه فحصرتها عدة البندقية في مكان استحال الخروج منه فكان من رايهم انهم نقلوا الى البر باجمعهم ومن معهم من اسارى النصارى واحرقوا الغلايط كلها وتوجهوا برا الى قسطنطينية فانعم عليهم السلطان بغلايط من عنده ورجعوا الى بلادهم وكانت هذه الواقعة سنة ثمان وأربعين * وفسبها جاء الخبر بان السلطان اخذ بغداد فزيت المدينة سنة أيام وكانت هذه الزيادة من

احسن ما شهد في تونس من الدعة والسنة . وفيها جاء الخبر بوفاة السلطان مراد وتولية اخيه السلطان ابراهيم . وكانت ايام اصطا مراد هذا من احسن الايام . وقد انتقلت جاعة على القيام عليه فطحن بهم وقتل منهم جمعا كثيرا وفر من فر منهم . وكانت له صولة عظيمة وهيته وهو اول من جعل القواد يلزمون بابه كل عشية بقصد الانصاف لمن يشتكي منهم ولم تكن هذه العادة لمن تقدمه * وفي ايامه بني البرج الذي بغار الملح على يد المعلم موسى وامر ان تبني هناك مدينة واستنفر الناس الى السكنى فيها وسلمهم دراهم للتعمير والاعانة فاستوطنها جمع من الاندلس وغيرهم وهو السبب فيه حتى صار من اجل المراسي التي يبلاد لاسلام وكان قبل ذلك مكنيا للنصارى فانحسم ضررهم وهذا بعض من حسناته . ربيع قنير التمع في ايامه باربعة دنائير نواصر ومطر الزيت بددينارين ومنع خروج التمع لبر النصارى ودخلت هيشه في قلوب العسكر والعامة من الناس حتى ان الذمي كان لا يجار عليه ولا يظلم بشيء . وكانت كلمته لا ترد ولا يراجع احد ولو كان ولده . وهو احد من راس في والبحر لانه كان خدم فيه قبطاننا ورزق فيه السعادة التي لم يرزقها احد من قبل * وكانت ايامه في البحر من اجل الايام ولما تولى الحكم بتونس كانت ايامه عند العامة كذلك الى ان توفي الله وقدم عليه بعلمه وكانت وفاته سنة خمس مائة والف رحمه الله تعالى * وقسم بالامر بعده احد خوجه ويقال له اوزون خوجه باتفاق من العسكر ولم يختلف عنه انسان لانه كان في اول امرة وهو خوجه بالديوان يعامل الناس بالرفق واللين وخصوصا الايتام من ابناء العسكر يهش لهم ويتحن عليهم فمالت اليه القلوب وتقدموه عن رضى منهم فباشر الولاية بجهروت وعهامة وكان جماعا لجمال * وفي اول ولايته جاءت اضربة ماطة ودخلت الى حلق الوادي واخذت منه هذه مراكب احدها مركب يو شاشية وحرقوا مراكب اخر وفعلوا فعلا عظيما ولم يمنعهم البرج الذي هناك فعند ذلك امر ببناء برج اخر لحصانة المرسى

ويؤشد ايضا سكان الغلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله وفعل فيه بسرا
 طيما المرحومان محمد باشا واحمد شلي لانهما جعلوا صدقات من الارغفة
 للضعفاء تقوى عليهم كل يوم ويقع نزاحم بين الناس في مكان التفريق وربما
 مات بعض من الارواح بدمعته من زاوية الشيخ الجايزي وانقطعت
 الاسعار من الفم والشجير ولكن كانت مدة يسيرة ، ثم تدارك الله سبحانه
 عباده وتراجع الحال وانت السنة في غاية الخصب وارتحم الناس * وفي
 اول دولته وقعت المحاسبة بين المرحوم محمد باشا وسليمان باي وظهر قبل
 سليمان مال اخذ عرضه محمد باشا فلياطم والزندان والسانية التي براس
 الطائفة فوجب كل هذا لاجد خوجه وهذا يدل على سخاء الباشا المذكور ،
 وفي سنة ثلث وخسين كان الفناء لاصظم ودائم سبع سنين * وفي سنة
 خمس وخسين كان ابتداء العمارة لكندية وجاءت الاوامر السلطانية لقصد
 العسكر والمراكب اعانه للسلطان فندب اجد خوجه الساس وجعل على اهل
 المدينة والريصين امرا لتجهيز المسافرين وعين جمعا من الرعية للسفر ولكل
 واحد جعل من ذلك المال مقدارة ثلثون كرونة لكل رجل وعين جلته من
 المساحي والقيسان والفقاف وبعثهم في المراكب وكذلك في السنة التي
 بعدها تم قطعت بعد ذلك ، وفي ايامه ابتدا المرحوم محمد باشا بتزويل الزمول
 وتوويت شوكته على العربان وشي فيهم الهوان ، ومات سليمان باي في
 ايامه وانفرد الباشا بدير وطنه ولم يكن له منازع وحصلت بينه وبين اجد
 خوجه مشاحنة ادخل بعض الماكرين بينهما فسله الله من شره وتحكم فيه
 ومات على يديه في اشد اهانة وكان اسمه جيدة عاشور فانتقم الله منه
 واستقامت احوال اجد خوجه وكان مطاعا في عسكره بحيث انه استنقر
 العسكر الى غار الملح لاجل واقعة يطول شرحها فلم تكن إلا ساعة من النهار
 حتى خرج العسكر من اخره ولم يبق بالمدينة احد وهذا من ففاد امره .
 وكانت قريته من موته فلم يعيش بعدها إلا اياما يسيرة وبداه مرضه الذي
 مات فيه وكانت وفاته سنة سبع وخسين والى * وتولى بعده الحاج محمد

لأز في صبيحة اليوم الذي مات فيه أحد خوجة وبسويح في جمع من أكابر
العسكر في سقيفة أحمد خوجة وطلعوا به إلى القصة وجلس على بابها وجددت
يعتبر هنالك وكان مسكنه داخل القصة فكان يجلس عند الباب لتعاطي
الأحكام في كل مشية إلى أن انتقل إلى داره المجاورة لتربة الشيخ ابن خريسان .
وفي أول ولايته كانت الوليدة الكبرى التي لم يسمع بمثلها في إقليم المغرب
وهي الوليدة التي صنعها المرحوم محمد باشا لولده المرحوم مراد باشا بالحرة
الجليلة ابنة يوسف داي رحم الله الجميع وأظهر في العروسة من أبهة الملك
ما لم يكن نظيره في الديار التونسية ومكث أربعين يوما في الاحتفال
لها وانفقت فيها أموال تَجَل عن الحصر وشاهد الناس ما أذهلهم منها لم يسمع
بمثلها وفي جلته الأيام لاسمطة ممددة بالأطعمة الشائخة مما يكل منه
الوصف وأكل منها أهل البلد قاطبة ولم يرد أحد عنها وجاءت الناس من
أقطار الأرض والمغنيون من سائر البلاد ولم تخل ليلة من الليالي من الفرح
ويسرج من القناديل ما لا قدر له ويوقد من الشموع كل ليلة ما يشهد
له العقل أنه لا يكون إلا بديار الملوك الضخمة وكانت تلك الأيام تعد
من الأعمار وجاءت الوفود من كل بلد لتهنئته وانشدت الأشعار وأجيزت
أربابها ووصل من الأعيان والبر من يستحقه وتحقق عند أهل تونس أنهم
ما سمعوا به مثلها حتى في زمن أبي حفص وهي أول وليدة صنعها ساجدهم
الله تعالى وفقر له بمهنة وكرمه * وفي أيام الحاج محمد لاز تقوى أمر بلقاسم
المنشيري في الأمانة ومنته نفسه بالغرور وذلك بمعاونة كشك مراد مملوك
الحاج محمد لاز وكان لاز المذكور يصدر عن رأي مملوكه * وفي أيامه صدر
الثائد عبد الله أبو خوران واستصفت أمواله وأهين بعد ما كان قائد القواد
على يد المرحوم محمد باشا * وفي أيامه صدر الباشا المذكور بلقاسم
النفصي وأخذ بجلته أمواله واعتقل في زاوية الشيخ سيدي أبي الحسن
الخلفاوي ثم رضي عنه فيما بعد ورد عليه ما أخذه منه وبعده استصفى أموال
بني صندل ونصحبهم على يد مكاتبهم أحمد المناري وتقوى شأن علي هري

الترجاء بمساعدة الباشا له حتى اعجبته نفسه ومتمته بالمحال فنكسب على يد الباشا واراد ان يفتك به فعاجل نفسه بان اكل السم ومات وهذا من حسن نية الباشا بحيث لم يفتنه من اعدائه احد . وفي اول ولايته الحاج محمد لاز كانت الطامة الكبرى وكادت ان تكون فتنة لولا ان تداركها الله برأي الباشا المذكور وعي التي بيعت فيها عدة نواصر من مرتبات العسكر على يد القائد داود اليهودي الذي كان صرافا فكادت ان تكون فتنة بين العسكر فهذه الله الفتنة برأيه السيد ورد لكل واحد ما نقص من مرتبه ودفع المال من عنده وحل من ذارة سلك الديوان اكبسا على اعناق الرجال وكان شيئا مستكثرا وسلم الناس من الفتنة وهذه النازلة تعد من مائة الحسنة الجميلة . ودامت أيام الحاج محمد لاز الى ان توفاه الله لثلاث وعشرين خلون من شوال المبارك سنة ثلث وستين والغب بعد مرض طويل ودفن بترتبه عند باب القصبة وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى لاز ببيع في صبيحة اليوم الذي دفن فيه الداي المذكور وذلك بمشورة الباشا وهو اذ ذاك باي المحال فبعثوا يشاورونه في سن يتولى دايا قباشار بتولية الحاج مصطفى لاز فعندما جاء امره السعيد بايعه العسكر . وعند جلوسه بباب القصبة دخل الباي المذكور من غد وكان قد رجع من سفره فاشند به صمد الحاج مصطفى لاز . وكانت جماعة غيره اعناقهم ممتدة للولاية فطاح ما بايدهم ويسوا . ولما استقر في الحكم وتمهد امره زوج الباشا بجارية من جواربه وجهازها بجهاز معتبر كاحدى بنائه ووهب له دارا من اجل الدور وفعل معه من الجميل ما لا حد له . وفي اول ولايته نكسب بالقاسم المستيري على يد الباشا لانه كان حاقدا عليه لامور بدت منه وكذلك نكسب الشيخ مصطفى الكاندلسي واستصفت امواله وحرب الى وطن الجزائر ومات هناك وكذلك نكسب الشيخ صالح وفعل به ما فعل بغيره . وفي ايسام الحاج مصطفى جاءت مراكب الانكليز الى غار الملح واحرقت مركبا كان خارج المرسى ورمث على الحصار بالمدافع واستنفر العسكر الى غار الملح

وكانت واقعة مشهورة وذلك في سنة خمس ومئتين والـ الف * وفي السنة التي تليها كانت الوليمة الثانية من الولائم المشهورة التي صنعها لولده محمد باشا الخفصي على ابنة عبد الرحمن باشا وكانت ايضا تعد من مجائب الدهر * وفي ايام الحاج مصطفى بعث محمد باشا هديته المشهورة مع ابن قلمان ولم تدخل لك الديار الرومية هدية افخر منها من بلاد المغرب وطلب منصب البشارية فاجيب الى ما سال وجاءته الاوامر العثمانية سنة ثمان وستين وخطب فيها الباشا ابن الباشا . وفي ايام الحاج مصطفى لاز كانت الزينة المشهورة التي ضرب بها المثل لما كان بها من الدعة والعرف وجاءت من احسن ما يكون وهي بشارة باخذ السلطان اقليما من بلاد النمسة . وكانت ايام الحاج مصطفى ايام هناء وراحة لان غالب تدير الامور كان يصدر عن رأي الباشا رحمه الله ولذا فالحاج مصطفى كان لين العريكة ويكره سفك الدماء لئلا ما كان من واجبات الشرع واكثر الاحكام يخلد فيها الشرع * وفي ايامه كانت الوليمة العظمى التي اجتمع فيها ثلثة باشاوات وهي وليمة احمد باي بابنة عثمان باشا صاحب طرابلس واحتفل فيها المرحوم محمد باشا غاية الاحتفال وكانت مدة تسع وستين . وطالت ايامه الى ان توفاه الله ليلة الجمعة التاسعة عشرة من ذي الحجة سنة خمس وسبعين . وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى قرة كوز جلس عند باب القصبية في صبيحة اليوم الذي مات فيه الحاج مصطفى لاز من غير اتفاق من العسكر وانما قدم نفسه بنفسه واستولى على الامر بشهامة وكان مهابا وفيه اقدام فهابه الناس . ويوم ولايته ظهرت عليه سكينته وابتدا امره بتنقية اهل الجرائم ومعاقبتهم بالشنق والخنق على ادنى شيء وخصوصا سن اتهم بالسرقة فكان لا ينظر في امره بشيء ولا يعرف له لئلا لفظة جبل فنشق خلقا كثيرا وفر من المدينة كل من كان يتهم بشيء وتفرقوا في البلاد ولم يعد اكثرهم لئلا بعد موته . وكان فيه بعض هرج وتعتل غالب الاحكام في ايامه وصار غالب اهل الديوان وغالب الحكام لا يصرفون

بشيء خيفة من بأسه وشدة وربما تعطلت بعض احكام الشرع وهو الذي
 عزل الشيخ مصطفى بن عبد الكريم عن منصب الفتيا وقدم عرضه الشيخ ابا
 الحسن يوسف شهر درغوث فباشر الفتيا بعذافي وصلابة في الدين والحق
 ملك ان توفاه الله شهيدا كما سيأتي وهو يعد من حسنات قره كوز . وفي
 ايامه كانت وليمة محمد باي ابن المرحوم مراد باي بابنة احمد شلي ابن
 يوسف داي واحتفل الباشا كعادته في غيرها من الالام . ولم يزل قره كوز
 في تشديده على الجناة والافدام على سفك الدماء حتى ان اكثر المعاملات
 كادت تبطل وانحسم الشر عن الناس وخافوا البعيد والقريب وانقطعت
 السرقة من البلد إلا ما قل ونزلت العافية حتى في البادية ولكن لم تطل
 ايامه . وكان في سن الشيخوخة وقبض الله له قرنا من ايامهم احمد صنايلي والحاج
 حسين شاقال فذهبا به كل مذهب وعاجلاء بان اطعاهما سما فتغيرت امزاجهم
 وتضاعف ما كان فيه من طبع السوداء حتى صارت تحدث له حالات
 متناقضة ولم يفعل به ما فعلا إلا ليتم لاحدهما الامر بالولاية . ولما ازدادت فيه
 السوداء انتفى جماعة من الاكابر ووافقهم بعض رؤساء الرق فخلعوه وقدموا
 عرضهم الحاج محمد حاج اغلي . وفي شهر رمضان علق الحاج علي الفلاري
 وكان ترجسانا . وفي عشية منه ايضا علق خمسة انفس على دعوى من غير
 اثبات . وفي آخر دولته توفي المرحوم برجة الله محمد باشا وبموته انتفى
 الرق وصار كل احد بقدر اجتهاده وانفتح باب الخلع على الدايات فخلعوه
 او اخر ذي القعدة سنة سبع وسبعين والاف واخرجوه من القصة الى داره بحرمة
 كتاب الوزير فلم تطل ايامه ومات في العشر الاول من ذي الحجة من
 السنة المذكورة . ويوم خلعهم نفى من المدينة حسين شاقال واجد صنايلي
 ولم يتم له ما املاه والله سر في تقلبات الزمان . فتسولى الامر الحاج محمد
 حاج اغلي المتقدم الذكر جلس على باب القصة يوم خلع قره كوز وأبى ان
 يدخل دار الامارة حتى اخرج قره كوز منها فعند ذلك دخلها وهي دار معدة
 لمن يسولى هذا المنصب . والحاج اغلي هذا ممن تريس في المراكب وكان

يعد من القباطين المشهورين وكانت فيه سكة زائدة فلأجل ذلك قدموه
ظنا منهم انه يحسن السيرة في البلاد فظهر منهم خلاف ذلك فقل تدبيره
وصار لا يأمر بشيء إلا فيما قل وربما يأمر بالشئ وينهى عنه كأنه ما أمر
به ولا عبت لا يدي في الأحكام ولم يرد أحد عن مراده ، ونفى جماعة من
الأكابر وسال عنهم بعد ذلك وقيل انه لم يأمر في أمرهم بشئ وصارت
الأحكام تصدر من غيره ويوهمون انها صادرة عنه ، وصار الكائنان اللذان
بالديوان هما صاحب الحل والعقد وهما شعبان خوجة والحاج محمد بيشارة لا
تسرد لهما كلمته ، وفي ولايته أمر بخدمة الزبلة التي عند سيدي عبد الله
الشريف نفع الله به وخدم فيها الربصين والمدينة عدة أيام وكان يحضر
بجماسته هنالك ودام على حاله الى أول سنة ثمانين وقيل إحدى وثمانين
فخاعوه كثيرة وأخرج الى داره بمقربة من دار الديوان وبعد أيام حجر عليه ولم
يسته الى ان توفاه الله وقيل انه خوطب في مثله فلهذا خلعه ، ومنهم من
الحاج شعبان خوجة المذكور جلس مجلس الدايات في القصة في السنة المذكورة ،
وفي تلك الايام كانت الوليمة التي صنعها مراد باي ل أخيه حسن باي
ولولده علي باي وجاءت من أجل ما يكون ومشى على طريقة والده وأرى
عنه وأظهر من الاحتفال ما لا يوصف ، وفي ايام الحاج شعبان كانت الزينة
العظمى لاخذ كندية في ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين ، وأول مرة
بالحر الولاية بتعطف ونظر في معاش الناس وربما بأمر بنفسه ميزان الخبز
في الأسواق وكان مهابة وسكانه بالقصة فآخذ له المرحوم مراد باي دارا
ووزن ثمنها وزاد الحاج شعبان في بنائها على ما كانت عليه فجماعت من
أجل الدور وسكن بها ، ثم خالطه بعض أهل الفساد وأغروا بمعاودة
البايات ميزنوا له كل قبيل وأصر ان يفتك بهم وفشا الخبر بين الناس
وبلغ الى أرباب المملكة فكروا به قبل ان يفتك بهم ، والذي أغراه على
ذلك ابن القائد جعفر ومحمد بن أحمد خوجة على ما قيل ، فلما رجع مراد
باي من محلاته محلة الشتاء سنة الثمانين وثمانين أبى ان يدخل الى المدينة

واضمر الشر لشعبان خوجة فلما فطن لذلك خاف على نفسه وكان مراد
 باي كاتب اكابر الدولة واخبرهم بما نوي الحاج شعبان فمالث قلوب الناس
 عنده وتحقق ما اضمره بما صنع قبل من امور فيها بعض هضم في جانب
 البايات فلما احس بالشر بعث بجماعة من اصحابه الى الباي يستعطفونه
 وحلف لهم بايمان وكان الباي مراد لم يظهر ما في ضميره الا بعد ما استحوذ
 على القائد احمد بن جعفر وعلى محمد بن احمد خوجة واراد ان يجعلهما فتنة
 فلما وصلت الجماعة الى مراد باي تكلم معهم في خلعة فخلعوه بالمحلة او اخر
 ذي الحجة من السنة المذكورة وقدموا عوضه الحاج محمد منتشالي ويوم
 دخولهم المدينته دخلوا لقصبتها واخرجوه منها الى بستانه براس الطايبة وبعد
 ايام بعثوا به الى زغوان فاقام بها يسيرا ومات يوم الثلاثاء لسبع عشرة مضت
 من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين والدفن بجي به الى تونس ودفن بازاء
 دارة وقبره معروف هناك * ومنهم الحاج محمد منتشالي بويج في
 المحلة كما سبق وحدث بيعه يوم دخوله القصبة واستوطنها وكانت فيه
 بلادة لم يجرب الامور وغالب الاحكام في ايامه تصدر عن البايات وهو مساعد
 لهم لا يخرج عن امرهم بشئ وتنع بالمنصب واسمه ققام على سيرته اقل من
 سنة وانفقت جماعة من اهل الفساد وزين لهم الشيطان ما نووه فدخلوا
 القصبة على حين غفلة وحاصروا منتشالي وبعثوا الى الباشا صاحب المنصب
 اذ ذاك وسكان متفقاً معهم فخلعوا منتشالي وقدموا الحاج علي لاز واخرجوا
 منتشالي وبعثوا به الى زغوان الى ان مات هنالك وجيء به الى تونس
 ودفن بترابته قبالة دارة وقبره معروف هنالك * ومنهم الحاج علي
 لاز بويج في النصف من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين يوم الثلاثاء ووافق
 ذلك اول يوم من الحسوم فتطير الناس من ذلك وساعدة قوم غير راضيين
 وزينوا له مجالاة عثلية ويوم ولايته فر محمد باي الحفصي ولحق باخيه
 مراد باي ودخلت محلة الشتاء ولم يدخل مراد باي ولا اخوه الحفصي وكان
 اجتماع الحفصي باخيه مراد باي فوق القيروان ثم انهما توجهما الى ناحية

الزوارعين . ولما استقروا مشى بينهم الرسل وكل منهم حاقد على صاحبه وصامر له سوء وحدثت في المدينة احوال تؤذن بالفساد وتحزبت جماعة الحاج علي لاز وزاد ضررهم . ولما علموا ان مراد باي اخذ حذرة منهم عزوة واقاموا عرس محمد عاغا ولبسوه قفطانا وركب في المدينة ونادى المنادي بولايته ولما جذب المستجلب الناس والرعايا وينفق الاموال وهو لا خبرة له بالامور . وبعد ان كان ذلك كذلك بعث مراد باي بعدة اوامر يحذر الناس ويناديهم الى الرجوع مما فعلوا فلم يزد هم الا هرا ثم بعث اليهم اعتقادا من الخيل وغاروا على ما حول البلد فخرجت اليهم جماعة علي لاز وخيله فالتقى الفريقان ووقعت بينهم الحرب في عدة ايام . وهاخر الحال جاءتهم جماعة من اولاد سعيد والماليت وغيرهم من الاعراب فخرجوا بمحلة طاهر البلد وكانوا قبل ذلك جعلوا سؤالا وحكم فيه القاضي وافتي فيه بعض الفقهاء بما وافق اغراضهم فعند ذلك نهبت ديار البايات وغالب اثنائهم وكان المخطب جليلا . ولما خرجوا واقاموا بظاهر البلد وجاءتهم البايات وظهرت طلائع خيلهم بادروا الى لقاءهم وخرج من المدينة كل من يقول بقولهم والتقى بعضهم ببعض فلم تسكن الا ساعة من نهار حتى انهزم محمد عاغا ودخل المدينة مكشوف الرأس وخلف صكرة فتحكمت فيهم ايدي اصحاب مراد باي فقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم ينج الا من بعد اجله وهذه الواقعة تعرف بخطرة اللاسين وكانت بعقبة الجزار ونهبت الاعراب ما حول المدينة وتخصن الحاج علي لاز وجماعته بالقصبة ومن قد أصبح بابها مغلقا وبانت المدينة في سوء حال . وبعث الباي الى باقي العسكر بالامان وامرهم بتولية الحاج مامي جمل فبعثوا له وبايعوه في الديوان وبعثوا الى الحاج علي لاز واصحابه فخرجوا بالامان ومشوا الى زاوية الشين سيدي محرز بن خلف فلم تقن عنهم وحوصروا بها ومات هنالك اكثرهم وبعث بالحاج علي لاز الى الحمامات فقتل بها ونهبت عدة اماكن بالمدينة وتبع الباي اثار المفسدين فقتلهم وكانت وقعت له لم يسمع بمثلها بحيث مكث القتل اكثر من شهر . وكتب

البابي اوامر وبعث بها وفودا الى الباب العالي مخبرا بما وقع وجاءه الجواب بما في مراده وزيادة والقصة اطول مما ذكرنا وكانت هذه الوقعة منتصف صفر سنة اربع وثمانين * ومنهم الحاج مامي جمل بوبع منتصف صفر كما تقدم وسار على سيرة منشالي في مساعدة الزمان إلا انه كان فيه مرج وغفلة وكان يظهر التدين والعفاف ويميل الى الفقراء وذلك منه لامر ما وفيه امساك ويشتكى من الفقر وما ازدان اول دولته إلا برأي البايات ثم تغير حاله فيما بعد . وفي ايامه نافق ابو القاسم الشوك بوسلات فقاتله مراد باي وحاصره وقرع له من سائر البلدان والتم عليه جميع العمالة فطاب له الجبل وقطع رأس الشوك وجاعته وجميع براسه الى تونس والقصة طويلة . وفي ايامه اخذت غياطة محمد باي اخذها عنو الدين . وفي ايامه مات المرحوم مراد باي في جادى الاولى سنة ست وثمانين . وفي ايامه وقع الخلاف بين محمد باي واخيه علي باي وقدم عنهما محمد الحفصي . وفي شهر رمضان من السنة المذكورة سافر محمد الحفصي الى بر الترك . وفي ايام الحاج مامي قويت الوحشة والفتنة بين الاخوين واكثرها ببساعتهم وغلبت على امرة جماعته من اصحابه فكانوا يهونوا عليه الصعاب ولم يزل امرة في تشييت الى ان خلع بالحاج محمد بيشارة اواخر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين والف وخرج من القصة ودخل الزاوية القشاشية الى ان كان من امرة ما حذكرة بعد . وفي ايامه كان الوباء العظيم وابتدا في سنة ست وثمانين وارتفع سنة سبع وثمانين ومات فيه يوسف باشا وقبره بمقربة من الشيخ سيدي محرز نفع الله ببركاته وقبر معه ولداه وبنيت عليهم قبة حسنة . وفي سنة سبع وثمانين المذكورة خرج علي باي الى ناحية المغرب . وفيها كانت وقعة وسلات مع محمد باي ومات فيها خلق كثير وسياتي طرف من ذلك . وفيها جاء محمد الحفصي من بر الترك ولم يقبل . واضطربت اراء الحاج مامي حتى خلع آخر ذي الحجة كما تقدم واقام بدله الحاج محمد بيشارة * ومنهم الحاج محمد بيشارة بوبع في المحلة على يد الاعد

علي باي آخر ذي الحجة المذكور وحيي به الى تونس فجددت بهيئته
واخرج الحاج مامي ولم يتعرض له بمكره واستنفر عسكريا لاعانة علي باي
وبعث بالمدافع الى الكاف وسكن بالقصبة ايام ولايته وكان فيه طيش في
احكامه وهو من كتبة الديوان في السابق وكان يظن ان فيه سياسة فلما
تولى لم يظهر عليه شيء منها وكاتبه علي باي في مسائل تصلح به فلم يقبل
منه . واخذ العسكر في ايام مرتبا واحدا وبعث الى الحاج مامي مرتبه وهو
مقيم بالزاوية . وخلق في منتصف صفر من سنة واعيد الحاج مامي الى
الولاية وذلك حين احتوى محمد باي على المحلة عند الكاف ورحل علي
باي الى الجريد كما سيأتي خبره فبعث محمد باي الى تونس وامر باعادة الحاج
مامي فخرج من الزاوية وطلع الى القصبة واخرج ببشارة ونفاه الى راس
الجبل وبعد ايام امر بقتله ولم يف له بما فعل معه ومن يوم رجوعه لم يهنا
له شيء . وبعث بجمع من اصحابه الى الكاف لكشف الخبر والزم اهل البلد
بالعسس لئلا يجعل العسكر على الابواب نوبا ومشى طارق الفتن في غالب
الاقليم وبدا نفاق القيروان ومكنت تونس في جهد من العسس نحو من
اربعين يوما . ومن اغرب بلادته وهرجه ان الجماعة الذين ارسلهم للكاف لما
رجعوا وجدوا رجلين في الطريق مسلوبين فسألوها - من فعل بكما هذا -
فقالا - اصحاب من جماعة مصطفى سبنيول وهو بمكان كذا - . وكان مصطفى
المذكور طرق ذلك الجانب فلما سمعت الجماعة من الرجلين ذلك سألو
من ذلك الطريق واتوا على قرية خيشت من السبنيول المذكور ولما اخبروا
الحاج مامي بذلك لم يصدقهم فقلوا له هذان الرجلان المسلوبان فسألهما
فاخبراه بالصدق فامر بضربهما فضربا اعاذنا الله من قلته التوفيق . ولم يزل
يترقب الاحوال الى ان فشا بين الناس ان علي باي رجع من الجريد
والتقى مع اخيه في الفحص وهي الكائنة العظمى وهرب ابو رخيص وابن
عثمان وجماعة كانوا في تونس في صندل من البحيرة . وبعد ايام جاء الخبر
مع بلوك باشي وحسين بن مامي قرائش فعند ذلك هرب الحاج مامي الى

الزاوية كعادته وبقيت المدينة بلا حاكم فاضطر العسكر الى داي فوق اختيارهم على اوزون احمد فهرب ايضا ومن غد اخرجوه غصبا وقدموه دايا بعد ما شرط عليهم شروطا رضي العسكر بها فباعوه نصف النهار وبنات حاكما ومن غد خرج الى الناس ولم يثبت إلا وقد تبين خلعه فكان الراجب ان لا يعد من الدايات * ومنهــــــــــــم اوزون احمد بويغ في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين واقام يومين ولم يبرز حكما وكان بعث فيه علي باي ان يولوه فهرب الى الزاوية كما سبق خيرة واصيد الجواب الى الباي فعند ذلك بايع بالمحطة محمد رايس طاباق وبعث به الى تونس ولم يعلم احد بذلك فلما سمع اوزون احمد بعث بجداة من العلماء الى الجبل لاختصر لان مصطفى سنيول كان هناك محاصرا للمدينة ومنع عنها الداخل والخارج والزم الباعة ان يجلبوا بضائعهم للجبل لاختصر وامر الجزارين ببيع اللحم هناك وانقطعت المادة عن اهل تونس فوصل الداوي محمد طاباق ولم يكن لاهل المدينة علم فلما وصل الفقهاء برسالة اوزون احمد والشروط التي اشترطها وجدوا الناس قد بايعوا طاباق فطاح ما بأيديهم وبايعوا مع الناس ورجعوا فاخبروا اوزون احمد فهرب الى الزاوية الى ان كان من امرة ما سيأتي ان شاء الله . ومن اعجب الاشياء ان المؤرخين يعدون اهل المناصب من الخلفاء والسلاطين وان السادس منهم يمثل او يخلع وتابتوا كثيرا من اخبارهم وجاءت على اتفاقهم في الاكثر إلا ان هذه الدولة خالفتم جميع الدول لان السنة اندايات الذين كانوا مستقلين لم يجر على احد منهم الخلع وهم عثمان ويوسف ومراد واجد ومحمد ومصطفى كل هؤلاء كانوا مستقلين وماتوا في ولايتهم ومن بعدهم ثمانية على نسق واحد وقع الخلع عليهم قارة كوز والحاج علي والحاج شعبان ومتشالي والحاج علي لاز والحاج عامي وبشارة واوزون احمد هؤلاء المخالمون ويمكن ان يقال الاولون ثمانية ايضا لان ابراهيم داي الاول وهو الذي تسمى بهذا الاسم ومن بعده موسى داي لم يقع الخلع عليهما لانهما سلما باختيارهما * فهمسدا من اعجب

الاتفاقات والله الامر وهو العليم الحكيم * وممن الدايات العظام
واحد الرقيب النخام الذي جاء في اخرهم وهو ككاولهم لا محمد لا نجد
محمد داي عرف طباق معدود من الروساء الذين بلغوا درجة القبطنة
ونال سعادة وافرة وعلا اسمه وجرت له امور اضربنا عنها الى ان بلغ هذا
المصعب على يد المكرم علي باي بويغ له بالحلة بالفحص آخر ربيع الانور
سنة ثمان وثمانين والف واقبل الى تونس فنزل بالجبل الاخصر وبعث
الى تونس جماعة من اصحابه فقبضوا على الحاج مامي جمل وجانته وسيرهم
اليه وكان ذلك آخر العهد بهم * ويوم الخميس آخر الشهر خرج الديوان
الى لقائهم ودخل المدينة ويوم دخوله كان بعض الناس يغضي من جنابه
وبعضهم راي عليه مخايل الولاية ولما نزل عند باب القصة جاءه الناس قبايعة
هنالك وتكلم بكلام يدل على لينهم ولم يعلموا ما وراء ذلك ودخل القصة ومن
الغد امر باخراج من بها ما عدا جماعة وبعد ذلك باشر الامور بمشاهمة
وحدة ونفى جمعا من الاكابر وشنت كثيرا من المخالفين وقام بنصرة الباي
احسن قيام * وفي ايامه ابتدا الغلاء واجتهد في ضبط السعر غاية الاجتهاد *
وبعد ايام بعث الباي احد المماليك واقامه خليفة للبasha * وفي شعبان من
السنة المذكورة جاء خليفة البasha من بر التوك ودخل المدينة بزي الباشوات
واجتهد في امور المملكة وغير السكة لانها كانت غير مرضية فجاءت على
وفى المراد وفرح الناس بها * وفي ايامه تقوي الخلاف في القيروان والمنستير
وصفاقس وبعث رسالا للقيروان والمنستير فلم تقبل منه * وفي ذي القعدة
من السنة زادت الاراجيف في البلاد وطالت غيبة الباي وخبره عن
الناس * وفي ذي الحجة كانت الواقعة العظيمة التي احرق فيها
ابواب المدينة وتعطلت المساجد من صلاة العيد والجمعة وكان الخطب
جليلا ودخلت جيوش محمد باي المدينة وعاثو كيف شاءوا ولم ينازهم احد
وانخذل اكثر العسكر واستفرد مرارا فلم ياتوا اليه ومكث ثلثة ايام يتدارك
الامر وفاق باب القصة هو ومن انصاف اليه وانحصروا هناك وكان قد عيا

خليفة تقوم به وبايع العسكر في مدة الحصار ساقسلي حسن ورموا على
 القصة بالبندقيات ودام الحصار والحرب ليلا ونهارا ورمي على الحصار
 بالمدافع عدة ايام وحفر تحتهم لغم واطلقت فيه النار وجعلت المتاريس في
 عدة اماكن ونار الحرب مشتعلة في كل جانب وانقطعت الاسعار من المدينة
 حتى بلغ صاع القمح نصف ريال عبارة عن ستة ريالات الويصة فكان
 مبلغ الفيز ستة وتسعين ريالا وهذا شيء لم يسمع بمثله في تونس * والنز
 اهل المدينة والربضين بالعسس في داخل المدينة وخارجها وعظم البلاء واشتد
 الخوف وانقطع المار من عدة اماكن من الطرق ودهم الناس ما لا قبل لهم
 به ولم تزل الحرب في المدينة والابواب مهدمة والناس في جهد اربعة
 وعشرين يوما * وفي تلك الايام قبض على جماعة من اهل البلد والزمو باداء
 المال وقبض على العالمين المفتيين الشيخ محمد فنانة والشيخ يوسف درغوث
 فاعتقلا فاما الشيخ محمد ففر ليلا واما الشيخ يوسف فقتل * واما آخر الامر استنفر
 محمد باي العسكر فخرجوا معه إلا قليلا منهم فكان من امرهم ما سذكرك بعد
 وفحصت القصة رابع الحرم او سادسه ستة تسع وثمانين وصلى اهل باب
 السويقة ووقع منهم حرب لاهل المدينة وبني باب السويقة حاجزا بين
 الفريقين فهدموا وجاهروا بالعصيان وجاءت لاهل المدينة العسكر الذي
 خرج ثم تناقصت وحرب اهل النوبة التي بحلق الوادي حتى لم يبق به إلا
 رجالا وبعض هوسهم رجال اخر فاطهمروا الخلاء وكانت لاراء مختلفة في
 كل مكان الى ان جاءت رعوس القتلى وحطت عند باب القصة ومات خلق
 كثير من اكابرهم ساقسلي الذي تولى دولتي وكان في ايام الحصار الحاكم
 في القصة طاباق وفي المدينة ساقسلي المذكور * وفي تلك الايام ارجف بهوت
 علي باي من مرض كان اصابه وعافاه الله منه ثم اخذت الفتنة في الانحطاط
 وتماذى الغلاء الى ان من الله بمراكب جاءت من بر الترك بالقمح فحط
 السعر قليلا كل هذا وطاباق مكابده هذه الاحوال ومتحمل لصعاب الامور صابر لها
 وزاد لتجماعته التي كانت محصورة مع خمسة تواصر ترقيا لكل واحد في مرتبه

وهذا لم يسبقه اليه خبره وصفا عن الذين لم يدخلوا معه القصبه وعلم عليهم وكان الذي حمله على الصبر معاصدة الباي لم الى ان تم له ما تم فعند ذلك هابه الناس قاطبة وخافوا بأسه وظهر شهامة على من خالفه واشتدت شوكره . وفي آخر شعبان اقبل محمد باشا الحفصي من الديار الرومية في زي حبيب ودخل المدينة بشعار السلطنة بما لم يدخل به احد قبله ومعه من الالاج والطبول والانقرة والالات الباشوات ما لا يوصف فكانت التوبة تعزف عند العصر فيلتذ بسماعها خلق كثير ويقع لذلك ازحام كبير واحضر معه امر السلطان نصره الله للمكرم علي باي برفع ركابه وتعظيمه واجلاله . وفي ثالث شوال من سنة تسع وثمانين والاف كانت الزينة العظمى وبقيت هذه الزينة سبعة ايام بلياليها وفي الثامن منها وقعت الوحشة بين الباشا والداي فخرج الباشا مغاضبا وسكن في برج كرنباية . وفي تلك الايام نزل الباي على المنستير وحاصرها اياما ورحل منها . وفيها جاء الخبر ان محمد باي ركب البحر . وفي ربيع سنة تسعين رجع الباشا الى سائيه براس الطابية ولم يثغ يده وبين الداي اتفاق . وفيها خرج الباي الى محلة الصيف واقام هنالك وخرجت له محلة الشتاء قبل اوانها فارسلها للجريد نصيان السرج الذي في توزر واخذ في سنة احدي وتسعين والاف . وفيها استنفر الداي العسكر للكاف ومنعهم مرتباتهم . وفي ربيع الثاني من هذه السنة بعث الداي العسكر نجدة لاهل سليمان . وفي جمادى الاولى جاءت الرسل من الجزائر لاجل الصلح وقابلهم الداي بعنف . وفيها صادر اهل المرتبات ومنعهم لقلته استباحهم اسره وفيه رجب خرج الباشا الى القيروان وكان من خبره ما سيأتي ذكره . وفي شوال خدمت صفاقس . وفيه جاءت رسل اهل الجزائر ونزلت محلته في الحداة . وفي الحادي والعشرين من شوال جاء الخبر بخدمة الكاف وفرح الداي بذلك . وفي ذي القعدة جاء الخبر برضا الباشا مع الداي . وفي خدمت اولاد سعيد علي باي وتعطلت مرتبات العسكر في

هذه المدة الى ان دخلت سنة اثنتين وتسعين والفس . وفي اول ربيع الثاني منها قام العسكر على ساق وطلبوا مرتباتهم فالان لهم الداي القول فابوا فغلقت باب القصبة واحسن بالشر ومكث ثلثا وكانت هرجة عظيمة لولا ان تداركها الله بالباي فقمع اشراهم وهدن السنة ووعدهم باخذ مرتباتهم * وفي سابع ربيع الثاني كلف اهل المدينة والربضين باداء الرمية فامتنعوا ثم اذعنوا وتمشي الاداء في الوطن كله * وفي جادى لاوى كان الختان في برج باردو لحفيد الباي وكانت تلك الايام تعد من الايام * وفيه قويث الوحشة بين الداي والباشا * وفي ثاني جادى الثانية سافر الباشا الى الديار الرومية وبقيت البلاد بلا باشا والمرتبات والمجاني تحط في الديوان * وفي هذه الايام وقع الرخاء العظيم وكثرت الغلال والخيرات بحيث وصل قفيز القمح الى اربعة ريالات واقل من ذلك والله تعالى يلهم هذا الداي للسداد والصلاح . ويصلح حال من تسبب في اقامته بهذا المنصب ويبلغه النجاح . كيف لا وهو حسنة من حسنات الامير علي باي نسأل الله تعالى ان يوفقه لما يحب ويرضاه *

وحسب اثبت بجملة من اخبار الدايات وجب ان نأتي بنبرة من اخبار البايات وان كانت هذه التي جعلها لم تدون قبل وانما تلقيتها من كان قبلي واخبرني ومنه اعتمد في نقلها على سبيل الاختصار وذلك ان في مدة بني ابي حصن سلاطينهم كانوا يخرجون بمحالهم لجباية خراجهم وفي ايام الدولة العثمانية تقسمت البلاد بين القواد وصار اعظمهم يخرج بالمحلة وكانت الاغراب في قوة واستحوذوا على جل البلاد كعرب افريقية اولاد ابي الليل واولاد بوسالم واولاد حزة وغيرهم واولاد شنوف بوطن الكاف واولاد سعيد واولاد مدافع واهل الجبال غالبهم مصاة وكمكان صاحب المحلة يعاملهم بالمخادعة والرفق والقواد يتعاقبون في التزامات المحال فكانت احوالهم مضطربة وكثرت المحاكم بالمدينة فكانوا في جهد مع الرعية والعرب اشد شوكة في اول الامر فكان يصير الخلاص معهم وخصوصا اهل

جبال عمدون وجبل سلاط وجبل مطماطة * وأول من سما وأظهر ناموساً لهذه الطريقة وتسمي بين هذه الرعاية بهذا الاسم على الحقيقة القائد رمضان من الألاج وأصله من أهل الجزائر وخدم المنصب هناك وانتقل إلى الديار التونسية وتحصل على هذه الرتبة وكانت فيه سياسة وتدير فاقني الماليك وصلت ههنا وتخرج من ممالك عدة رجال أخذوا المناصب في حياتهم وتسموا بهذا الاسم قبل مائة فمئتهم مراد باي ورمضان باي وحسين باي هؤلاء مشاهير مواليه وكان أعظمهم همة وأبعدهم صيتاً مراد باي وكان فيه حذق زائد عالم بتدبير الرعية وجباية خراجها استولى في حياة استاذة على الولاية الضخمة واستخلفه في حياته وكان يتفرس فيه النجابة عن غيره حتى عن أخيه رجب * وكان مراد أيضاً يتفرس في ممالك استاذة حتى أنني سمعت ممن سمعه يقول عن مملوكي استاذة حسين ورمضان أما حسين فلا يموت حتى يفتقر ويعمى وكذلك كان يطلق على رمضان اسم الفقير فنجحت فراسته وكان يتنخر بنفسه ويقول أنا ملازم لخدمته استاذي وعندي كذا وكذا مال وعندي شيء معتبر ولم يزل يترقى إلى أن صار بعد استاذة في هذه الرتبة * ولمسا مات استاذة في أيام يوسف داي أراد أخوه رجب باي أن ينفرد وحده فسمى عند يوسف داي فتال له من أصبح عند باب الصغير ابن صندل فهو باي المحال لما يعلم من ذكاء ابن صندل وكان إذ ذاك قد هرب إلى الزاوية فاصبح عند باب مراد فخدمه فاحتوى على المنصب وزاحم رجب باي واستخضع أولاً خاخم فلم يتم بأبناء المنصب كقيام ابن صندل فإذا خرج مراد بمحلة جباها على وفق المراد دون غيره وربما اشتركا * وفي أيام محلة الجزائر كان كل واحد بمحلة وهرب غالب ممالك استاذة اليه فكان يستخلف حسينا * ولمسا وقع عليهم في محلة الجزائر وعاد من سنته إلى محلة الكاف ساس أمورهما على وفق مرادة وكثرة الروساء مضرة لافتراق الكلمة ولم يزل يعلو وغيره يسفل إلى أن ماتت نفسه بأعلى المراتب فبعث إلى الباب العالي وجاءه التظلم

من السلطنة وذلك في سنة احدى واربعين والاف * وكانت فيه سياسة لم تكن لغيره الى ان تم له ما اراد بحسن تدبيره وتنزل به عظام الامور فلا يتصعصع لها وكان مغري بقتال اولاد سعيد وتمزيق شملهم وكانت له القدرة عليهم الا انه لم ينفرد بتدبير البلاد لمشاركة الغير له فيها * وفي آخر غزواته التي جلاهم فيها وقطعهم واخرجهم من البلاد الى وطن طرابلس ولم يستقروا به وهي آخر محاله جاءه خبر المنصب وهو على مدينته صفاقس وتسمى باسم الباشا وتختلف لولده على المحال وباشر هو منصب الباشوات ولكن لم تصف له الايام ومات من ستمه ودفن في تربته بازاء الشيخ سيدي احمد بن عروس نفعا الله به ثم نقله بعد ذلك بزمان طويل ولده الاسعد محمد باشا وجعله في تربتهم بالجامع الذي اخترعه وسمي به وجاء من اعظم المساجد وسياتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى رحم الله الجميع وتجاوز عن سيناتهم انه سميع مجيب *

* محمد بسلسلي *

من احبي رسوم البايات في الديار التونسية وشيد معالمها في البلاد الافريقية وظهر من ابته الامارة ما لم يظهره غيره وفعل ما لم يفعله ملوك بني امي حنص في زمانهم ولا غيرهم لاميير لايجاد ابو عبد الله محمد بساي ابن المرحوم برجته الله لاميير ابي الظفر مراد باشا رحم الله الجميع استقل بالامر بعد وفاة والده وكان والده تخلق له منها في حياته لما ترقى الى الباشوية فلما مات ابوه انفرد بالامر وباشر الولاية بجنان قسوي وقابل الرعية برقي واحسان وقرب القاصي وقهر العاصي وهو اذ ذاك في صنوان شبابه * وكان رحمه الله معتدل القامة تلم الخلقه ازهر اللون بديع الشكل لايمتلي منه الناظر لحسن اعتداله ولم يكن في زمانه احد من امثاله فيه حدة ولين وصقل وزين مثل كاتبه ووزيره الصغير بن صندل وكان كاتب ابيه من قبل وخليفته في السفر رمضان باي وحسين باي وجعفر باي ومصطفى باي استبدلته في آخر الامر وكل من المذكورين لم عيت وسدعت

وكانت بين الأمراء ورفعتهم وحملاتهم المشهورون من ممالئكم وخدمته ركابهم .
 ممن لا بد لكل واحد منهم أن يمثل لأمرة ويتف ببابهم . وتخرجت من
 مواليتهم عدة رجال . ممن باشر الامارة وجباية الاموال . وغيرهم جم غفير لو
 تتبعنا اسماءهم لصاق بنا القرباس . وكفاة شهرة ما لهجت به البلاد وروثه
 من اخباره الناس . وكانت له اخلاق رضية . ونفس آية . وفيه ذكاء مفرد
 وراي مصيب . اذا اضمر شيئا لا يدي سره لاحد ولا يظهر عداوته اذا اراد
 المعادة محبا لاظهار الفضائل بذلالا للاموال وربما يعطي عطاء من لا يخشى
 الفقر وهم احسانه البعيد والقريب . وشهد له بذلك العدو والحبيب .
 وكان مجلسه مجمع العلماء والفضلاء ويكرم اهل العلم والصلاح ويحب الغرباء
 ويود الفقراء ويستحسن ان ترى ثروته على احبابه ويعجل بالاحسان لاهل
 حضرته واصحابه وبه مجلسه العلماء والادباء وتنع بين يديه المباحثة وله
 مشاركة بنهمه الذكي . وجعل لاهل مجلسه المرتبات السنية بحيث يعم الجميع
 بالانعام وجعل لهم دفترا فيه اسماءهم ويعطوا على قدر مراتبهم وتجري
 عليهم عاداتهم من البر والغنم والبقر والتمر والتفصيل والدرهم وغير ذلك مما
 هو من عاداتهم . وكفاة فخرا ان العلامة ابا عبد الله محمد بن مصطفى الازهري
 فزيل تونس كان يقول - لو سئلت من ثلث لاجبت بلا ولو قطع راسي -
 وقد تقدم ذكر السرايين والنائب الموعود به - ولو قيل لي هل رايت اكرم
 من محمد باشا لقلت لا - فكفاة مدحا شهادة هذا العلامة . التي بقيت في
 وجنات الطروس كالشامة . فان قال قائل - ما صدرت هذه المقالة من الشيخ
 إلا بنا غيرة به من الاحسان . ولهذا وجب عليه ان يمدحه باللسان والجنان .
 لقوله صلى الله عليه وسلم - جبلت القلوب على حب من احسن اليها -
 وهذا الشيخ من كثرة ما احسن اليه اطلق لسانه بالمدح وخلف هذه
 المقالة تروى منه - قلنا له - سلنا لك هذه ولا نسلم لك غيرها مما هو مشهور .
 واذا جاء الحق ذهب الباطل والزور . هذه خبراته باقية من بعده .
 يصنع هر تفرقت بين الناس وحسنات اكسبها بحجته . والناس مطعون

على مدح وثناء سعدة . ولا يخلو أرباب الصدور في كل وقت من أصدقائه
واعداً ، وهذه المحاسن شهد بها الصديق والعدو ، والتحمل ما شهدت
به الأعداء ، وسيتلى عليك بعد هذا أن شاء الله . ولو تتبعنا بحاسنه لاحتجنا
إلى تأليف معشقل . ولكن نأتي في آخر الفصل بما هو مشهور ويصوب
به الشل . ونرجع إلى الأول فنقول لما استقل بالامر بعد والده كان المشارك
له في المنصب رجب باي قم سليمان باي وكافا لم يبلغا شواء ، ولم يجريا
جواء . إلى أن لحقنا بالله وانفرد بنفسه . وفي أيام مشاركتهما له في الولاية
هائث لأعراب في غالب الأقليم ، وخصوصاً منهم زريعة الخبث والأصل
الليثيم ، أولاد سعيد لا أسعدهم الله لأن طبعهم الفساد في البلاد . ويهلكون
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . لأن امرهم سكان متشتتا مدة من
السنين . إلى أن ظهرت على أهل تونس الواقعة المشهورة بين العسكريين سنة
سبع وثلاثين . وقد مر ذكرها فتقامت قياتهم على ساق . وتمادوا في النفاق
والشقاق . وغالب أوقاتهم بجار على منهاج الضر . وبقيت نفوسهم الخبيثة في
الكر والفر . وكان المرحوم مراد باشا مقاوما لهم وحريصاً على تبديد شملهم فعاجله
جامه . ولم يبلغ منهم مرامه . وكانوا ياجتثون إلى بلد الحامة ويتحصنون بها
لأنها ساءدتهم في فقاظهم نحو سبعة أعوام فكانوا بها يتحصنون واليها ياجتثون
وعرب إفريقية كذلك إلا أنهم أقل ضرراً من غيرهم وأولاد شتوف متغلبون
على وطن الكاف إلى أن من الله تعالى بهذا الأمير . فقطع دابرهم وأحق منهم
الغني بالفقر . فخرج بمحاربه الشتائية سنة إحدى وأربعين ألف . وشد أزر
بلاد القيروان بعدما كاد أن يقع بها من أولاد سعيد الخسيف . واستوثق أمرها
وأولى عليها مملوكه القائد علي الحنشلي وكانت فيه غروسية . ودخل
بمحاربه إلى بلد الجريد وخلص حجاباً وظهرت همته ورئاسته وبشر أموره
على وفق مراده . وتقدم أنه كان معه مشاركا في وظائف رجب باي
إلا أنه لم تكن له فطنة . وإنما بلغ باسم أخيه من قبله . وتقدم أن
أهل تونس يذكرون أن ثلاثة من الرجال كانوا نجباء . وكل واحد منهم لم

أخ ومات الثلاثة قبل أخوتهم فلم يبق منهم أحد مقام أخيه أحدهم رجب
 بابي المذكور لأن أخاه رمضان بابي كان في غاية الذكاء فلم يبق رجب
 مقامه وإنما نال ما ناله بسابقيته أخيه ولما مات خلف ولده سليمان فدخل
 بمخالبه بين معتزك الفرسان فلم يتم له مراد . وانفرد المرحوم محمد باشا
 بأمور المملكة وأخذ في تهديد البلاد . وقمع أهل الفساد . وأغرى بين أولاد
 شوق وسلط بعضهم على بعض ، إلى أن حاربهم من الأرض ، وانتقلت
 إلى الحامية فخرج إليها بمجملته سنة أربع وأربعين والفرار المثلثة
 في البحر والعسكر في البر وحشد إليها من جميع البلاد ، وكانت على نفقاتها
 سبع سنين وهي منجاة كما قدمنا لأولاد سعيد . وكان نزولها عليها يوم
 . . . من السنة المذكورة فنصب عليها المدافع والمنجنيقات وحفر الخنادق
 وأمر بقطع الخيل فقتلوا منه شيئا كثيرا وحاصروها من كل جهاتها وداوم عليها
 الحصار وكان تقدم منه إندار لهم مع المرابطين وأمنهم فلم يبق شيئا فعند
 ذلك أقسم أنه لا يرحل عنهم أو يحكم الله بينهم وبينهم فناوشهم القتال
 وجعل العساكر نوبا في مقابلتهم وداوم بهم الحصار وضائق عليهم ومات من
 الفريقين خلق كثير ، وجاء إليها المدد من إخوانهم المتمردين فلم يجد نفعا
 لكبير منهم ولا صغير . ومع ذلك كان يباليخ في إرسال إليهم بالاعذار والانداز
 ليقيم الحجة عليهم فلم يزدتهم إلا طغيانا . كأن لكل متمردهم شيطانا .
 وصكانت الحامية هذه في غاية من الحصانة ، ولاهلها خبرة بالحروب
 ومكانة . وهي في مكان منيع والنخل محقق بها . ولها خندق دائر من
 كل جهاتها . ولما نفذ القضاة دارت عليها الدوائر وكان المتعصبون يقولون
 لو مكث عليها عدة أعوام . لن يتيسر له بها مرام . والأقدار مخالفة
 للظنون . وما قدر الله به يكون . فداوم عليها الحصار ، والقتال لا يفتقر
 بينهما في الليل والنهار ، وهم كل يوم في مدد مزيد . وتتمرد من غواية
 شيطان مريد . ولا مير يستخدم في الرجال . ويجود بالمال . إلى أن يسو
 الله عليهم بفتحها . وانتقلت له بعد جمعها ، فقتلت رجالها ، وسبيت

نساها ونهبت أموالها . وبيعت أولادهم بيع الرقيق . وصبغت صخورها
 بدماء أهلها صبغ العقيق . وخرّب المساكن . واجلا منها المساكن . وكانت
 وقعتها مشهورة . وأخبارها بين الناس مذكورة . ولما تم له ما أراد منها .
 آمن الذين هربوا عنها . وأمرهم بالسكنى خارج البلد . وضرب أهلها بسيف
 الغزو بعد سيف الحد . وأذعنوا لأداء الخراج . ودخلوا في طائفة فاجراهم
 على أحسن منهاج . وكان هذا الفتح أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين
 والف . ولما سمعت بهذا الفتح جيرانها من البلاد العاصية . جاءتهم الوفود
 مستأمنين من البلاد القاصية . وشاع ذكره بين البلاد . وعم اسمه الحاضر
 والباد . وصارت له سمعة عند أهل الطلق . وطار خبر أخذ الحامة في
 كلاف . لأنها مكثت نحو سبع سنين حمادية في هلالها . واستصعبت
 عن غيره إلى أن أخذها وكان من فحول رجالها . وكان جبل وسلات قد شخ
 بأنفه في هذه المدة . فلما بلغه ما حل بالحامة لانت صخورها بعد الشدة .
 ولما تم هذا الفتح رجع إلى حصرتة العلية . وقد سار الرعب في قلوب
 الرعية . وعلم أن طالعهم أخذ في الصعود . وطالع أعدائهم في السعد الذابح
 وهو في سعد السعود . ثم تهيأ لأولاد شنوف وقاومهم بالكفاح إلى أن أنزلهم
 من صياصيمهم . وقتل جل رجالهم وجلا باقيهم وجز نواصيمهم . وما زال يشبع
 فلهم واحدا بعد واحد إلى أن أفناهم ولم يبق منهم بقية . ومن نجا بنفسه
 ضاقت عليه الأرض وطلب منه الثقية . وكانوا قبل ولايته متغلبين على
 الكاف ورعيته وهم أهل التنتة بين العسكرين وقد مر بعض أخبارهم .
 وكان من تقدمه من البايات عاجزا عن أن يحل بدارهم . إلى أن يسر الله
 لهذا الأمير ما لم يتيسر لغيره . وفتح له كل صعب ورزقه من خيرة .
 واحتوى على ما كان بيد أولاد شنوف . واجلاهم من مساكنهم وديارهم
 وأنزل من تبقى منهم منزلة الخوف . ولم يبق شيئا من دارهم . وكانت لهم
 سمعة في البلاد بين عرب إفريقية . وتحكموا في وطن الكاف مدة من
 الأعوام وجبوا الجبايات من الرعية . إلى أن فلبهم . ودخلوا تحت أمرة

واذليهم . فدانت له منذ ذلك جميع العربان . وحلث بهم الفاقة ونزل بهم الهوان . ثم التفت الى اولاد تقيس . الذين لم يكن لهم رئيس الا ابليس . فاحذهم بمكرهم ولحق اولهم بأخروهم . الى ان قطع دابرهم . فمكر عليهم بغزوات متواترة . الى ان جعلهم في الحضيض لا يهد رفع الله بما فعله بهم درجاته في الاخرة . فمارسهم المرة بعد المرة . واننى عليهم بمحالة الكرة بعد الكرة . الى ان اذاقهم الذل والهوان . وفك ما بايديهم من جباية الاوطان . وحل بهم الصغار . والزهم اداء الدرهم والدينار . وصاروا يفزعون من انتسابهم الى النسبة السعيدية . وان سئل منهم احد عن نسبه فر الى النسبة اليهودية . وتشتتوا بعد اجتماعهم . وركنوا لاداء الخراج بعد امتناعهم . وتفرقوا ايدي سبا في الخسافين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . وامن الله البلاد والعباد . وقمع بهذا لامير اهل البغي والفساد . وامنت السبل في ايامه من الاغاث العادية . وصارت الطعنة في ايامه رائحة غادية . ولو لم يكن له من المزايا الا قطع هذه الطائفة الرذيلة في ايامه لكانت له من اعظم المنصائل . ولو توصل بها في الدار الآخرة لكانت من اكبر الرسائل . ولم تنم لهم قاتبة مدة حياتهم . الى ان بعثوا من قبور الذل ولكن بعد مماتهم . صلى الله ان يقطع دابرهم . ويهلك اولهم وءاخروهم * ومن وقائع الباشا المذكور ادخاله عرب ورضعة في محلاتهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم من اجداد العرب فادخلهم في طائفة . ونظمهم في سلك اهل جبايتهم . ولهم خبر يطول . ويعجز له الوصول * ومن فزواته المشهورة ووقائع المذكورة اخذه لجهل مطماطة وكان مستمرا على النفاق . فخرج اليه بمحلاته سنة سبع وأربعين وألف واقام فيه الحرب على ساق . فلزمه بالحصار . وضيق على اهله من جميع الاقطار . الى ان سلخوا له باداء الخراج عن رؤوسهم . ورضوا منه بالامان على اهلهم ونفوسهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم انهم اهل حرب ومنعة . واستعصموا بجبلهم الذي لم بين الجبال رفعة . واداء البربر الذين كانوا من اهل جالوث . فسلط الله على ءاخروهم هذا لامير

كما سلب على أولهم طالوث ، وبنى في جبلهم حصارا ، وجعل فيه انصارا ،
والزبهم من الخوارج ما طابث به نفسه مدد السنين . وعطف بعنانه
وقابل قوما آخرين . ومن وقائع المشهورة التي اذقت اهل ميدون
المرار . وفعل بهم ما فعل بغيرهم والزبهم البوار . بعد ما كانوا متحصنين
بجبلهم ويصعب الوصول اليهم . ولا تسمح نفوسهم بشئ من الاداء إلا ما
هان عليهم . لان جبلهم في شاية الحصانة . ولهم به قوة ومكانة . فنزل
عليهم بخيلهم ورجلهم . وضائق بهم الى ان دائروا له وداس جبلهم برجلهم .
وسبى منهم النساء والاولاد . بعد ما قاتلهم وقتل منهم واباد . ودخل جبابهم
عنوة . وقطع منهم السدة والنخوة . وعفا عن بقيتهم بعد ما ذهل كل خليل
عن خليله . واجراهم كاخوانهم مجرى الاداء وسيلهم . وذلك في ايامه العربان
والزبم الصغار لمن كان له منهم شان . مثل اولاد امي الليل الذين كانوا
في زمن بني امي حشش اهل حل وحقد . فاهانهم الى ان سمحوا باداء
الماشية والنقد . وكذلك اولاد حجرة واولاد صولته . وغيرهم ممن كانت له
شوكته وصولته . ولازم مدة حياته في تتبع اثارهم . الى ان محاذركم
واخلي ديارهم . وهؤلاء ممن كان يشق العصا في السابق . فللزبهم الاداء
الى ان اتصل لاول باللاحق . وهذه الطوائف ممن افنى ابن ناجي بتحريم
مبايعتهم الاث الحرب . وكذلك البرزلي قال عرب افرقيته اهل حرب .
وكذلك الشيخ اللعاني ضرب بهم المثل قال المحاربة من عرب افرقيته
وبالجملة فان صرهم كثير . وهم من الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ولا
ينبتك مثل خيبر . فحسم الله هذه الطوائف الخبيثة في ايامه . الى ان
صار المسافر يتوجه حيث شاء ببطائشهم يهز باكمامه . وامنت السبل
والطرق . وانقطع المتعبد والطغاة . ودانت عرب افرقيته ولزبهم الدين .
واستعرت عليهم الجباية في كل حين وحبان الحين . ولم يهد رسوم عرب
اوطانهم . وجعل كل واحد منهم مستغلا بشانه . النفث الى مظالم مشائخ
العربان . مثل علي بن عبد الصمد وولده من بعده ابي زربان . فشاركهم في

عربهم ، واجلاهم عن معانهم واطنانهم . وشنتهم في القفار . واخلى منهم
الديار . واصناف دريد الى رعيته . واحسن للحسن منهم والزم الجاني
بخطيتهم . وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جملة رجاله * ولما
هزم على ممارسة قبائل العرب شرع في تزييل فرسانهم . فجمع منهم
عددا وجعل كل زمالة في قج من فجوج اوطانهم . ولكل زمالة رئيس من رجاله
كالقائد حسن المنتسب لحسين باي وهو اشجع رجاله وعقبه موجود وهم
جماعة من اولاده واحفاده كلهم معدودون من فرسان العرب وسياتي ذكرهم
والقائد علي الحناشي مقدم زمانه ايضا والقائد احمد الرقيعي هولاء مشاهيرهم
وغير من ذكر كثيرين وركب عدة رجال من صكر زاوة يقال لهم الصبايحية
وجعلهم بركابهم حيث سار يسيرون . وجعل صبايحية اخر وقرر سكناهم
ببلد القيروان وجماعة منهم ببلد الكافي وجماعة ببلد باجة لتأمين الوطن
فامتت الطرق في جميع بلاد * ومن اشهر سعادته ممارسة لطايفة العرب
في وقتهم الشيخ خالد بن نصر الحناشي . وكان خالد المذكور اشهرهم
سمعة بين قبائل العرب ولم منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر
طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بانفتته على العائلات التونسية ويبتد
في وطنها لانه مجاور لها ويتعرض الى محلتهم فيستكفون شدة ويهادونه
بالهدايا الى ان قبض الله له هذا البطل الهمام فتنادى على مدارسته الى
ان هزمه سنة اربع وخسين والى بمكان يعرف بصراط . وهي واقعة
مشهورة وكان تعرض على الوادي وحال بين الماء والمحلة فزاجته فرسان
الرجال . وكان ازعمهم في ذلك اليوم القائد حسن وظهرت منه شجاعة قوية
ضربت بها الامثال . وهو اول من باشرة بالحرب فرحل عن الماء ضوة
بعد قتال شديد وانهزم هزيمة شناعة ولم تلم له بعد ذلك قائمة مدة
حياته واخذ يلاطفه ويهاديه ويهادنه ولم يكن له ذكر بعد ذلك . ولم
يمت الباشا حتى خدم ركابه اولاد خالد المذكور ووقفوا ببابه واحتاجوا
اليه * ولما سارت هذه السمعة بين القبائل من العرب خافوا من سطوته

فأذنوا بالطاعة وجاءته الوفود من كل مكان وهادوة على قدر مراتبهم وأتوه من جميع الجهات بالتهنئة ودانت رعاياه وبلغ مناه واقفل اليه شعراء العرب وشعراء الحواضر والتمدوة اشعارهم واجازهم الجوائز السنية وانتشر ذكره في الافاق الى ان طبق الوجود ولم يسبق حي من العرب إلا وعندده خبير من سعادته فتكتمش كل متمرّد بعد ذلك ورد كل شيخ من العرب ان يكون مملوكا . وكذلك شيخ مشايخ العرب الذين في ناحية الغرب الشيخ ابن علي دخل في سلك الجماعة . ولم تسعه إلا الطاعة . وكان من المتمردين على عسكر الجزائر وهزمهم مرارا عديدة * فمن سعادة الباشا المرحوم انه كان يتصرف من اذنه مدة حياته . وأوصى بأولاده اليه بعد مواته . فكان لا يتشيخ احد منهم إلا بعد مشورته . واذا اصابهم ضيم دخلوا في مائه * ولما دانت له جلته هذه الجبابة وصفاه زمانه حمد رعيته على احسن طريق . وانقطعت قلوبهم مع بعد اوطانهم من خوفه الى ان صار كل مسافر لا يحتاج في سفره الى رفيق . وربما سافر عدة ايام وليس معه إلا زاده وبضاعته ولم يلف من يتعرض له في الطريق . وامتدت المسافرون في جميع الافاق . ولم تكن مدة حياته قبيلة من العرب تميل الى النفاق * ولما ساعدة القدر على مراده حظ بكلكمه على من اراد ان يكون من اصداؤه . وذلك ان جماعة من اكابر الحاضرة والقواد كانوا يريدون التنقص من ايمته . ويخطاؤون الى وثبته . والقدر يقول له انت امير دولتنا . تصرف بما اردت انك باعيتنا . فرد عزمه الى اهل البلد وبدا باكبر قولدهم القائد عبد الله بن خوران وهو اذ ذاك قائد القواد فصادره واستصفى ذخائره وأمواله بعد ما كان متكرفا عليه . فدخل في طاعته وجث بين يديه . ومن كان يأنف من مقامه . ويأبى ان يكون من خدامه . الشيخ مصطفى شيخ لاندلس مكث عدة سنين في انحرافه وخلافه فاذاقه هوانا . والبسه من ثياب البذل الوانا . واستصفى جميع ما كان له ومات طريدا في غير وطنه * وكذلك شيخ حرب طرود الشيخ صالح اخذه مثل ما اخذ غيره . ودمر ذكره واستصفى خيرة . ولم له الامر وما بقي له

منازع في دولته ، وهلك عدة روساء ممن كانوا في خدمته ، مثل الصنادل
الذين هم كتابه وأبي القاسم القفصى وعلي هو كل هؤلاء من المخولين
في نعمه لما كفروا بها أخذهم أخذه رابية واسترجع منهم ما كانوا اقتنوه من
أموالهم ولم يبق في المملكة إلا من كان مطاعا له ويتصرف بأمره ويتف
مند حده ونال سعادة لم ينلها أحد ممن تقدمه من الماضين . وجلس في
رتبة تضاهي رتبة بني أبي حفص وكان يعد من السلاطين . وتصرفت
المملكة من نهيه وأمره . ونال ما لم ينله أحد في دهره ولما صفا له الوقت
من أقرانه ، وخلف كل أحد مشتغلا بشأنه ، نادى لاهل زمانه هل من
مبارز فلما لم يجبه أحد جل الدهر على كاهله وتصرف كيف شاء . والله
سبحانه وتعالى يوتي ملكه من يشاء . وكانت مجاله السعيدة إذا خرجت
كعادتها لم يكن لأهلها تعب وكانهم يتنهضون في العمالة والأموال تجي بلا
تعب وأكثر مغيها يحسون يوما * وهو أول من اتخذ قاصيا لمجالته كعادة بني
أبي حفص واتخذ الكروضة لوفادته السفر وشالب أحكامه لا تخرج من
أحكام الشرع إلا ما تدعو إليه الضرورة من قمع فساد أو سد ذريعة مما
يستحكم بالقوانين . وتخرجت من مزايله عدة زعماء لا يحصى عددهم كل
واحد منهم يعد من الملوك وجاءته التشاريف الملوكية . ولاوامر الخاقانية
وطار صيته في البلاد الرومية . وبعث الهدايا الجليلة إلى الأتاب السلطانية .
وهاجر إلى حضرته العلماء والأدباء وجاءه كل طالب برحق من البلاد
الحجازية . وانتشر ذكره في جميع الأفاق . وهادوه من مصر ومن الشام ومن
العراق * ولما تم له ما أحب من دهره تاق نفسه إلى الرتب الملكية .
واراد أن يتظم في سلك الفرائد السلطانية . فطلب من الباب العالي منصب
الباشوية . فبعث هديته حافلة لم يدخل من الغرب مثلهما للديار الرومية .
وعرضت على الحاضرة العثمانية . فسيرت له الخناع الخاقانية . وكانت
هديته في ستة ثمان وستين ألف صحبة ابن كليان فكانت يضرب بها
المنل وبلغه التخليد في أواسط رجب من السنة نفسها ودخل إلى الحاضرة

ببشارة السلطنة * وكان يوم دخوله يوما مشهودا تباشرت به اهل البلاد
وباشروا الولاية على اكمل حال ولم تقع في ايامه مظلمة مثل ما كانت في
زمان غيره ، وشمل الناس بعدله وخيره ، ومدحته شعراء وقته ، والذاب كلا منهم
عن قدر مرتبته ، وتمشت المرتبات على احسن حال وكان الناس في ايامه
في هناء لم يروا مثله ، وايامه حدث من حسنات الدهر تقبل الله منه معيه
وفعله ، واستمر في منصب الباشوية الى سنة ثلث وسبعين والى ثم بعث
الى الباب العالي واستغنى من المنصب وجله فقبل منه وفعاه عنه وكان
خليفته بالباب في رتبة صالية وله الشفاعات عند اهل الدولة وكل ذلك
بهمة استاذة ، وبعد انفصاله عن الباشوية طلب الراحة لنفسه وكان
سابقا تخلص عن جميع بلاد لاولاده وقسم بينهم المناصب فقدم ولده الاكبر
مراد باي على المحال وخارجها وجعل بيد اخيه الذي يليه وهو ابو عبد
الله محمد باي صنجق القيروان وصنجق سوسة والمنستير و صفاقس وجلمة
رمياهم ، والمذكور هو باسا زماننا ، وميائي لم خبر بعد هذا وقدم ولده
حسنا على صنجق افرقية وكلهم تسموا في حياته وتلقوا بالباب البايات
وكل واحد منهم له صيت وسعة ولم يخرج من الدنيا حتى راي ماسرة
من بنيهم وبني بنيه وتلقب بنو بنيهم بالبايات في حياته ولا زال متماديا
في افعال البر والاحسان ولاخذ بقلوب اهل العلم والصلاح وتن اصابته
فأثبته من اهل البلاد يا بما اليه فياخذ بخواطرهم ويتجاوز من هفواتهم إلى
ان لحق بالله تعالى وكانت وفاته رزقا على اهل تونس سألحه الله بمنه
وكرمه ، ولندكر نبذة من مآثره التي بقيت بعده على سبيل الاختصار ولو
تبعناها كلها لاحتاجت الى مجموع مستغل فمنسبها تشييده منارة
الجامع الاعظم ببناء ضخيم وجعل في اعلاها درابز تضيئ الموزنين الحر في
الصيف والبرد في الشتاء وجعل رخامة تقابل الناظر اليها ، ومزبورا اسمه
عليها ، وتاريخ البناء بابيات من انشاء كلاديب الشريف السوسي *
ومنسبها الحنايا المجلوب عليها الماء من مسافة بعيدة من عابار قصة

صاحي بها الحنايئة القديمة في ضخامة البناء وانفق عليها أموالا لا تدخل تحت حصر وتم بناءها في عدة سنين وادخل ماءها الى المدينة وفرقه في اوقافها واقف عليها اوقافا للقيام باصلاح ما يتعطل منها فانتفع بها الناس لما أنها في هذا الوقت تعطل بعضها من شدة الفتن * ومسن حسنة انشاء المستشفى بحومة العزافين وفيه عدة بيوت في اسفله واحلاه للمرضى وجعل له اوقافا للقيام بلوازم الذين يحلون به منهم وخدمته يخدمونهم وطيبا ينظر في علاجهم وما يحتاجون اليه من اشربة وادوية ومن طعام وكسوة وفراش وغير ذلك وجعل له ناظرا ينظر في اوقافه وهو اليوم جار على احسن اسلوب تقبل الله منه * ومسن حسنة بناء الجامع الذي بازاء تربته مقام الشيخ سيدي احمد بن عروس نفع الله به وكان موضع دورا فاشتراها من اربابها بثمن طابت نفوسهم به وبلغه شيء كثير وبناءه في غاية الحسن والضخامة بحيث لم ير في المغرب اسر منه وضخامته ثني من ضخامة بانيه واقف عليه اوقافا جليلة لامامه وللمؤذنين والقراء وما يحتاج اليه وجعل فيه مدرسا للعلوم الشريفة وجعل امامه من السادة الخفية تقبل الله سعيه . وجعل فيه تربة بديعة وهي لم تكمل الى اليوم ونقل اليها جثة والده وقبره بها ومن مات من اهل بيته وبقيت فيه اماكن لم تكمل الى زماننا هذا قابله الله باحسانه * ومسن محبته في الفعل الجميل ما سارت به الركبان افتكاكه المراكب التي اخذت للجزائريين من ايدي النصارى المرة بعد المرة بمال جزيل وانعم على الماسوريين وكساهم واحسن اليهم وصرفهم الى بلادهم وعدة اسارى ممن سواهم بعث بطلبهم من بلاد الكفر وخلصهم * وكذلك احسانه الذي كان لاهل القيروان في كل سنة يفرق بين صغائهم واهل البيوتات منهم * ومن سخائه وعلو همته انه سحبت نفسه في يوم واحد بما قيمته مائة ألف دينار وهي الواقعة التي جرث بينه وبين سليمان باي عند محاسنهم اداء واخذ منه العياطة والزندالة والسانية التي كانت لبني ابي

حدث في رأس الطائفة فسمح للجميع لاجد خوجه الذي كان سردار العسكر في ذلك الوقت * ومسن المائر التي بقيت من بعده ما اجاء من منازل باردو وشيد بها القباب الرفيعة وزاد على ما كانت عليه في ايام الخفسيين فمن شاهدها حكم بعلوشانه على من تقدمه وكان موكبه بها كمواكب السلاطين ويحضر موكبه في سفرة وحضرة جماعة من المغنيين والمهيين والعلاء والمتكلمين والشعراء والادباء ويجلسون في مجلسه على طبقتهم ولهم جوائز سنية ومرتببات سنوية تزيد على الخمسين الفادون ما يتبعها من هدايا وملبوس وهذا غير ما يصرفه في مسكرة واصلاح شأنه وما يحتاج اليه اهل بيته وعلمائه وحشمه واتباعه ومرتببات اجناده وهذا شيء لم يسمع به لاحد في اقليم المغرب * وبعث بصدقائه الى الحرمين الشريفين وجاءته جماعة منهما فلحسن اليهم وكان فضلاء الحضرة يحضرون محله وقت اقامته بتونس وجعل لاهل القيروان صدقة سنية وكان يميل بيرة ورافقه عليهم ومن اهل سيوة من كان يقد اليه في غالب السنة ، ونال وجاعة عنده مفتياحا الشيخ ابو العباس احمد عرف العلي والشيخ ابو عبد الله محمد عرف العروي وهو شاعره ومادحه له فيه وفي ولده القصائد الطنانة ، وكان اديب وقته وشاعره من غير مدافع ، وكان يحمله ويحسن اليه ويانس به ، وللشيخ المذكور ولد نجيب قدمه والده في حياته للفتيا وكان يروي مسند البخاري بحضرة والده في مجلس الباشا في السنة التي مات فيها وقد ابتدا به مرضه فكان يحضر الاستماع للتبرك بالمحدث الشريف وبه ضعف وهذا من حسن فية بحيث ختم عمرة بهذا الختم الشريف ختم الله له بخير الاعمال * وربما فاني له بمحاسن اخرى غير هذا الموضع عند ذكرنا محاسن تونس وخاتمة هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * ومات رحمه الله في شوال سنة ست وسبعين والف وحمل على الاعناق وكان له مشهد عظيم ودفن في ثربة والده في جامع الذي بناه وكانت وفاته رزقا في المدينة ساعده الله وشفاه عنه * ومنهم لاسر ائمتهم ، وصاحب الفخر لاسم ، قاض الخرددين من اهل النساد ، المرحوم

بهرجة الملك الجواد . ابو النصر مراد باي انشرد بتدبير الاوطان بعد وفاة والده المرحوم وكان تخلى له منها في حياته ولما توفي والده تم له الامر . وكان صدرا من الصدور تمام القامة بديع الشكل اشهل العينين واسع الصدر بعيدا ما بين النكبين علامات الملك ظاهرة على شمالك من رءاه ادركته حبيته منه ردا بتدبيره لا يشك على احد قد تروى في نخوة الملك من والده وله سطوة وصولته قامعا للاغراب لم تقم لاحد منهم قائمة في ايامه متشددا لاحوال ريشه ظاهره من عاداه مهد البلاد كتمهيد والده واجرى الامور على عادته يحب الصيد والقنص ومكافة جهادات الخيل وهي حنكة من افهم الفرس ولم تجر في ايامه حادثة تفكدر منها النفوس إلا الواقعة المشهورة التي يعبر عنها بواقعة الملاسين والتي قبلها الواقعة في تغيير دولة شعبان خوجه لما اراده الله تعالى من تغيير النعم . وبهذه الواقعة انفتحت ابواب الفتن . واجدا اهل تونس الشدة والباسة وصدروا بالجن . ونذكر بعضها على وجه الاختصار . وذلك ان الباي المذكور لم يكن له اهتمام إلا بامور الرعايا التي في الاوطان . ومدير المدينة واهلها على مثل ما سبق هو الدولاتلي والمستولي في هذه المدة الحاج شعبان داي وقد تقدم ذكره فاغراه بعض الاعداء من اتباع الباي ومن كان تحت نظره . وقصد سولت له نفسه ان يقوم مقامه فانفق مع جماعة وحسنوا للداي المذكور ما لم يكن حسنا ولا راد لاهواله وانتقت اراؤهم الفاسدة على الفتك به وذلك موجه الحسد لما خوله الله من خيرة واطلع على ما اضمرة من الشر وكتب اليه بعض اصدقائه بالخبر فلما ثبت عنده ما اضمرة رجع بمحلفه كعادته وكتم سره ولم يظهره إلا لمن يشق به من بطانته . ولما قرب من المدينة بهرجة خرجت وجوه الناس كعادتهم الى لقائهم وخرج ابن احد خوجه واجد بن القائد جعفر وهو احد مماليكهم وثبت عنده انهما اصل الفتنة وهما اللذان اغريا الداوي فلما سلا عليه قبض عليهما ورجع بهما الى محلفه فلما شعر الداوي بذلك علم انه المطلوب فبعث جماعة من اكابر دولته يعتذر الى الباي وانه

ما اراد شيئا وانها اخبار كاذبة وحلف بايمان ولا امر ثقرر بخلاف قوله فلما وصلوا الى المحلة التقى بهم واعلموه ما ارسلوا به له فاجبرهم بدلائل قاطعة فانفق معهم على خلعهم فخلعوه بين يديه وقدّموا هنالك من اراد وهو الحاج محمد متشالي وبايعوه بين يديه ورجعوا به الى تونس وعند وصولهم القصبة دخلوا على الداي الحاج شعبان وخلعوه واخرجوه وجلس متشالي مكانه وكفاه الله شر ما ارادوه ودخل الى حصرة تونس مريدا بجورا فخافته نفوس اعدائه وتصرف في البلد بنفاذ الكليّة وتيسر له ما لم يتيسر لآبائه * وبعث باين احد خوجه الى بلد تستور وجسه هناك ففر من محبسه وابن القائد جعفر ارسله الى بلد الجريد فكان ذلك * اخر العهد به * وهذه الواقعة سنة ثلث وثمانين والى ولما اطمأن بحصرتهم احسن الى وجوه اهل الدولة وفرق فيهم اموالا واستجلبهم وطيب خواطهم واطمانت نفوسهم والتجأ اليه محسنهم وخافه مسيئهم وتصرف كيف شاء ونشئت الامور على ما اراد * وخرج في السنة المذكورة كعادته الى بلد الجريد لجباية الخراج فجاءته الاخبار ان اهل طرابلس وعسكرها قصوا عن باشاهم وحاصروه في قلعتها الى ان مات بها وانه اوصى باولاده الى الباي المذكور فسار الى طرابلس ليكشف الخبر فخرج اليه عسكر من طرابلس فاعذر اليهم وحذرهم وانذرهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وقتل اكثرهم واسر باقيهم فعفا عنهم وجاءته مشايخ البلاد والمرابطين وطلبوا منه ان يرجع عنهم ولا يتعرض لاحد بمكره فقبل منهم ورجع الى بلاده * وانتشر الخبر فخافته نفوس اعدائه * واضمر له اهل الشر في قلوبهم داء فعجل لهم بدوائه * وذلك ان جاعة من العسكر زرع الله في قلوبهم الحسد على ما رزق من النعم * وارادوا المكر به كما فعل الذين من قبلهم فغوبلوا بالنقم * فانفذوا في غيبته هذه ودخلوا لقصبة البلد على حين فتلوا واخلعوا الداي الذي بها واجلسوا عوضه دايا * اخر وهو الحاج علي لاز وقدم ذكره وتعاقدوا بينهم على الكر بالبايات جميعا وبوم ثلثينهم كان يوم الثلاثاء وهو يوم دم واول يوم من المحسوم فابقيت اهل اعتقل

باراقته دهم ، وحكمت بحسبهم * ولما فعلوا ما فعلوا خرج المكرم محمد باي
ولحق بأخيه واتزر بعضهما ببعض ورجعا الى بلد الزوارين من ناحية الكافي
وبعث الحاج علي لاز يحاذيهم فلم يفده شيئا فعند ذلك امر ان تنهب
ديار البايات فدخلوا من متاعهم ما قدروا عليهم وصارت هرجة في المدينة
وخرج الى الباي جماعات ممن ينتمي اليه وكرة الناس هذه النازلة لما وقع
بسببها من الفساد في المدينة واستعظموا الامر * ولما فعلوا هذه الفعلة قدموا
على انفسهم محذرة اغتروا وجعلوا مقام الباي وركب في الاسواق وطيف به
وجلس في بعض منازلهم واخذ يستعد لحربهم وبعث الى طائفة من العربان
واستنصر بهم وخرج بعجلته ونزل بالمالسين وبه سميت واقعة المالسين وهو
المكان الذي في طريق سيحون فبعث اليهم الباي يحذرهم على فعلهم فلم
يرجعوا عنه لانهم جماعة من اشرار العسكر وروساءهم لم تكن لهم عقول
للتمييز وغلبت اشرارهم اخيارهم فبعث الباي اليهم بعثا بعد بعث فكانوا
يخرجون كل يوم الى خارج البلد ويستنصرون معهم من هو على رايهم
وجاءتهم مشايخ العربان وسخروا بهم وهونوا عليهم الامر واخذوا منهم دراهم
وثيابا على الرحيل فلم يجدوا من يحملهم فلم تكن الا ايام يسيرة حتى اقبل
الباي اليهم باجنادة وزمولة ونزل بمقربة من سيدي علي الخطاب وتاهب
لقتالهم فلما سمعوا به استنصروا بقية العسكر وخرجوا الى المكان المذكور واخرجوا
مدافع كانت معدة لهم وتقدموا الى مكان يعرف بعثة الجزار فطلعت عليهم
الخيال من ناحية الباي وكان الباي في مرادة ابقاء الحرب الى غد فلما انتهى
الجمعان وتناوشوا القتال لم تكن الا ساعة من نهار حتى ولوا على اعقابهم
منهزمين واخذت مدافعهم وانتعهم وقتلت منهم مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلا
فيما تقدم ومن نجا منهم دخل المدينة والتجأ الى القصبة بقية الجماعة واغلقوا
عليهم الابواب والحصون بها * وهذه الواقعة كانت يوم الجمعة في النصف من
صفر سنة خمس وثمانين والقب ومن غد أصبحت القصبة مغلقة الابواب واهل
البلد في حيرة لم تكن في حساب وماتت الامراب في اطراف البلاد وكان

الخطب جليلا . ويوم الاحد قدموا دايا اخر وهو الخراج ما مي جمل وبعضوا
اكابر العسكر الى الباي يعتذرون اليه فقبل منهم وامرهم باخراج الفسدين
من بينهم فبعثوا الى الجماعة المتحصنين بالتصبة فمخادعهم الى ان اخرجهم
ومشوا الى زاوية الشيخ سيدي محرز فلم يغب عنهم فاجروا منها وقتلوا . وتبع
الباي كل من ركن اليهم ولافعالهم وقتل اكثرهم وما نجا الا اقلهم واسترجع
ما نهب من امواله الا ما قل * وهذه الطائفة فعلت الاوابد وافسدت
وخربت ولم يكن فيها صاحب عقل وكادت ان تخرب البلاد لولا ان تداركها
الله بهذا النصر . وكانت هذه الواقعة عبرة لاهل العصر . وتدارك الباي
المذكور احوال البلاد فصرف عنها العرب الذين اتوا معه فردهم الى اوطانهم
وامن الناس على ما بايدهم وكفى الله المؤمنين القتال واقام بمنزله في
باردو واخذ يتبع اهل الجنائيات الى ان افنى بعضهم واجلا بعضهم وكتب
اوامر وبعضها مع جماعة من كبار العسكر الى الباب العالي وجاءه الجواب
على مقتضى مراده . ومن هنا زادت صولته وعلت همته وسافر في سنته الى
افريقية كعادته والامور الاحكامية تنفذ في المحصرة باوامره ومشورته وزادت
همته على من تقدمه من ابيه وجده . وزال ما لم ينله احد في افليم المغرب
بحزمه وجده * وفي هذه السنة اخذ اهل وسالات في الشقاق . واعلنوا
بالنفاق . وكان قد لما اليهم ابو القاسم الشوك لانه خاف من سطوة مراد
باي لانه تحقق عنده انه كان ممن وانس اليه . وساعد بعض اعدائه
سرا وكاتبه ومال اليه . فخاف على حشاشته نفسه . واحتصم بالجبل مع ابنه
جنسه . لان هذه الواقعة المذكورة كشفت احوال كثير من المتسدين .
واظهرت خفياتهم الباطنة فتعل بهم ما فعل بقوم آخرين . وكانت لها سبعة
بين اهل البلاد الغربية . واتصل ذكرها بالبلاد الشرقية . وكنت مدحمة
على ذلك بتقصيدة دالية فجاءت بسعادته على وفق المراد . وفترت بحصرت
على المسامع الشريفة وحليتها باسم مراد . وهي ازيد من مائة بيت استوفيت
فيها الواقعة من اولها الى آخرها . واظهرت اسمها واسم اخيه وولديهما وجعلتهما

وسطني جوارحها * واول القصيدة من محاسن ما يذكر بين الناس . وهذا
ان اذكر شيئا منها كما اذكر اسم المدوح ولا باس . اولها -
زمان الصبا هل له ان يعاد وان كان ماضيه لا يستفاد
وهل للشبيبة من رجعة ثقابلي بعد ذاك البعساد
وما زلت مستمرا في تغزلها . وشكاية الدهر وما فعلت الايام بامثلها ،
وتخلصت الى المدوح بقولي -

ولله من عصبته رقتسي بعدم ركاب وعدم الزاد
يسألني بعضهم في المسير الى اين قلت لقسم يبراد
ونطقته بعض ما في الصير وشاورت كلا على الانفراد
فقالوا نوم لبعض الملوك فقلت اصبتم فهذا مسراد
بتونس انسها قسدره فصارت كما قيل ذات العماد
أمير جيوش محال الهندا ورب الدنيا لجميع البسلاد
له همة بلغت للسهل وصورتهم عن ظهور الجياد
اذا ما علا اظهر الصافات يزحزح في الارض صم الجماد

ومنها -

ايا ملكا فاز بين الملوك والصد والمال جعا اباد
فلو عاش كسرى لهذا الزمان اطاع والقي اليك القياد
ومنها في ذكر ولديه النجيين

ولفرقدين به نسبة فلا تنس ذكر الكرام الجياد
محمد أحمد أوقائسه علي اخوه علي النجاد
هما كاليدين والقلبين كالنيرين لنفع العباد

ولو لا خوف الاطالة لاتييت بها عن آخرها * ومحدث بقصيدة لامير
الامير الاسعد ابا عبد الله محمد الحفصي واتيت بما يليق بكل واحد منهم
يحصلت الجائزة من الاخوين . جازاها الله بنواب الدارين . ولكل واحد
أكثر وحسنات ثلثي . وكلهم مستحق المدح والمدح لهم اولى . والله تعالى .

هو المشوك ان يذهب عن جميعهم الصير ويقبضهم لآفات . ويلهمهم الرشدي
 الماضي والحال وما هو عات . ولترجع الى بقية اخبار المرحوم مراد باي
 فلما تحقق عنده نفاق الجبل . اخذ في استعمال المكور به والحيل . وكاتب
 الشوك يخوفه ويحذره وهو متعمد على نفاقه الى سنة خمس وثمانين والـ
 خرج اليه بمحلتين عظيمتين واستشر جمعاً عظيماً من اهل البلاد وخرج اخوة
 معه بمحلة من صبايحته ونازل الجبل واداروا به من كل فج وبعثوا الى اهل
 جماعة من الثغراء والمشايع فلم يتفق لهم طاعة فعند ذلك امر بقطع اشجارهم
 وصايق بهم الحصار الى ان دهمهم وحل بدارهم ودخل الجبل عنوة . وقطع منهم
 النخوة . وفر الشوك امامه بعد قتال شديد . وقتل نفسه بيده وجيء براسه
 وما ربك بظلام للعبيد . وكان هذا الفتح في شهر صفر من السنة المشكورة .
 ورجع بعساكره ومحلته المنصورة . ويوم دخوله الى المحصرة عد من حسنت
 الايام . وعام سعيد على اهل تونس يفتخرون به على الايام . ودخلت المحال
 على كرتين . وقسمها بين ابنيهم الانيس . دخل ولده الاكبر المولى محمد باي
 بالمحلة في اول يوم ومن غد دخل اخوة المولى علي باي . وهي اول محلة
 دخل بها . وظهرت عليه ذلك اليوم سخائل الامارة والبها . ووقع للنس الشرجة
 في يومين . وعودت الناس الاميرين الانيس بناني انيس . ونشرت صلي
 وعوسها للاعلام الخاقانية . وضربت الطبول العنانية . وكانت هذه الايام من
 تمام السعادة . وبها ختمت حياته الى ان ختم الله له بالسعادة . وهذه اخر
 سفرائه . وعآخر ايام حياته . ولم تطل له الايام من بعد . وتحدثت من بين
 اقربائه ولايام مولعة بالنشد . وتوفي بمنزله السعيد بباردو في العشر الاواخر
 من جادى الاولى سنة ست وثمانين والـ . وحل على لاندق ودخل
 المحصرة ودفن في تربة ابيه وجده بجامعهم المشهور . وانفرد بعلمه بعد ما
 كانت عامرة به المنزل والقصور . وكانت جنازته حافلة وعلفت لا سواق
 وبكت عليه الناس . وبموته انفتح الخرق وجار على اهل البلد الشر والبس .
 عسى الله ان يرد كل خائف الى ماعنه . ويلهم ولد به المتولي منهما اصابه

وطهر أنه مجيب الدعاء * ومن محاسنهم رحمه الله تعالى أنشاءه مسجداً ببلد باجة من أحسن المساجد وجعل إمامه من الطائفة الحنفية وأوقف عليه ما يحتاج إليه ، وكذلك مدرستهم بديعة الشكل عند باب الربع بمدينة تونس واشتهرت باسمه يقال لها المرادية وبعضهم يقول لها مدرسة الثوبة لأنها كانت مسكناً للأجناد قبل بنائها ويقع فيها الفجور فغير رسمها لأول جعلها لذكوة ككتاب الله والعلم وبها إمام ومدرس وعدة بيوت للفاطنين بها ولهم مرتبت وأوقف عليها عدة حوانيت بازائها ، وأوقافاً آخر بحيث تكمل جارية أهلها ، وسئلت عن تاريخها فجاء بالجمل ، مدرسة علم أبيها الله على ما فعل * ومن فخامة قدره ، ما ساد بين الحنفيين بذكره ، الوليدة العظمى التي صنع لوادة الامجد مولى الفخر الجلي والتقدير العلي ، أبي الحسن المولى علي ، ولاخيه حسن باي أبي أخي مراد باي كانت من عجائب الدهر ، وتذكروا لاهل العصر ، صاعى بها الولائم السابقة لأبيهم ، وأرى في التجميل كعادة أسلافهم وزاد فيهم ، وكانت سنة ثمانين والثب واتفق الناس أنهم لم يروا مثلها إلا فيما سبق لأبيهم وتايه الأجاج حصل ، وعليها أن هذا الفرع من ذلك الأصل ، ختم الله لنا ولهم بالسعادة ، وأذا بهم المحسن على صنيعهم الجميل وزيادة ، أنه ولي ذلك والقادر عليه * ومن البايات الذين حصلت لهم الرئاسة وحصل الأجاج على تقديمهم إلى أن دخلتهم المنافسة ففاسى كل واحد منهما ما فاسى وهما الأميران الأجلان الأخوان الشقيقان اللذان رصعا لى السيادة من ثني واحد ، ولم يكن لذي مثل أن يفضل واحداً على واحد ، إلا أن الله في خلقه أسرار ، ويعلم ما جرحتم بالليل والنهار ، وأولا قدر الله الذي سبق في علمه ، لم يكن لواحد منهما أن يتزحزح عن رتبته ورسمه ، وإنما نبذة مما وقع بينهما إلى أن من الله تعالى على أهل الحاضرة بمن صالح بينهما وذلك يوم وفاة المرحوم مراد باي كان ولده الانجد أبو عبد الله محمد وهو أكبر ولده في العائلة كعادته لأن والده كان ينوبه في حياته وشقيقه أبو الحسن علي حاضر وفاة والده فلما سار إلى رحمة الله اتفق أهل أهل والعقد على توليته

كلاثنين لانيهما كالتيرين ولا فرق بينهما ولا فضل لاحدهما في السيادة والتدبير . الا كما يقال في المثل فضل الكبير على الصغير ، فسيروا له صحة اخيه جماعة من اثوات العسكر وصحبتهم خلع سلطانية واوامر شريفة بولايتهم جميعا وقرئت بالحللة على العسكر ولبسا السناريف وضربت الطبول ونشرت على رؤوسهما لاعلام الملوكة وتباعت الناس بهذه الولاية المنجدة فقام المكرم محمد باي بالامر احسن قيام . واستوفى خلاص رعيته على التمام ، ونفذت الاوامر على وفق مراد الآخرين . واستوفيا ما كان على الرعية من الدين . ورجعا الى حضرتهما في شهر رجب من السنة . فلما قربا من المدينة خرج اليهما الناس على العادة للتسليم عليهما واجتمع بهما من لا يخشى الله والقي لهما كلاما باطلا انفعلا منه وكادت ان تسكون ذنبت لولا لطف الله ومن غد دخلا في مركبهما على العادة وبأحلا بدار عزهما دخل المكرهون بينهما بالنميمة واطهروا لكل واحد منهما النصيحة واغروا بعضهم على بعض وكان بيان الغيبة على اساس فرادوا ان ينقص ففتح بينهما باب الفتن وجرت بينهما مناصمات في السر والعلن وكل منهما يذبح انه المبغي عليه . واراد كل واحد منهما ان يعلم ما له وما عليه . وطلب المكرم محمد باي ان ينفرد بالامر على ما كان في زمن ابيه عليه . وطلب اخوه المكرم علي باي ان يكون مشاركا له فيه لديم . وابتى كل منهما ان يسام كلاما لغيره فجرت بينهما مناجرة وتخاصم . وعال امرهما الى التحكم وحضرا بالديوان المنصور وتنازل بين يدي اكابر العسكر وصناديد بعضهم بعضا . واتفقا ان يسلما الامر الى عهدهما لاكبر فرصيت جماعة اهل الديوان بذلك وقدموا عهدهما . وجعلوا بيده التصرف في الحضرة والممالك فخالعت عليه خلع الولاية وركب بسعار السلطنة ونادى المنادي في البلد واعظم الناس بولايتهم فجاس بهاس حكمه . وخرجت الاوامر باسمه . وهو الاتجد الانجود المولى ابو عبد الله محمد الخنصى ابن المرحوم المولى ابي عبد الله محمد بن عبد الله المولى المرحوم مرجة المالك الجواد مولانا ابي الطاهر مراد بن عبد الله الجعيج .

ولما لم لأمراؤه أخذ في إصلاح شأنه وانعم باليهاب والصلوات على جميع من
يستحق احسانه فانفتحت نفس المكرم محمد باي من تقديم عمه وحكمهم سره
ولم يظهر لاحد خبره فعزم على الفرار من المحصورة ووافقه ابن عمه وبعض
جناحه وظلمانه وخرج الى طاهر البلد كعادته واخذ متوجها الى بلد الكاف
اواخر شعبان سنة ست وثمانين فجد في سيره الى ان بلغ الكاف . فكثر
في المدينة الاراجاف . وانقسم الناس واختلفت آرائهم واهواهم وتزايدت
الافوايل . واختلف القال والقال . ولما حل بالكاف اجتمع اليه خلق كثير
من كل الجهات فانعم عليهم واحسن اليهم واستخرج من ذخائر والده وانعم
على وفده وتجهز لمحاربة عمه . وكان من قدر الله انه قبل خروجه من المحصورة
اقبل الركب الهجاري وشيخ الركب محرز بن هندة وكان من رجال الدولة
في زمن الالفه فلما حدثت هذه الحوادث خاف المولى المحفصي ان يتفاقم
الامر فحسم المادة بان خلع نفسه ورد الامر الى حفيده وبعث الشيخ المذكور
الى بلد الكاف لاعمال ذات يمين فلما وصل الكاف حكم العداوة اكثر مما
كانت عليه وفي غيبته كثرت الاراجيف . وبقيت اهل الاهواء في كروفر
يعظم على الناس الفتن وتسامعت اهل المحصورة ان الباي غزا من الكاف
على باجة واخذ منها ما يستعد به ثم غزا الى ناحية القيروان واخذ شيخ
الزمانه احمد الرقيعي وقتك به وانه معول على المجيء الى تونس لمحاربة
اخيه وعمره . فلما سمع عمر بذلك خرج من المدينة وخرج معه ابن اخيه
المولى علي باي ليجمعهما امرهما ووقعت هرجة في البلاد وفي اثناء ذلك رجع
محرز بن هندة من الكاف فالتقى بهما وهون الامر عليهما وذلك بخلاف ما
في صحيرة فرجعا الى البلد وحلف لهما العسكر ان لا يفضلوا احدا على احد
ولكن من موافقة من اكابرهم . ورجع محرز المذكور برسالة غير لاوولي فزاد
بمكيدته في تأكيد الشر وترادفت الاخبار وتواتر ان الباي اقسم لا يدخل
البلد وعمره فيها او يقتل به وذلك في شهر رمضان المعظم من السنة فلما
صح الخبر عند عمر كره اراقة الدماء بين الشريفين فعزم علي الخروج من البلد

وهيا مركبا حل فيه ما يحتاج اليه وسلم ملكه ومتاعه وخرج بمن يليه وركب البحر من ناحية رانس ويوم خروجه تفتت لأكباد . وتطعت قلوب أصحابه من اهل البلاد . وكان الهول عظيما . ولا امر جسيما . ولا حول ولا قوة الا بالله كيف تفرق الشمل بعد الشامة . والعقد بعد نظامه . وهذا هو السبب في رحلته الى الديار الرومية . والقدر يحمله الى ان بلغ الى الرتبة الملكية . ورجع بشعار الباشوية الى الديار التونسية . وقد مر له خبر قبل هذا في غير هذا المحل ولما سمع خبيده بخروجه من المحصرة اقبل الى البلاد . بمن صحبه من رؤساء وقواد . فخرج غالب الناس الى لقائه . وخرج اخوه مع من خرج فغص منه واطهر له التسكر والتحد في باطنه اكثر وحل في منزله بهارديو وجاءه الناس وهوة . ثم وقع بينه وبين اخيه اتفاق على ما رضى . ولم يتم ذلك والزمر لاقامة ببعض قصورهم خارج البلاد وان لا يدخل المحصرة في غيبته وتبها الى المحلة في شوال سنة ست وثمانين وخرج تحت الصندق وسافر الى بلد الجريد على العادة . وفي غيبته تقوى الطاعون بتونس ومات من اهل بيته جلته من اقاربه واخوه لم يحضر جنازة احد منهم وماتت زوجته ولم يحضر جنازتها . والاخبار واردة بما تغيرت منه النفوس وفي اثناء ذلك مات عمها حسن باي ابن المرحوم محمد باشا فحضر المكرم علي باي في ذلك اليوم جنازته . وبعد ايام ظهر الخبر وذاع بين الناس ان المولى علي باي توجه الى ناحية الغرب لسبب تحقق عنده وخافه والله اعلم وسياتي بعد . واما المكرم محمد باي فاستخلص عائلته من الجريد ورجع من هناك الى افريقية ورجعت المحلة الى تونس وزادت الازاجيف من اهل البلد واضطربت نار الفتن . وخرجت المحلة الصيفية من سنة سبع وثمانين لاستخلاص الوطن لا فريقي . وفي تلك الايام وردت اخبار من الديار الرومية بان عمهما وصل اليها ووردت اخبار اخر اضربنا عنها فرجع المكرم محمد باي الى المحصرة واتفق مع اكابر الدولة بانهم لا يقبلون احدا من عمر واخيه . ومال العسكر الى قوله وعقدوا محضرا بجامع الزيتونة وانتشروا على

كلمة واحدة ، وفي أثناء ذلك جاء الخبر بان المحملة التي للصبايحية وكانت قريبة من عمدون اخذها تابع المكرم علي باي . وهو القائد مصطفى سبيول في عدد من الأعراب فخرج محمد باي من فورة من المسجد . وجد في سيرة ومن عند بعث برغوس أعراب لشمكن الأحوال ولكن الأراجيف كل يوم تزداد . ولما فرغ من أمور أفريقية توجه من هناك الى ناحية القيروان لانه بلغه نفاق وسلات فصار اليد بخيله ورجله وحاصره من كل جهاته . وبعث الى اهل الجبل جماعة من المرابطين فرضوا بالطاعة واداء المال فلم يقبل منهم إلا أن ينزلوا من حكمه فحاضروا من ذلك ورضوا بالموت في منازلهم ثم بعث الى المحصرة فامدوه بعسكر ثلث وذلك في شوال من سنة سبع وثمانين ورجع هو في أثناء ذلك الى المحصرة واستحكم من العسكر بما اراد . وغالب العسكر ممثل لأمرة ونهيه منقاد اليه احسن قيساد . ما منهم إلا من يفديه بنفسه . ورجع من فورة الى محملته وتتابع بعث رسله الى اهل الجبل ولم يتم له ما اراد فعزم أن يستاصلهم من اوله الى آخره فهبوا له هجوم بعد ما تراءت عليهم من كل الجهات . ودخل الى الجبل من طرق شتى ودم اهلها بما لا قبل لهم به ولولا ما سبق في علم الله لجعلهم دكا فلما توسط جل العسكر في الجبل ووقع الحرب بين الشريطين وكادت أن تكون الدائرة على اهل الجبل فكان من قضاء الله ان المكرم علي باي كان في الجبل بطائفة من جماعته . وكان قائده القائد مصطفى بكمين خارج الجبل فلما علم توسط العسكر في الجبل بادر هو الى المحملة وكان بقي بها جماعة ليحرسوا الامتعة التي بها والدواب فاءار عليها من خارج الجبل واخذ عدة من الخيل والجمال . وكاد ان ياتي على آخرها فحارب به ثلثين من العسكر ورموا عليه بالمدافع وظهرت له في ذلك اليوم شجاعة واقدام لم ير لاحد مثله حدث به من شاهدة . فلما سمع ثلثين في الجبل من العسكر حرس المدافع علموا بواقعة حدثت بعدهم فوجئت قلوبهم ودخلهم الرعب فدلوا منهزمين لا يابوي صديق على صديقه . لا ينظر شقيق الى شقيقه فركب اهل الجبل ادبارهم وقبلاوا عنهم متقلبة لم

يسمع بشملها ولم ينبج منهم إلا سن وثق باجله ومات شالب البروساء من
مقدمي العسكر وخليفة الباي القائد محمد بن علي وجماجم من فضلائها
وكاد الباي أن يقع في المكروه لولا لطف الله به ونجا بنفسه وخلّف المدافع
التي دخل بها للجبل في مواضعها ورجع الى الاخبيته بمن نجا معه ومن
شد رجع الى المدافع واتى بها ورجع راحلا الى القيروان . وكادت هذه الواقعة
تعد من الوقائع . وبها اتسع الخرق على الراقع . وكانت في ذي القعدة من
سنة سبع وثمانين والّف ووردت الاخبار الى المحصرة ولكن لم تشتهر بالناس
بين مصدق ومكذب . ثم بعث الى العسكر يستنجدهم فامدوه بعسكر ثالث
ولكن لم يخرج إلا والنشل دب في اكثرهم وخامرهم الرعب ولم تطمع نفوسهم
بالنجاة الى القيروان فلما وصلوا الى سن تبقى من اخوانهم من العسكر انتخب
منهم جماعة مستفيضه وبعث الى الجريد بحلة مشحونة وسردارها محمد
رايس عرف طابقي وقد مر ذكره عند ذكر الدايات كما سبق وقائده
الثلاث مراد وبقي هو بمحله وجاءه الخبر بان اخاه رجل من الجبل وانه في
جمع قليل قطعت نفسه بلقائه فاحتته وحن أن ما اصابه انما كان بادل
الجبل فجاء السير في طلبه الى ان لحقه بمكان يعرف بسبيسته وكان يوم
عيد لاصحاب العسكر علي بساي مقيم فلم يشعر إلا والخيّل اقبلت وخبرته
باخيه قادم عليه فاستدركت امردها جمع ودهمه اخيه بمن معه . وكان
شالب سن معه ادركهم التعب لعنف سيرة والتحتوا ابلا كثيرة فاخذوا منها
وبدا النهب من العرب كعادتهم . فلما امعنوا في النهب دهّمهم علي باي بمن
معه وجلوا حلة منكرا ومن كان في نجدته ذلك اليوم صبرة وشهيرة شيخ
العرب الشيخ سلطان بن منصر بن خالد وجماعة من الصبايحية فقاتلواهم
بنفوس ابيته والله يويد بنصرة من يشاء فام تمكن إلا ساعة من فهارحتي
همومهم . وسكان عسكر المحلة ادركهم التعب فلما وصلوا وبهم قوة غلبوا
المنهزمين نصبوا اخبيتهم وتحصنوا بها وبعث اليهم علي باي يامرهم ان
يدافعوا عن انفسهم خبيته منهم ما يقيم وقيل من الشرقيين وفر الباي بمن قدر

نعم . ورجسع الى الكنف وشم اصحاب الابدع علي باي ما خلفه اخوه وعجز عن حمله وكان شيئا مستكثرا لانه رفع في وجهته هذه من الذخائر ما لا يوصف فملئت ايدي العربان من المال ولا متعة . ولما انفصل الحرب بعث الى اكابر المحلة وامنهم وسكن قلوبهم ثم بعث جماعة من اصحابه ممن يثق بهم الى المحلة المتوجهة للجريد فاستوثقوا بها وجيبت المجاني باسمه . ولما تيسر له هذا التلج بعث بالخبر الى تونس فكان وصول الخبر اليها يوم ثالث العيد فزاد الهول على اهل الدولة واختلفت آراؤهم ولم يفتح لهم باب الى ان هياوا جماعة من اكابر العسكر وبعضهم الى المحلة وبعضوا جماعة من العلماء والمفتيين فكان من امرهم ما سبق ذكره من خلع الداي الحاج مامي جل وتولية الحاج محمد يشارفة . واحتوى المكرم علي باي على منصبه وتصرفت الامور من اذنه وهذه اخر محلة خرجت في تصرف الامير محمد واول محلة دخلت في طاعة الامير علي ولم يزل المكرم محمد باي بعد هذه الواقعة متخططا في الغبرات . طالبا اخذ الثارات . واخوه مقابل له في ذلك . متعرض له حيث توجه من المسالك . وكل منها له وقائع تذكر . وصولات وسطوات لا تنكر وتذكر . الى ان اصلح الله ذات اليبس . وجمع كلمة الاخوين . بعد ما كان بينهما حرب ولا حرب الاخوين . عسى الله ان يقيهما الحوادث . ولا يدخل بينهما ثالث . ان شاء الله تعالى * ومن البينات الذين شاد ذكرهم في الامصار . وانتشرت اعلامهم في هذه الديار . الامير الشهير الاسد الصرغام . والبطل الهمام . صاحب القدر العلي . ابو الحسن المولى علي . باي البلاد التونسية . المتصرف في المملكة الافريقية . احسن الله اليه . واجرى الصالحات على يديه . وهو الذي سار ذكره في الافاق . وترنم الحداة باسمه وحلا ذكره بين الرفاق . وحل في رتبة المعالي في سماء العز واشرق تشاه شروق النيرين . وارتفع محله الى ان صار قطب المملكة التونسية وعلا على محل السهي والفرقدين . وبلغ من السعادة ما لم يبلغه ابوه وجده . وبذل وجهه في طلب العلماء وركب لاهوال وساعدة جده . وخاطر بنفسه في

ركوب الاخطار . ولم يكل عزمه في طلب السرى وجد السير . وركب الليل
وامتطى النهار . وكافح الابطال . وbacher النزال . ودخل وسط الحرب . وقابل
الطعن والضرب . وهان طيم ركوب الاحوال . وانفق الطارف والتليد
والاموال . ولم يشح بروحه وان كان غيره بها لم يسمح . وسلس الامور الى
ان دان له سن جمع وتن لم يجمع . ولم يزل تنطيا ظهور الصافنات في طلب
النارات الى ان بلغ المراد . وجاءته السعادة متفاداة لما يامرها به وامثلت
لابن مراد . وتصرف في المملكة تصرف الملوك . وخصعت لدولته الايام
قائلة لله ابيك . تقف الامراء اجلالا لمهابته . وتخضع له الاسود خوفا من
سوطته وشهامته . كم اثار من حروب وباشرها الى ان خصعت له الرقاب .
وقارع الابطال وقرع بابا لم يفتح لغيره وفتح له الباب . سرى في طلب العز
كالهلال فعاد كدبر النمام . واحتجب في سماء الهيجاء بين نجوم الاسنة
وبروق البارق وظهر من تحت سحاب القشام . ونازته نفسه في الرتبة
الملوكية فقال انا لها . واقتمم عظام الامور الى ان بلغها ونالها . فكم له من
واقعات ضربت بها الامثال . وكم له من فتكات في اعدائه عجزت عن مثلها
لابطال . كيف لا يحق له ان ينال مراتبه وهو جالس في مكانه . وكيف
يحق لمن لا يخاطر بروحه مخاطرته ان يعد من اقرانه . ورث السيادة من
ابائه وشيدها على ما كانت عليه . وان جمحت من غيره فقد جاءته متفاداة
بين يديه . وفي المثل - بالسعود لا بالجندود - وهذا جمع بين الاثنين . وساعدة
الزمان مساعدة العبيد مواليتها واقتضى ما كان له على الايام من الدين .
وفصله وقدرة اكثر من ان يذكر . ومحاسن ايامه معلومة بين الناس فلا
يحق لها ان تنكر . وانما مد القلم لسانه لانه وجد في هذا الميدان مجالا .
وان كان يعد من الخرساء فقد انشقى وتثل فقال -

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فبفسل

وهذا الامير مالك شاننا . وحاكم اوطاننا . ومتصرف في زماننا . جل
الله بمحاسن الاياما . وجعل عليه كل نار حرب اضرمها اعداؤه بردا وسلاما .

ونائي بشي من اخباره ونذكر شيئا من آثاره . كان الله له وهو من الذين
 رضعوا لبن السيادة . وكان أبوه لا يفارقه حيث سار وهكذا جرت العادة .
 فكان يتخلل بالخلق أبيه . الى أن أخذ الماء من جاريه . وفيه سكينته
 ووقار . وتجنب من العار . وبطش وشدة ولين وحدة ودقل رصين . وجانب
 معين . وثبات جنان . وكثرة احسان . وكان والده يتفرس فيه الرئاسة وكذا
 كاره . ولما قدر الله على والده الموت المحتوم كان حاضرا عنده وبلغني أنه
 دعا له بالخير ومات وهو راض منه فتبيل الله دعاءه فام يزل في حفظ الله الى
 أن بلغ مراده . وكان من قدر الله على ما سبق في طيه ان يقول الأمر اليه
 وارادوا خروجه عنه فجاءه الأمر الى يديه . وما احسن قول أبي دلامته .
 لما منح المهدي وأخذ الكرامة -

انتم الولاية مشادة اليه تجرر اذبالها
 فلم تلك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
 ولو رامها احد فيسره لزلزلت الارض زلزالها

ولما قدر الله باثارة القس كما سبق الخبر منها في اول الفصل وخروج الامر
 من يده والزمام لاقامة في منزله بمنزل صمو وكان الطاعون في تلك الايام
 ومات من اهل بيته جماعة وهو كالمحجور عليه وتواترت عليه الاخبار بما تشتمل
 منه الناس وكاتب بعض اصدقائه وكاتبوه فكتم سره وعزم على الخروج
 من العدالة والتقصاء يقول له انا رادوك ان شاء الله على اكمل حاله .
 وسافر في حدد يسمير . ورافقه من ختم الله له بالخير على هذا الامر العسير .
 المرحوم برجته الملك الاوحد . الشلي ابن يوسف داي ابو العباس اجد .
 سقى الله ثراه من صوب البرجة وساروا على غير الجادة ووقعت لهم في طريقهم
 امور اضربنا عنها لان الخبر المأثور عنهم فيه الصحيح والسقيم . ولما خلصهم
 الله من العدو الذي تعرض لهم ركبوا في البحر من مكان يعرف بمرسى الحرز
 ومن العجب ان كيف حل البحر المالح هذا العذب الفرات . وكيف علا
 فوقه الدر الفاخر ان هذه لاحدى الغربا . وسارت بهم المركب وتلا

القاتل باسم الله بجراحها ، الى ان بلغوا مامنهم من بلد الغناب فكان هنالك
موساهما . فتسامع به اهل البلد وحشر الناس ضحى الى رويته وكان ذلك
اليوم من اعجوبة الدهر عندهم ولقيهم اهل البلد واكرموا مشوا وقابلوه بما
يستحقه . ومن هناك اخذ في تهديد امرة وبعث خاله الى مدينته الجزائر
لقصد نصرته فكانت تربته وقبرة والتحق به سن كان يتسبب اليه من
رجال والده وانتم جماعة من اولاد سعيد وجم غفير من دريد وتلاحقت به
الناس وتجمعت عليه الجموع وفرق الاموال في جميع الاجناس وواقته باي
الجزائر ووعده ان ينصره ولم يوف له . وما النصر الا من عند الله ينصر من
يشاء . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وجاءت حطة الجزائر الى قريب من
العمالة ورجعت واكثر المرجفون في المدينته بالاخبار التي ليس تحتها طائل .
بحيث يقر بونه مرة ويبعدونه اخرى وقد بعدت عنهم المراحل . وعاضده
في غيبتهم هذه لما اراد الله به مصاهرتهم لأكبر مشايخ العرب الشيخ سلطان
ابن منصور فتشرف الشيخ بمصاهرتهم هذا البطل . وسعد حيث دخل في ذلك
دولته الى ان ضربت بسعادته المثل . والتحق به قائده القائد مصطفى
سبيول وهو من رجال دولته . وفي ايام ابيه كان متهما على جماعة
المصايحية وتخرج بتربيته . وكذلك انتظم اليه الشيخ محمد ابن القائد حسن
وارلاده وهو من رجال العرب ودعاتهم وان كان اصل ابيه من العجم الا انه
ولد بين الابل والخيول وتعلم نزال الفرسان ومقارعة الابطال والغزو بطهار
والسرى بالليل وغير هؤلاء بشر كثير . فاول واقعة سمعنا بها في تونس اخذته
لمحلة المصايحية الى يد قائده القائد مصطفى سبيول وقد سبق خبره ثم غزا
غزوة ثانية الى ناحية الكاف وساق احدى الزمائل وسار بها كل ذلك والناس
يستصغرون امرة ونار حربه احرقوا الاقليم وهم يكذبون خبره وبعث عدة
اوراق الى العسكر يعتذر ويحذر وينذر فلم يسمع له وكل سن وجد ورقة من
تلك الاوراق كتمها وذلك لما يريد الله به من نفاذ حكمه . وبعث الى
جبل وسلات فانتقدوا اليه واظهروا نفاقهم تحبه فيهم ولا زال امرة في صعود

وكل يوم في اقبال الى ان كانت الواقعة المذكورة قبل هذا عند كسره المحلة في الجبل المذكور فلك هناك كثيرا من الترتك وفداهم بمال وعفا عنهم ولم يرد تعرضا للعسكر بمكره ، ثم الطامة العظمى كسرت المحلة الثانية قريبا من سيطلة بمنزلة المريقب يوم عيد الاضحا سنة سبع وثمانين والقب واخذ المحلة وعفا من اهلها وامنهم ، واثاه اكابر العسكر وبايعوه واظهروا له الطاعة وهذه اول محلة نفذ امره فيها وجاءت الاخبار الى تونس ثالث العيد فطارث عقول اعدائه ، وصار كل واحد منهم لا يعرف ارضه من سمائه ، وخامر جل العسكر الفشل ، واستولى على غيبيهم الخوف والوجل ، واشتغل كل من العوام بما لا يعنيه ، ولكل امرء منهم شأن يغنيه ، واثت المكاتب من المحلة واخبرت بما وقع وكانت في المحصرة هرجة طيعة وانفق اهل الحل والعقد ان بعثوا جماعة من اكابرهم وجماعة من اكابر البلد ومفتييهما شيخ الاسلام الشيخ ابا عبد الله محمد عرف فتاثة شيخ مشايخ المالكية والشيخ ابا المحاسن يوسف درغوث مفتي مذهب السادات الحنفية ، فلما وصلوا الى الباي حفظه الله عرف مقامهم وقابلهم بطلاقة وجه واحسن نزلهم وسن معهم واجرى لهم مؤنة وقام بواجب حقهم ثم جمعهم واكابر صكرهم وعد عليهم ولائهم وحاجتهم وقطع هجتهم وشهدوا له ذلك اليوم برجاحية العقل لانه كان في سابق الامر لا يتعاطى شيئا من المناصب لانه تحمت حجر والده ولم يظهر منه تصرف بما يستحسن الا ما كان يستحسن من خلفته وخلقه وعقله زاده الله تباركا على الذي هو احسن ، ورفع قدرة بين الروساء الى ان ينال مراده ويتمكن ، ولما اجتمع بفضلاء الحضرة اتفق منهم على خلع الحاج مامي جيل ومبايعته الحاج محمد ببشارة فبايعوه بالمحلاة المذكورة في مكان يقال له باطن القرن قريب من القيروان فرجعوا به الى الحضرة وخلعوا الحاج مامي وجلس ببشارة في دار القصبية الى ان كان من امره ما تقدم ، ثم ان الاحبذ ابا المحسن علي باي رحل من هناك بعد ان كانت له واقعة مع الثرويين اضربنا عنها وكانت سببا لنشاقهم لما اراد الله لهم ورجع الى ان نزل بالفحص واقام به

اياما حتى تلاحق العسكر وجمع رايه الى التوجه الى الكافي فنزل قريبا منه
وبعث الى تونس بطلب المدافع فسيروا له ما اراد وهناك جمع جموعه
وعساكره وقصد محاربة البلد فنزل قريبا منه وركب المدافع عليه ورعى به
وجعل العسكر نوبا في المناريس ووقع الحرب بينهما واصابت المدافع اماكن
من الحصار وكاد ان يتزعزع وتصدعت منه اماكن إلا ان الله تعالى جعل
لكل شيء حدا . ومن قدر الله كان في العسكر جماعة لهم ميل الى اخيه فبعثوا
اليه يستجدونه وهونوا الامر عليه وكان في ناحية الغرب فجند في السير
راجعا ودخل الى بلد الكافي ليلا ومشت بينه وبين العسكر عدة ارسال
وانفقوا معه ومكنوه من المحلة وكان ابو الحسن استشعر بعض شيء من ذلك
وكانت اقامته بمحله الاخرى فلم يشعر إلا والمدافع مالت اليه . والعسكر
الذي كان معه صار عليه . ومال العسكر الى اخيه . ووقع النهب في خيمه
ومن يليه . فطاح ما بيده ورحل من ساعته بجموعه وجنده وكر راجعا الى
الجريد وكند في سيرة خيفة ان تصل الاخبار الى من هنالك . ولما وصل
لمدينته قلصت لم يظهر لاهل المحلة التي بها ما يرتابون منه وامر برحايها
فرحلت وليس لاهلها علم بما وقع ورجع كعادته على الطريق الحادة وفشا
الخبر بالمحلة وهرب منها اناس فلم يتم لهم مرادهم واقبل اليه في وجهته
جل مشايخ العربان مثل الشيخ احمد بن نويز وجماعة من الحمديد والجمع
الاعظم من نواجع دريد وشياطين العرب اولاد سعيد وسلطان العرب بخياله
ورجله وجماعته كاحباب من كل فج عميق واقبل بجمع لا يعلمه إلا الله .
ولما قرب من القيروان اظهروا له الشرف فلم يعجب بهم ووقع بعض مناوشة
بينهم وبين جماعة من الصبايحية ورحل عنهم الى ان نزل بالفحص والجمرع
تترافى اليه من كل مكان . ونرجع الى خبر اخيه وقد تقدم انه لما احتوى
على المحلة وجدده عهده مع اكابرها بعث الخبر الى تونس فحين بلغ الخبر
بمجرده قام العسكر على ساق ومضوا الى الحاج مامي جل وكان مستترا في
الراوية فاخرجوه وطلعوا به الى القصبة واعادوه الى منصبه وخلع بيشارة

وبعد أيام امر بقتله وقد تقدم ذكره فيما سبق . ومن هنا بدا التخالف وعظم الأراجاف وكثر الخلاف وتفرق الناس . ولم يبق للعقل قياس . وتبددت الآراء والعقول . وكل انسان بما يختلج في صدره يقول . إلا أن غالب الناس على جهة واحدة ويتكلمون بكلام لا يحسن السكوت عليه ولا تصح به الفائدة وكل يوم ثاني اخبار ليس لها صحتها في الخارج وتراحت الأراجيف بما لا يعقل عند الداخل والخارج وبعث الداي جماعة من اصحابه لياثرة بالخبر . فمنهم من قصا نحيبه ومنهم من ينتظر . ورفعت الاسعار وقطعت الاسفار . ووقع العسس بالليل والنهار . ولما زاد الرجل باهل تونس اجمع وايهم على ارسال جماعة من العلماء واكابر المملكة من اهل البلد لاصلاح ذات البين . والجمع بين الاخوين . فغابوا مدة في ترددهم بين الاثنين . فرجعوا بخفي حنين . ولم يتم لهم الامر الذي طلبوه . وكل من الاخوين طلب شيئا لم يساعد عليه اخوه . فلما رجعوا خاتمين خلف الناس من نار الحرب التي وقودها الناس . وشياطين الانس مشيدة لتصوير الفتن وليس لبنياتهم اساس . وقام سوق الخوف من بعد الامن . وانتشر النفاق في غالب الوطن . وقطعت الطرقات . وغلت الاقوات . وكل احد من الفريقين يرجح من صاحبه بالكلام . ولم يبق لاهل تونس من العقل إلا قال قال والسلام . وهذا من اكبر اعاجيب الزمان التي لم يقع مثلها والاخبار كل يوم متواترة بما ليس فيهم طائل . والعسس في الابواب كل يوم على الخارج والداخل . وجاءت الاخبار ان ابا الحسن علي بابي قارب الفحص في جوعه والمحلة التي اتى فيها من الجريد معه وبعث بهذا الخبر الى تونس فلم يقبله احد وبعثوا الى من بالمحلة يامرونهم بالهروب فهرب منهم جماعة . ولما سمع به اخوه تفاقل من المجي فلم ثاب اليه رايه وجمع جعا عظيما واستوثق من اهل محله وجاء في نجدته الشيخ الحاج بن نصر وجماعته واقبل في عدد لا يعلمه إلا الله تعالى وجاءته الاخبار من العرب وهونوا عليه امر اخيه فجد في السير الى ان التقيا بالتحصن يقول من شاهد ذلك اليوم رايت من الفريقين ما يذهل

العقل لما شاهدته من الفرسان ووقفت بلازاه شيخ يحرس الناس فعلت
انه سلطان ورايت من اقدام الباي ابي الحسن علي وهو ثابت الجنان ،
ويجول بين الفرسان ، وقدمت العرب هواجها كعادتها والتقى الجمعان
وجلوا حلة رجل واحد فلم يثف احد منهم ساعة واحدة إلا وقد رزق الله
النصر الى جماعة المعظم ابي الحسن علي باي فغنموا مغنا طيما من الخيل
والسلاح وحرب الحاج وجباهته وخلف امراته قال سن شاهدنا وهي راكبة
على بغل حين اتى بها عفا عنها وردها الى صاحبها فلم يكن له ذكر بعد
هذه الواقعة . ولما فتح الله هذا الفتح الغريب في الزمن الغريب وكان الحرب
من الفريقين بين الخيالة ولم يكن للمسكر مدخل لان المحلة التي جاءت
من الجريد بعثها الباي علي الى زغوان وقال لهم اقيموا هنالك فان كنتم لي
رجعتم معي وإلا رجعت الى صاحبكم فحلفوا له فلم يقبل وكان سردار عسكرها
محمد ريس عرف طاباق وقد تقدم ذكره والمحلة التي جاءت من الكاف
كفلها ان منعت نفسها ونزلت بمكان عال وخندق عليها اهلها ومنع الباي
علي من التعرض اليها . ولما ارتفع الحرب بعث الى اكابر المحلة فعدد ذنوبهم
عليهم وكان ذلك بآخر العهد بهم ، ثم بعث الى محلة زغوان فجاءته وبعث
قائده مصطفى سبيول الى تونس وبلوك باشية ليخبروا بالواقع وهذه الواقعة
كانت في آخر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين والاف . ولما جاءت الاخبار
الى تونس عظم البلاء وارتجفت قلوب الناس وكان الخطب جليلا وبعث
قائده مصطفى فحاصر المدينة وضائق بها الى ان اذعنوا له بالطاعة وبعث
اليها سردار العسكر الداي محمد طاباق بعد ما بايعه بالمحلة وقد مر خبره
فيما مضى وطلع الى افريقية كعادته لاستخلاص وطنها وتمهيده وكانت له
واقعة اخرى مع جوع اخيه كابن الحاج شيخ الحنانشة واولاده ابي زيان
وجماعتهم من دريد ومعهم جوع من عرب افريقية وغيرهم فكانت الطامة الكبرى
ومات فيها الشيخ سلطان الحناشي لانهم دبحوا عليه على ففلة عشية نهار
وباشر الشمال بنفسه وكثرت عليه الجموع فطعن ومات ووقعت في عسكر ابي

الحسن رجة لولا لطف الله به وثبات جاشه فبات على احتراس ومن الغد اشتد الحرب واشتبهت وزاد المخطب وحضر الفريشان صبرا لم يكن قبل ذلك اليوم ومات خلق كثير ووقعت الهزيمة على اولاد الشابي وتن معهم وقم من اموالهم شيء كثير وملئت ايدي الاعراب وتن سواهم من الابل والمتاع وكانت بمكان يقال له وادي ثاسته وعدة من الوقائع التي يضرب بها القل ورجع منصورا الى وطنه واستكمل مجباه واحسن الى الشيخ احمد بن نوبير وردة الى بلاده فبات قبل ان يصل الى وطنه قريبا من الحامة في معركة مع جنود محمد بناي واخذ غالب نجعه هناك . وفي هذه المدة كثرت الاراجيف بتونس وقيل ان الباي مات واطلقت الاخبار الكاذبة واختبلت عقول الناس حتى انهم كذبوا بالضروريات وصدقوا بالمحالات وبعد ذلك رده الله سالما الى حصرتة وصام بعض شهر رمضان فيها وخرج بمحلتهم الشتائية في آخر الشهر المذكور من هذه السنة وهي سنة ثمان وثمانين وكان خروجه تحت الصناجق كعادة اباائه وضربت البشائر وكان له زى عظيم وظهرت عليه مهابة الملك ولم يكن خرج قبل ذلك اليوم على هذه الصورة فتبارك الله احسن الخالقين على حسن خلقتهم وخلعتهم ولقد زانها حتى قلت فيه ذلك اليوم قصيدة مطلعها -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطرث بحليلة تنبختس
من سندس خلعت قلوب حواسد لكن بها احبابكم يستبشرون
ما عاين الراعون حسنك مشرقا الا وحفك هلالا او كسروا
وهي طويلة اضربت عنها ولم تساعد الاقدار ان يسمعها وسار في وجهه هذه ونزل على القيروان في آخر رمضان محاصرا لها ورمى عليها بالمدافع ولولا ان العسكر كان فيه اختلاف لكان استاصلها لانهم كانوا يقاتلون قتال تكلف بلا نية ويبد عليها بيد الفطر ورجل منها وذلك انه جاءته الاخبار ان اخاه خالفه الى بلاد الجريد فقصده الاله وارتحل عن القيروان ومن العجب انه نازل القيروان واقام عليها مدة ايام واهلها يحلفون انه مات وان الذي بالحلقة

غيره وهذا من اكبر الهذيان وشاهدنا وسمعنا بتونس ما هو اقرب من هذا
فسأل الله تعالى ان يحفظ عقولنا ويلهمنا رشدنا . ثم توجه الى بلاد الجريد
فوجد اخاه قد احتوى على كثير منها وحسن حصار قفصة وشحنه فلما علم
بقدومه فر امامه الى الزاب ودخل عدة مراحل في طلبه فقاتله فرجع من
خلفه وحاصر من بالحصار المذكور وصل له لغما فطلب من به الامان
فامنهم واحتوى على الحصار وجعل فيه نوبة من قبله . ولما اتم تشحينه
واستكمل مجيئه من بلاد الجريد كر راجعا الى الحاضرة وكان اتصل به الخبر
من الاغراب بان اخاه قاصدا الى تونس فبعث قائده مصطفى سبنول في
عسكر من الصبايحية لحراسة المدينة فلم يغن شيئا وكانت الطامة الكبرى
التي لم يسمع بمثلها في بلاد المغرب وهي التي حرقت فيها الابواب ونهبت
الاسواق وقامت الحرب على ساق ولقي اهل تونس فيها بلاء عظيما وحصر
من بالقبصة وكانت الفتنة الكبرى وخرج جميع عسكر الحاضرة الى قتل
ابي الحسن علي باي وخرج في ذلك العسكر الداوي الجديد ساقسلي وخربوا
باموالهم واولادهم ولم يبق منهم الا القليل وقد ذكرت هذه الواقعة في ترجمة
الداوي طاباق واتصل الخبر بابي الحسن علي باي لطف الله به في اثناء
الطريق فجد في سيرة وكان معه جمع عظيم وبعث الى اكابر المحلة واخبرهم
بالقبصة فحالفوا له على الموت فوعدهم بزيادة خمسة نواصر ترويا لكل واحد
ورحل الى ان قرب من الفحص فالتقى هنالك بالمحلة الخارجة من تونس
وسعها محلة من القيروان وغيرها من الدف ومثلها من صفاقس وعربان اجتمعت
معهم من الاقليم لا يعلم قهرهم الا الله فالتقى في اول المحرم من سنة تسع
وثمانين والفس والتم الحرب ورمى بعضهم على بعض بالمدافع والمكاهل
وصادق بعضهم بعضا في القتال والتقت الخيل بالخيول واشتد الناس ، وكثر
المراس . وتقارب الصفان . واختلط الجمعان . وصارت كل محلة يقول اهلها نحن
اخذناكم يعني اهل المحلة الاخرى . ولما اجتمع العسكران قالوا بكلمة واحدة
ونكثوا ايمانهم وكان ابو الحسن علي باي بجيدا من الفريتين لموت اعد رجاله

وخلبثته في العسكر القائد مراد فارادوا قتله فنجاه الله ومنع من بين أيديهم .
 فلما تحقق أبو الحسن خديعتهم رجع على عقبه بمن معه من صبايحته
 وزموله واجتمع العسكران وبعثوا إلى أخيه محمد باي وملكوه أمرهم فرحل بهم
 في أثر أخيه وقد انسحب إمامهم إلى مكان يعرف بالمنزل فلما توسطوا به
 سكر أبو الحسن بمن معه وتشجعت أصحابه وصادقوا في حلتهم فبددوا
 شملهم ومات من مات عن بيته وكان قدر الله أمرا محتوما ومات عالم عظيم
 ووقع القتال من عشية النهار إلى الليل ولم ينج إلا من طأل أجله ومن
 صاش أخذته العرب وغنوا منهم مغنا لم يكن مثله في السابق من ذهب
 وفضة وأثرت ما يجلب من الوصف وكانت هذه الواقعة من أعظم وقائع أهل
 المغرب . ولما تم ما تم أمر بقطع رؤوس القتلى وبعثها محمولة على الجمال
 وكان يوم وصولها إلى تونس يوما مهولا . وأغرب من هذا أن الرعوس قبالة
 باب القصبة يشاهدونها والمرجعون يقولون ليس لذلك علم ولا أثر ومات
 ساقسلي أكبرهم ولم ينج إلا القليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
 ولولا نفاذ ما سبق في علم الله لم تكن هذه الواقعة التي شاد خبرها في
 الثقلين . واضرمت نار حربها بين العسكرين . واقتتلوا في حبة الآخرين .
 ولكن لكل أجل كتاب . يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . ثم
 جاءته رسل أهل القيروان يطلبون العفو فعفا عنهم ورحل وزل قريبا منهم
 وأمنهم ولم يواخذهم بما فعلوا ما عدا ابن الشاطر الذي دعم أساس النفاق .
 وأجرى أهل القيروان على البغي والشقاق . فانه لم يعف عنه ومات في
 سجنه وكو راجعا إلى تونس وأخذة في طريقه مريض خيف عليه منه فتداركه
 الله بلطفه ووصل إلى منزله بمأردو وهو في أثناء مرضه واستبشر بقدمه أحبابه
 وفشا الخبر في البلد انه مات . ولقد اتفق لي اني كنت حاضرا يوم وصوله
 وعانيتهم بعين رأسي وسمعت ذلك اليوم رجلا يقول لآخر انه مات ودفن
 فأخبرتهما بأنني رأيته فمخلفاني فجاءت لهما ولم ادر اصدقاني ام لا . واتفق
 في تلك الايام ان جاءته رسل من عند أخيه لقصد الصلح ولم يتم ذلك

وبعد أيام يسيرة دخل الى المدينة وعليه اثر الضعف ودخل الى القصبته وحشر
الناس الى رويحه واطلقت البشائر وكان يوما مشهودا عاينه فيه المحب
الغال ، والعدو القال ، وعافاه الله من ذلك المرض ولله المنه ، ثم استراح
وخرج بمحلاته الصيفية من السنة المذكورة لتحرك الاعراب ، فريقيته
فعاجلهم قبل الثمامهم وخلص مجباه كعادته ورجع الى تونس قبل ابانه
ليشتقي مع عمه لما اتى من الديار الرومية ، مستوليا على منصب الباشوية ،
فجمع الله شملهما بعد الغربة ، وتجدد فرجهما في هذه النوبة ، وصاما بالحصرة
شهر رمضان ، وعيدا عيد النضر في حناء وامان ، وحضر للزينة التي وقعت
في اول شوال من السنة المذكورة وقد سبق ذكرها وخرج قبل تمامها بيوم
وتوجه الى المنستير وقد استنفر اليها جمعا من كل مكان وكانت محلاته قد
سبقتهم بايام فنزل قريبا منها وحاصرها وقطع ما قدر عليه من زيتونها واشجارها
وفعل بها الفاقة ، وكادت ان تكون له عليها الدائرة ، ثم وردت عليه الاخبار
بان اخاه في جمع عظيم بازاء جريته فاستدركه قبل ان يعيث في بلد الجريد
فرحل من المنستير وتوجه الى اخيه ففر امامه ودخل الرمل فبعث عدة مراحل
فحانته ولم يلق قيدا ورجع الى الجريد فخلص مجباه على العادة ورحل عنها
مويدا منصورا واخذ في رجعه على طريق صفاقس فشن غاراته منها وبعث
الرصب الى اهلها واخذ جماعة من اهل البلد ممن خرج منها الى بساينهم
على حين غفلة فعنا عنهم ولم يهرق دماءهم وكر راجعا الى وطنه ودخلت
محلاته الى تونس في آخر صفر سنة تسعين ولم يدخل معها وسار بمن معه
من الاعراب والصبايحية الى ناحية الغرب لانه سمع باخيه رجع الى
تلك البلاد وخرجت طائفته السنة المذكورة كعادتها واشدت في البلاد
لخلاص مجباهها وهو مقيم بعسكرة من ناحية الحدادة لكيلا يائس من قبل اخيه
شيء واتصلت به الاخبار ان اهل توزر اختلوا عليه واخوه بنى بها حصارا
منيعا وشحنه بما يحتاج اليه فبعث اليهم مددا مع جماعة من الصبايحية
فتلقاهم خيل اخيه هناك ومات ابن الجنان في تلك البعثة ثم وجه لهم

محلته الشتاء مع خليفته القائد مراد والنقي بجموع لآخيه هنالك ايضا وكانت بينهما واقعات وحروب انتصر القائد مراد فيها ونزل العسكر على البرج المذكور وحاصره اياما وجعلوا متاريس وصادقوهم القتال وحشروا تحته لغما فهدم منه جانباً ودخله العسكر بالسيف وجاءت الاخبار باخذه الى تونس واطلقت البشائر والمكابرون ينكرون ذلك كله ووصل الخبر الى الامجد ابي الحسن فرحل الى الجريد واطلع على البلاد وهدنها وحكم بجباة ورجع الى ناحية المغرب وتن معه من العساكر اول سنة احدى وتسعين واقام قبالة اخيه لتلا يحدث حدثا في البلاد ونما اليه الخبر بان جماعة من الاعراب من اهل افريقية بعوا الى اخيه فعاقب من قدر عليه منهم وسلمهم خيلهم واقام بهن معه من العرب ومحلته الترك في ناحية الزوارين وبعث الى محلته الصيف خرجت له قبل اوانها والتقت المحتلان هنالك واشتكى اليه العسكر من فلة ما بايدهم فبعث الى الحضرة يطلب الكتبة الموكلين باعطائ المرتبات فساروا اليه ودفع لهم مرتباتهم في المحلته ونصبت الاسواق في المحلته وجاءت التجار والباعة من كل مكان وصارت عندهم ايام نزهة . وعزم في وجهته هذه ان ينزل بلد الكاف فبعث بالخبر الى تونس بان يرسلوا له المدافع وقرب من الكاف بجمعة . ووقعت بينهم مناوشة في الحرب في ايام وذلك اول ربيع الثاني سنة احدى وتسعين والف وبعد ما خرجت محلته الصيف استنفر الحاكم الذي هو داي العسكر بالامر الشديد وارسلهم الى الكاف نصرة وجاء الخبر الى تونس ان الحرب وقع بين اهل الكاف واصحاب المعظم ابي الحسن يوم الجمعة السادس والعشرين من ربيع الثاني وبلغ الخبر الى تونس ان المعظم ابا الحسن علي باي غزا يوم الاحد سادس ربيع الثاني اخاه وكان قريبا منه فاحتوى على من كان معه ولم يفلت الا القليل واخذ شينج النجج الذي معه وطاف به واطلقت البشائر بتونس في السابع عشر منه وقعت الحرب بين اهل الكاف والعسكر وولت الهزيمة على العسكر وجاء الخبر الى تونس وفي الحادي والعشرين منه نادى المنادي في الحضرة تن

اراد مرتبه يعشي الى الكافي فجدد لمن هناك من العسكر وتوقف المرتب ومنعوا منه وحدد لهم الداي المذكور ان لا رجوع الا لمن بيده تذكرة بطابع الباي علي فخرجت الناس ارسالا وكان القتال بين اهل الكافي والعسكر مدة ايام ورحلوا عنه تاسع جادى الاولى من السنة بعد القتال والحصار الشديد . وفي الثاني والعشرين من الشهر المذكور جاءت الرسل الى تونس من قبل اهل الجزائر لتقصد الصلح بعد ما اتشوا مع الباي فارسلهم الى تونس فلم ينع بينهم اتفاق وقابلهم الداي بكلام حسن . وفي هذه الايام صدر اهل المرتبات الذين تربصوا عن المسير الى الكافي فمنعوا من مرتباتهم لقلته استماعهم . وفي اول رجب من السنة المذكورة خرج الباشا مغاضبا للعسكر ومكث اياما في منارة مرناق . ثم توجه الى الساحل وتعاطى خراجها ثم سار الى القيروان واجتمعت اليه اولاد سعيد وغيرهم فكان في جمع عظيم وذلك ان اولاد سعيد اهل نفاق وشقاق جبلوا على خبث الطبيعة صاغرا عن كابر وكانوا في زمن المرحوم برجة الله محمد باشا في الحظيصة الاوحد حتى ان الرجل منهم ينتسب للبي ودية . ولا ينتسب الى السعيدية . ولم تقم لهم قائمة مدة حياتهم . وكذلك في ايام ولده من بعده الى ان قدر الله تعالى بما سبق في علمه من انارات التن كبرت شوكتهم ومالوا الى بساي الوقت فجابروهم ورفع منارهم فاحلهم البلاد . واطلق ايديهم فاكثروا فيها الفساد . وعاثوا كيف شاءوا وقطعوا الطريق ومنعوا الرفيق حتى صاروا لا يسلك احد في طريق الا ومعهم منهم خبير وقاسموا اهل البلاد في غلاتهم واخذوا ما قدروا عليه ولم يقدر احد ان يقابلهم بشيء وتحكموا في غالب الاقليم وفعلوا ما لم تتعلم الكفرة بالمسلمين والباي مع ذلك معرض عنهم ويلطفهم وبعض احيان يعنفهم ومع ذلك يزيد شرهم في كل يوم . فلما ثبت عنده خبث طويتهم تربص بهم الدوائر والغاهم وصاروا لا يلتفت اليهم . فظنوا انه لا قدرة له عليهم . وان ذلك عجز منهم عنهم فاعتدوا وتمردوا وصاروا لا يلتفتون به الا ارسالا خيفة منه الى ان قدر الله تعالى بهلاكهم . فلما توجه الى الكافي كما قدمنا بحث

اليهم يستبجدهم فتناقلوا عنه ولم يعبوا به وتفرقوا في الوطن فمنهم من ذهب الى الساحل وعسكرت فيه ومنهم من اقام بوطن الجزيرة بازاء بلد سليمان فوقعت بينهم وبين اهل البلد منازعة فاقتتلوا ومات ابن الكراي هنالك لا رحمه الله فاشتدت حياستهم وصايقوا بالبلد وقتلوا من اهلها واشرفوا على اخذها وحدثتهم امانتهم الفاسدة بان بعثوا للداي ان يبعث لهم نجدة من عسكر زاوية اللعانة على سليمان ومشت رسلهم للباي فمناهم بمرادهم وخادعهم وودعهم باخذ الدية فزاد طمعهم لعنهم الله فضايقوا على اهل سليمان فاخرج الداي نجدة من العسكر لاهل سليمان في السابع عشر من ربيع الثاني وخرج مع العسكر خلق كثير لقصد جهادهم لان ضرورهم اشد من ضرر النصارى فلما وصلهم الخبر بذلك رحلوا عن سليمان وجاءتهم الاخبار ان الباي عازم عليهم فانكسرت شوكتهم وتوجهوا الى الساحل وثبت عندهم انهم ان وقعوا في يده لا يترك منهم احدا فلما حلوا بمغاصصة الباشا مالوا اليه وطمعوا فيما لديهم فارضاهم وساروا معه الى القيروان واجتمع اليهم من يقول بقولهم الى ان كان منهم ما سنذكره ان شاء الله تعالى * ولمّا وصل الخبر الى الباي اطف الله به بان العرب مجتمعون على عمه واخيه وان الحرب اضمرت فارها وتقوى شرارها بعث الى المحصرة فعينوا له عسكرا وارتحل بزموليه ومن معه الى القيروان فالتقى بهم ووقع الحرب بينهم ساءة من نهار فانهزم ذلك الجمع وهرب اولاد سعيد الى ناحية المنستير ودخل الباشا الى القيروان وقيل ان ذلك الجمع كان يقرب من عشرة آلاف فارس واما الرجال فلا تعد ولا تحصى ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وصرفوا فيهم اموال جزيلة وكانت هذه الواقعة في العشر الاخيرة من شعبان سنة احدى وتسعين والالف . والله يويد بنصرة من يشاء * ورحل ابو الحسن علي باي من القيروان ونزل قريبا من المنستير وقد تحصن بها اخوه واولاد سعيد وصايقتهم بها الى ان فئت غالب ابلهم ولم يجدوا الى اين يكون ذهابهم ولما طال بهم الحصار وصافى خناقهم من شدة المحاصرة رجعوا الى خداعهم وبعثوا جماعة يطلبون من الباي ان

يرحل عنهم يسيرا لكي يخرجوا له وينزلوا على حكمه ان شاء خدمهم واستوعاهم وزعموا انهم مغلوبون من اخيه وان اظهروا الخروج على رضى منهم يعاقبهم ولم يخف منه مكرهم فرحل عنهم ونزل قريبا من سوسة واصل رحيله مما صداقت البلاد على المجموع التي معه لانه كان في امم لا تحصى . فاقام هنالك بقية رمضان وارسل الى تونس لجماعة من فضلائها وذكر اسماءهم ان يتوجهوا اليه لقصد ان يرسلهم الى عمه للصلح بينهما فصاروا اليه وحدثهم بمراة وسمعت بعضهم يقول لله درة يعني البايع المذكور ما اجود ذهنه وما اقوى فراسته وماذا عنده من حسن السياسة وانه ليقول قولا كذا واذا قال كذا اجيبوا بكذا حتى كانه مطلع على ما يتخلج في الصنائع وهذا من اصابته في التدبير . ثم بعث باناس دون اناس شح بهم واظهر انه يخاف عليهم من ان يعرضهم احد في طريقهم بمكره ولم يتم له ذلك . وفي اقامته هنالك بعث اهل صفاقس له وطلبوا الامان منه وان يسلموا له مقابلتهم فاجابهم الى ما طلبوه وبعث معهم جماعة من اصحابه فسلموا البلد وهرب من كان بها من قبل اخيه وكفاه الله شرهم وعافاه من اهواق دمهم . وجاءت الاخبار الى تونس وامتنع الداي ان يطلق المدافع كما جرث به العادة لانه لم ياتهم كتاب من عند البايع واكثر المرجفون كعادتهم بالكابرة ثم بعد ايام جاءت اوامره وصح الخبر فاطلقت البشائر عند ذلك ورجل بعد العيد متوجها الى القيروان فغلوا الابواب ولم يخرج اليه احد فلم يتعرض لهم ونزل تحت جبل وولات . وفي خامس شوال جاءت رسل الجزائريين الى تونس مرة ثانية واظهروا انهم لم يكن لهم اوب الا الصلح بين الاخوين وذاع في البلد ان قصدهم غير ما قالوه وكثرت بين الناس الاقوال وذلك انهم نزلوا أولا عند المحدة المعلومة ثم جاء الخبر انهم دخلوا في الوطن وتسامعت اهل المحصرة فكروه ذلك وبعض المفسدين احبوه وبعث الداي الى اشياخ البلد واستخبرهم على ما في صنائعهم فقالوا له نحن ندافع عن انفسنا واولادنا ولم نرض بغير عسكرنا فذكرهم على قولهم وطلب من اهل باب السويقة ان يعطوه

اناسا يكونون عنده رهنا فاجابوه ولكن سلم الله ولو كانوا فعلوا ذلك لم يغن شيئا . وجاءت الاخبار ان الباشا خرج من القيروان ولحق باهل الجزائر ودخل بهم الوطن واباحهم ان ياخذوا ما يحتاجون اليه من الروابط . وجاءت الاخبار انهم بعثوا جماعة منهم الى الكاف لاختذ المثونة وانهم ارادوا الدخول الى الحصار وان يشتكوا بمن فيه فمنعهم كافل الحصار فشدكوا باهل البلد واظهروا فيها الفساد . وقد تقوى طمعهم في اخذ الكاف ومشت رسلهم الى الباي وهو في منزله السابق فاجابهم بما رصيت به نفوسهم وقال لهم انا قاصد اليكم ورحل واخذهم معه كل ذلك والاخبار متواترة في الحاضرة بكل ارجاف فمن مكثر ومقل ولكل امرء ما نوى . ولولا ما سبق في علمه تعالى من جيل اللطف بعبادة لدهمت اهل هذه البلد امور مدهشة ويقاسون من الالم حتى يقول البار بها للقاطن تغير اسم بلدك عن المونسة بل انما هي الموحشة . ولما زاد الكرب بالناس . تداركهم الله بالفرج ولكن على غير قياس . لان الاخبار التي تصل الينا عن حصانة الكاف شيء يعجز العقل في توجمه وانه جاء غصته في خلق البلاد . وكاد ان يكون صالته مستقلة ولا اقول كاد . ومن الناس من يقول يفجز عنه جميع العسكريين . وهو كالحاجز بين الوطنيين . فكانوا يرون انه اذا طال امره تكثر الثمن . وبخرب الوطن . والله تعالى لطيف بعبادة . والامور جارية بحسب مرادة . وفي الحادي والعشرين من شوال من سنة احدى وتسعين جاءت الاخبار من الكاف ومكاتب للداي من عند المحاكم فيه يطلب العفو وبذل الطاعة فاطلقت المدافع تلك الساعة وكان يوما مشهودا يعد من الايام العظام وفشا في الناس الفرح وامنوا ذلك اليوم على دنائهم واموالهم واولادهم . وفي الثالث والعشرين منه جاءت الاوامر من عند الباي بذلك فصدق غالب الناس الا قليلا منهم . وجاءت الاخبار بعد ذلك ان اهل الجزائر قهقروا الى خلفهم لما سمعوا بالخبر وكان زعمهم انهم يتحكمون عليه واذا حصل في ايديهم صار لهم الوطن كله ووردت الاخبار ان الهمام ابا الحسن علي باي توجه الى الزوارين وبعث عامله وجماعته

معه الى الكفاف ولم يصل هو اليه وهذا من الغرائب . ورزاقته العقل وثبات
الجلش والراي الصائب . فكانه لم يكن له به اهتمام ولا قصده ونازله
هذا العلم وذلك العلم والله انه لمن الدعاة . ومن له الاصابة في الراي
والثبات . فالحمد لله الذي يسر له هذا الشئ الغريب . في الراس القريب .
ولولا قارة الله حفت به في جميع المواطن لما جاءه النصر . والعناية الربانية
تعيه في مواطن كلها ولو دعمه اهل العصر . ولم تزل الاخبار في كل يوم
تتواتر الى سابع ذي القعدة جاء الخبر ان الباشا والبلي اصطالحا ولم تات
المكاتيب من عند احد . وبعد خمسة ايام جاءت الاوامر مخبرة بما وقع
وقرئت في الديوان وسرت الناس . ومن الغد جاءت بلوكباشية بالخبر
ايضا واطلقت المدافع واخبروا بان الصلح وقع بينهم على التمام بما رضى
به نفوسهم بوفاء وامان . وقيل لمن اراد الدخول بينهم بالفتن - قصي الامر
الذي فيه تستفتيان . ولكن لم يحط احد بما وقع بينهم . وانما هم اهل بيت
جعوا امرهم بينهم وذهب عنهم ان شاء الله توحهم وبينهم . وكانت اولاد
سعيد التخت باهل الجزائر . وساعدهم مدد من المفسدين من القبائل
والعشائر . وكادت ان تقوم الحرب بين الفريقين . وان تكون لها رجة تهز
البنقلين . ومن الناس من يقول انما جاءوا للاصلاح بين الاخوين . ومن قائل
يقول انما ارادوا حسم المادة من شر الاعراب . وانهم ان لم يتداركوا هذا الامر
يوشك ان يدخل عليهم الثمن من غير الباب . ومن الناس من يقول ادرستهم
حية عن ابناء جنسهم وانفت . وبعضهم يقول لا مر ما جذع قصير انفسهم . والله
اعلم بحقائق الامور . وما تخفيه الصدور . وعلى كل حال فالله جعل لكل شئ
سببا والسر الخفي الذي جعل الصلح على يد سردار الجزائر واسمه حسن
فكان هذا الاسم رزق السعادة من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
لما قسال لولده الحسن عسى الله ان يجمع بولدي هذا بين فتنتين عظيمتين
ظهرت الاجابة في ولده في الزمن السابق وبقيت البركة في هذا الاسم
فكان هو السبب في التمام الكليته حتى صلح الله حال هذه الامة وتداركت

بطلانه احوال العباد . وقام سوق الامن بعد الخوف في جميع البلاد . وحدثت
 فار الحرب بعد احرامها . وبلغت كل نفس منيتها وفازت بصرامها . ولكن بعد
 ما بلغت النفوس التوافق . واتصلت الحرب بالحرب خمسة اعوام متتابعة
 حتى قيل هي من وافي . وكثرت العداوة بين البادي والحاضر وطن كل احد
 انه المثلث . وكم سبقت من نفوس الى حتفها في عدة ايام والى ربك يومئذ
 المساق . وما قصر كل من الاخوين في طلبه لثارة . وقام كل واحد منهما
 صاحبه في المحاربة ورمى بنفسه في الحرب واصطلى بناره . فكم نلقت
 من نفوس . وقطعت من رؤوس . وكم انفقوا من الاموال . وكم انلقت من
 رجال واي رجال . وسحبت بين الاثنين اقوام بالنفوس وبالاموال النفاس .
 وسمعت من حروبهما اهل المشرق والمغرب ما لم يسمع عن حروب الغبراء
 والدااحس . ومما منهما الا من خطا بنفسه في مقارعة الابطال ومنازلة
 الفرمان . وادار روى الحرب وعيشت في وجهه الاسود عند اللقاء حتى قيل
 هذه حروب عيس وضييان . ولم ينفك احد منهما من حرب الى حرب . وكم
 وقع في صدور الفرمان بالرمح والسيف من طعن ومن ضرب . واظلمت
 الافاق وقت النزال وارتفع القتلى . وطلعت اسنة الرماح في سماء الهيجاء
 مطالع النجوم ولاح برقي الصوارم فانرفع الظلام . فالحمد لله على ذهاب هذه
 الغمة . وتجديد الالفه بعد القطيعة باللطف من الله والرحمة . ولما شاع
 بين الناس ما وقع من الاتفاق واتصل الخبر بالداني والناصي وتمشت
 الاخبار في الافاق استبشر الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ورفع
 الله القطن . فتنعموا نعيم اهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن .
 واتصل الخبر اليها انهما التقيا ساعة من نهار . وسلم كل واحد لصاحبه ما طلبه
 الاخر بالرضا والاختيار . ومن هنالك توجه ابو عبد الله محمد باي الى مدينة
 القديوان وبقي ابو الحسن علي باي حتى اخذ بخواطر اهل الجزائر ورجعوا الى
 اوطانهم واخذ يستجلب خواطر اولاد سعيد ويمكرهم . ورحل بهم اتباعا له
 ليصلوا الى وطنهم وفي صماتره نار تشتلي من فعالهم الخبيثة . واراد ان يجعل

لهم سمعة تغني عن اخبارهم القديمة والحديثة . ونزل بهم في الشخص على طمأنينة واراد ان يستاصلهم على بكرة أبيهم فغزاهم بليل بمن معه من خيل ورجل فسبق الخبر اليهم وانذروهم بعض اخوانهم من المشددين . واحاط بهم عند الصباح ونزل بساحتهم فساء صباح المنذرين . فانزل الله الرعب في قلوبهم واخذوا اخذة رابية . وتبدد شملهم ونهبت اموالهم فهل ترى لهم من باقية . وسبيت قساوم وبيعت اولادهم وحاق بهم مكروهم . وحل بهم من الهوان في السبي ما لا راحة اباؤهم . ووصل الخبر الى تونس يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وتسعين والثلاث فاطلقت البشائر في الحاضرة وفرح الناس بلخذهم كما يفرحون باخذ الكفرة ولما اكثروهم الى الاماكن التي تمنعهم من مساكن المرابطين . وتخصي الامر وقيل بعدا للثوم الظالمين . ولم ينج من شياطينهم الا من دخل تحت ثوب الغاس . او من اخذ في رقعة ومنع بالنفس والفرس . عسى الله ان يقطع دابرهم من الارض . ويسلط من بقي منهم بعضهم على بعض . ولما كمل الله لهذا الامير بالتأييد والنصر . وصار ذكرا خيرا لرواة اهل العصر . رحل من مكانه وتوجه الى الجريد كعادته ونزل قريبا من القيروان وانتقلت له امور اضربنا عنها وتوجه من هنالك الى قابس . وبعث محطته السلطانية كعادتها ونزل قريبا من جزيرة جربة فصالح اهلها واخذ في تمهيد تن هنالك من رعيته وسار فيهم برفق وعاملهم بما في نفوسهم ونزل بازاء الجبل لتسكين الفتنة التي وقعت به وهدن نفوس اهلهم ورجع الى بقيته ما له من المجابي في بلاد الجريد . ورجع الى حضرته سالما شامخا كما يريد . فلما قرب من القيروان خرج اليه اخوه لقصد السلام فعانق بعضهما بعضا ورقت نفوس الناس عند النظر اليهما وافترقا ورجع كل واحد الى مكانه . ووجه مساطنانه . وقال لسان حالهما هذه كرامته صرفها الله اليها . وتلا قوله تعالى انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا . ورصي كل واحد منهما على ما اتفقا عليه . ولتحكم في صالته واطلق ما شاء من يديه . فالحمد لله على هذه النعمة وذهب النحس عن اهل الحاضرة

وانصلاح احوال البلد واتى الله بالرحمة وانفرد ابو الحسن علي باي بتدبير
المجال السلطانية ، وتصرفت احكامه في اهل المحصرة والرمية ، ونفذت
وامره في الاقليم كما يشاء ، قل اللهم مالك ائلك توحي الملك تن تشاء ،
ورجع الى مستقرة وامنه واموره جاربه على الطريق المستقيم ، ذلك الفصل
من الله والله ذو الفصل العظيم ، وكانت غيبته هذه ثلثين شهرا ووصل الى
مستقر عزة يوم الثلاثاء ثالث ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين والف -

والقت عصاها واستقر بها النوى حكما فرينا بالاياب المسافر
وكان قبل وصوله بلغه الخبر بالواقعة التي كانت من قبل العسكر لما طالبوا
الداي جوارقهم وكادت ان تكون فتنة في المدينة وغلقت الاسواق ومدوا
الستهم وايديهم وقد مر سبب ذلك عند ذكر الداي المذكور واصرمت فار
الفتنة لولا تداركهم الله بمجيئه فهدن العسكر ولاطفهم وساسهم برايه واخذ
فأمرهم وهذا من بعض لطف الله الخفي ونزل بمستقر عزة بباردو ولم يدخل
الى المحصرة ، وفي اول جمادى الاولى من السنة ابتدا في اصلاح الوليمة
التي ختن فيها اخاه وابن عمه وأراد ان يجعلها مختصرة فجاءت على وفق
المراد وظهر فيها همته العلية والرتبة الملوكية -

واذا كانت النفوس كبسارا تعبت في مرامها الاجسام
واحتفل كعادة آبائهم وهرعت الناس الى التنزه والفرج ، وفتح الباب لهذه
الوليمة فدخل لها الناس من باب الفرج والفرج ، ونصبت آلات السماع
عربية واصجية وصنائع الشعوذين ، ومدت اسطة الطعام للاكلين ، والحلاوات
والغواكه بالليل المنتزمين ، وكانت تعد من الاعمار ولا ينكر هذه الفعال لمن
أمدته الله بعنايته لانه وعاباده واهل بيته كلهم ذورا شان ، وير واحسان ، وهذا
بنيانه في المعالي كبنائهم ، وبحد الزاخر في المكرمات اجتمع من خاسانهم -

وبحرك سن جازة يا علي لم يقبل الدر إلا كسارا
وحيث اتينا بهذه الببذة واكتفينا منها باليسير فانها نقطة من بحر ، وغرفة
من فهر ، وربما اعرب اليسير عن الكثير ، ولو تبعنا جلة اخباره مفصلة لصاق

بنا المجال ، وعجز القلم في ميدان الطرس وما جبال . وكيف لحصر اخبار
من رقي الى الرتب العلية بسيفه وجده . واحترى على مفخر واضافها الى
مفاخر ابيه وجده . كم هزم من صفوف وكم انفق من الوف . وكم من
غارات اثارها . وكم من حرب اخذ ناراها . وكم باشر بنفسه من حروب .
وكم هيجاء باشرته بوجه قطرب . وصبر في ساعة الحرب والنزال . والقي
بروحه الى لقاء الابطال . وصارت لوقائعهم سيرة اغنت عن سيرة البطال .
وان قالوا فترة الفرسان . قلنا لهم هذا فترة هذا الزمان -

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وان قدمت في اول الكتاب اخبار من سبقه من الملوك . فاني جعلته مسك
ختمهم ونظمت جواهر فعاله كنظم جواهر السلوك . لانه حاكم زماننا .
والمصرف في اوطاننا . والمناسك لازمة عناينا . الهمة الله الى طريق الخير
والسداد . وجعل الرحمة والرافقة في قلبه لصالح البلاد . وخلد عبده الصالح
الى يوم التناد . ولما طلع هذا البدر في سماء هذا المجموع . ثبت ان لا بد
للكواكب من الطلوع . ولا بد للبدر من هالة . ويراة الرائي على تلك الحالة .
وهذا الامير هو بدر الدولة اذا حل بموكبه . والهالة اعجابه ومواليه الخافون
به . فمن الروساء القاتمين باصلاح دولته . والمساعدين له في قوته
وقدعته . والباذلين نفوسهم مقداة لنفسه . والصارفين همهم في يومه واسمه .
فمنهم المتعدي برايه الصائب وقلبه الناقب . المشير والمستشير عند
مقارعة الكنائب . اعجمي الاصل وعربي التربية واللسان الفارس النجيب
محمد بن الحسن . وهو من اقرب احبابه وانصح اصحابه متخلق في لباسه
وفي مواعده باخلاق العرب . ومحافظ على اصلاح الدولة بحسن الادب .
تشهد العرب بذكاء عقله . وبمنازلة الحروب كابيه من قبله . فهو عمدة
وعدة . وياجرا لرايه في كل شدة . وله لطف الله به اولاد يضرب بهم المثل .
والشبل من الاسد ومن البطل البطل . ومنهم من يستخلفه في سفرة .
ولا يستغني عنه في حضرة . يقوم مقامه في محله اذا غاب . واذا حضر لازم

حدثه ومد الباب ، مولاة وتربيته نعماء . القائد مراد بن عبد الله رزقه
الله تعالى رضا . ورضى سيده ومولاة ، وهو من تعبه الرجية لرفقه . وحسن
خلقهم . وفيه لطافة وثيق . وجانب مثنى * ومحسن مواليه من يعتد
عليه في الحضرة بطسار . والمطلع على مكاتيبه الواردة بأخباره . الواقف
عند باب الرضاء وباب دارة . القائد مراد أيضا ابن عبد الله من رجال دولة
استاذة محافظ على الطاعة . وملازم للجماعة . وفيه تدين ومحبة للفقراء
وأهل الصلاح . ولم يشاركه في علم القيم يرجى له ببركتهم النجاح . هولا
أكبر مواليه . وأقرب من يليه * ومنهم الفارس . والبطل الممارس . المتمد
عليه في لقاء الأعداء . الملازم لسهوات الخيل ولوطال المدا . الصابر على
الغمرات إذا لثحت الحروب . والثابت الجنان إذا وجلت القلوب . القائد
مصطفى سنيول . وغير هؤلاء كثير لا يحصرني ذكرهم * ومن ذوي البراعة
والبراعة والأدب . جماعة من الكلب . أكبرهم وأكرمهم نفسا البقيع الأكل
النبيه . كاتب جده من قبل وكاتب أبيه . المتصرف في حسابات البلاد .
وهو في هذا الفن وإصابة الرأي وتد من الاوتاد . صاحب الخط العجيب .
والرأي المصيب . الزاهد في الدنيا وجريدها عند كعدم . الوزير الأعظم .
والفقيه الأفخم . والدستور الأكرم . صاحب العلم والثلثم . ومنصف المظالم
من ظلم . جمال الاسلام والمسلمين . وأجل الوزراء في العالمين . مهد الله
تعالى بحم الملكة وشده أزرها . ووصل أسباب الدولة وأعلى قدرها . كيف لا
وهو صاحب تدبيرها . والقائم بصلاح أمورها . والكافل أمر صغيرها وكبيرها .
من هو في الارض ظل الرحمان . والمأمور بالعدل والاحسان . راجي غفران
ربه الكريم . القاري ابن القاري أحمد سليم . برد الله تعالى ضريحه .
واسكنه من بحبوحة الجنان فسيحه . آمين * ومنهم أي من الكتاب
من شهد له في ذلك بالفضيلة والشرف . الفقيه عبد الرحمان بن أبي
القاسم بن خلف . من ذرية أولياء ترجى له بركة جده ورثها خلف عن
سلف . وفيه حشمة ووقار . وتلاوة لكتاب الله ومحافظة للآثار . سدد الله

حاله . وجعل للصالحات مآكده * ومسن الكتاب المخدم طيبهم في حسن
الخطاب . والخط المتصرف في فنون الاداب . الفقيه ابو عبد الله محمد عرف
دحلاب . وكان قليل الاعتراف بالدنيا * هولاء من مشاهير الكتبة . سلمهم
الله من كل نكبة . وغيرهم كثيرون . وما ذكرت هولاء الخدم الا بيانا لشرف
المخدوم . ولكي لا يظن الناظر في هذه الاوراق ان هذه الدولة سدى .
فلهذا اظهرت لهم علما ليكون لمن امره هدى * ومسن مشاهير الكتبة الفقيه
الاورع المودب الكاتب البليغ صاحب الخط البديع الذي يضرب به المثل
كأبن مقلة وياقوت المعصمين وانظارهما الفقيه محمد صدام عرف اليميني *
ومنهم الكاتب المتفنن ابو محفوظ محرز بن خلف هفيد الفقيه عبد
الرحمان السابق الذكر * ومنهم الكاتب الفقيه محمد فارس ولم في علم
اليقات ملكة وفيه نية وبلاهة وكانت بيني وبينه مطارحة في الشعر
المسحون . وغير هولاء كثيرون . وانما تعرف كل دولة برجالها . وتنصلح
امور الملك باصلاح بطانته اذا اراد الله اصلاح حالها . وهذه الدولة ان شاء
الله تعالى حلت بالسعود . واحى بها الفرح في القصور المشيدة من باردو
واخذ السعد في السعود . والايام ترفل في حلل شبابها كما يرفل صاحبها في
شبابه . والنصر والظفر مصاحب له في ذهابه وايابه . ولما طلع نور هذا
البدر في سماء تلك القصور . وتزينت تلك المنازة والقباب واحتملت لفرح
الظهور . وسمعت الناس اصوات الثالث والثنائي . وطربت النفوس لما
ترنمت الحان المغاني فكنت ممن شاقه الطرب . وساقه الادب . فنظمت
قصيدة واشرت فيها الى هذا الهنا . فان اصبحت فبسعادة الممدوح وان لم
اصب فمن انا . والله تعالى يديم عزة وجنابه العلي . ويجعله كهفا للمتجملين
اليه ولن يستغيث ولن يخيب من لجأ الى حماه وقسال يا علي . وهذه
القصيدة الموعود بها -

اتاك هناء بالختان مشاب وطالع سعد مقبل وشباب
اقامك فوق النيرين فمن يوم صعودا لمرقاه رماه شهاب

فلا تخش كيدا من عدو فانه
علوت على دست الرياسة يا علي
تباشرت الدنيا بغيرك في العلا
وجددت بالدار الجديدة موسما
وبالتقبة الحمراء عيشك يانع
منازل افراح لديك تجددت
حالت بها كالقدر بين كواكب
مفلخر من جد بجهد وعن أب
وبابك مفتوح لقصد مكارم
تهنا بهذا العز والدع طيسع
لك الله ما ابهى وابهر سوددا
وان كنت في سن الشبيبة فالعدا
وانك بحر المكر مات لمن يرد
لمن يرتجي صفوا لديك يناله
اذا ما بدا بدر جالك طالعا
ترفق فان الرفق منك سجية
تروع ابطلا وتائن خائفسا
فباسك للأسد العرين مروع
فكم من اعاد عن لقاءك تحيروا
وان غرقوا في بحر باسك فلتكن
وان جئت الايام منك فانها
فلا تبتس من كيد ضد فانما
ولا زلت عن رتب السيادة والعلی
وعمرک في عز وربعك عامر
وذكرک ما بين المحافل ذاتع

وحقك من سهم القضاء مصلب
قطتها كما تبغي خانت مثاب
فكم كبد للحاسدين تذاب
سما من بني حفص حضرت وثابوا
يروقك منها سائغ وشراب
تشرف منها منزلة وقبساب
ونورك باد ما صلاه صباب
ورائت مجد ليس ذاك عجاب
وقد سد عن نيل المكارم باب
لديك وهاتيك الجواسد خابوا
لغيرك عندي لا تشد ركاب
وحقك من صولات باسك شابوا
وغيرك فيه بلقع وسراب
والحد يا نجل الكرام صذاب
تمد الى ذاك الجمال رقاب
وانك ما تدعو اليه يجساب
وانك في ذي الحالتين مهاب
ولو مد ظفر من سطة ونساب
وصاقت عليهم بيذة ورحاب
نكال عليهم ما عليك حساب
انايت والسجاني لديك متاب
عليك من المولى الرؤوف حباب
ورايك في كل الامور صواب
وربع اعاديك البغاة خراب
يغني به لا زيشب ورباب

فخذ من ثنائي ما استطعت فانه بجهد مثل قد جناه صحاب
 اقلد در المدح جيدك والثناء كما الدر في جيد الملاح سخاب
 فانت محل المدح ان جاء مادح وكل الذي فوق التراب تراب
 ولما ذكرت هذه القصيدة وانبتها في هذا المحل وجب علي ان اثبت
 القصيدة التي مدحتهم بها يوم لبس الخلعة السلطانية ، وخرج تحت السناجق
 الملوكة . وكان يوما من اعجب الايام . وطلع بين الصفيين كالبدر من تحت
 الغمام . فقلت فيه -

بدر السما ام نور وجهك يزهر	لما خطرت بحلة تنبخر
هي خلعة خلعت فلرب حواسد	لكن بها احبابكم تستبشر
فاعجب لها من خلعة ديباجها	يسبي العقول ونور وجهك انور
حلل الجمال مع الجلال وزدتها	عن حسنها وجمال حسنك ابهر
ما عاين الرائون حسنك باديا	الا وحقت هلموا او كبروا
تحت السناجق قد بدا لالاوه	نور على عام ووصفك اشهر
يوم لبست المجد كان ثنساوه	بين الخلائق في المحافل يذكر
ما البدر في افق السماء ونوره	بادي السناء فنور وجهك ابدر
قاسوك بالشمس المنيرة يا علي	بين الكواكب في العلا تنبخر
لله سر في علاك وانـــــــ	يا كامل الاوصاف سر مظهر
ورايث نعمانا بخدك مشرقا	لي من بها تلك الشقائق منذر
وجهر الغزاة والغزال والمحظـ	تحت البيارق غير انك قسور
ولقد رقيت من المعالي رتبة	الوصف بين الناس عنها يقصر
واستبشرت افاق تونس مذ بدا	سعد السعود على المنازل يقمر
جر السحاب الذيل عن ارجائها	والرعد زمزم والحياء مشطر
من كان مثلك في الرئاسة معرقا	لاصيب فيه اذ يقول ويشخر
الناس من ماء وطن اصلهم	فاعجب لذلك واصل مجدك غير
من جود الحال الزكي فلم يخـ	نسلا ومثلك بالرئاسة اجدر

يا عال بيت شاد حسن صنيعكم وروى ثنائكم في البلاد المخبر
 الدهر منقاد لكم ما تامسروا طوعا لديكم اوردوا او قصسروا
 طاب الزمان بكم وزان بفعلكم كرمتم اواخركم وطاب العنصر
 من قال تانير الكواكب في الوري فالفعل منكم في النجوم يوشر
 المجد مجدكم وعبد ركا بكم مهسا فعلتم ثلثوا او كثروا
 عش يا علي في هنا مستقبل لا تختشي من دهرنا ما يحذر
 عطر الشا يروي عليك ولم يكن يوفي بحقك ان فخرت اعطر
 الله اولاك البلاد فلم تسزل تنهى بما توصى النفوس وتنام
 وهذه القصيدة لم تعرض على سمعه الكريم وانبشها هنا اضافة الى مالي
 فيه وصي ان ثبت غيرها فيما يستقبل وتقدمت لي قصيدة اخرى
 وهي من القصائد التي عرضت على سمعه ومحلها تقدم ولكن نضمها الى
 احبابها وهي هذه -

وثقت بنصر الله تم لك النصر وقد احتباك العسر جملك اليسر
 علي علوت الناس قدرا ورفعته تسامدك الدنيا ويخدمك الدهر
 فجدك منصور وانت موييد وربك فعال وقد قضى الامر
 وان مكر الاعداء بسوء فعالهم فصاحب مكر السوء حل به المكر
 وما عذرهم والظفوم منك سجيصة اكان نهار الكاف في غدرهم عذر
 الما يروا في يوم وسلاط ما جرى على صخرة لو كان يستخبر الصخر
 وجرسبب في سبيبة قسادهم الى اسرهم والظفوم من به الحسر
 وقد فرست اوراقهم بعروسة وبعد عروس لا يكون لهم طر
 لك الله كم تغفر قبيح فعالهم ولبس لهم عما مننت به شكر
 علي ابا الهيجاء تنحو لنحوهم حروبا فلا زيد هناك ولا عمرو
 فلا سيف الا ما هزرت ولا فتى سواك لها يرحى اذا صعب الامر
 ويوم التقى الصنان يوم مجمل فاولم حشر وعخرة نشسر
 بعثت لهم بالرحب كل كشيبة طورا تؤم الحرب يقدمهم صقور

وجيش خيس بالكفاءة ثمسده
 على صافنات من جياذ سوابق
 راوا عجبا ما يذهل العثل دونهم
 سماك قتام والنجوم أسسده
 فولوا حيارى والنبايا ثوابسبع
 وقد وردوا حوص الردا بصمودهم
 كتبت يهندي خطوطا وأعجمت
 فاعسوا سكارى من كئوس ميثه
 فصالت على الاقدام منهم رؤوسهم
 وكم هارب تحت الظلم بروحه
 واطلعت الافاق عنهم فلم يسن
 يود ظلام الليل مد رواقسده
 وفرق بين الهام والجسد الذي
 وان بكت الخنساء عن فقد صخرها
 تنقاست الافعال منك ومنهم
 وكم نظموا كيدا فلم يغن عنهم
 علي همام زاده الله رفعسده
 امير جيوش العز في دولة الهنا
 قراه اذا ما جئتم في مهسده
 عليه من الروحان كل تحيسده
 ولا زال اهلا للمحامد والثناسا
 وهي قصيدة طويلة ولكن اقتصرنا على بعضها . ولما قضى الله تعالى ويسر
 بالسعادة عرضت على مسامحه ما امليتم من بعض محاسنه ومحاسن ابيه
 وحده ولم يكن لي فضل فيما جعلتم الا اني التقطت الجواهر من بحرهم .
 ونظمته في سلك الاماجد الذين من قبلهم . وان كان لهم التقدم بالسابقية

فان في الخير معنى ليس في العنب وان كنت ممن ليس له يد بهذه الصناعة . وانيت الى سوق فصله بهذه المزجاة من البصاعة . فقبلها وقابلها بقبول حسن . جعله الله في بركات سميه ابي الحسن . ففمرني بفضله واحسانه . واجازني جائزتين يمدده ولسانه . وما عسى ان اقول في سن الهمة الله لتدبير الرعايا . واجرى على يديه الاحكام والعطايا . اصلح الله حاله في دنياه وءاخرته . وعائاه كفلين من رحته . ولما عزم ركابه الشريف على التوجه بالمحلة كعادته ابتدا بزيارة الزوايا للتبرك كعادة ابيه وجده . فزار الشيخ سيدي محرز بن خلف والشيخ سيدي ابا القاسم الجليزي والسيدة عائشة المنوبية وطلع لجبل الجلاز وصعد لمقام الشيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي على اقدامه تقبل الله سعيه وزار عدة اماكن اخر واحسن الى اهلها وبعث لعدة مشايخ بالاحسان . ثم رجع الى منزله بباردو واول جمعة من رجب الاصح دخل الى تونس وزار الشيخ سيدي احمد بن عروس وصلى الجمعة بالجامع الاعظم وعند انفصاله خرج الى زيارة والده وتناولت لاعتناق لرويته فادى حق الزيارة ودخل الى دار سكنى ابيه وجده وجاءه حاكم البرقة الى مكانه ففنى حكمه بالتسليم ثم عاد الى منزله بباردو ويوم الاحد ثالث رجب توجه الى القنطرة واقام بها ثلثا ومن هناك سافر الى عمله اعاده الله سالما . وحيث ذكرت القنطرة وجب ان نذكر بعض محاسنها لانها من المتنزهات الغريبة في الاقليم الافريقي . وهذه القنطرة من بناء جده الامام المرحوم برجته الله تعالى صاحب الخيرات والصدقات ابي المحاسن يوسف داي رحمه الله بناها من ماله احتسابا لله ليتفجع المسلمون بها وانفق عليها اموالا جمة وكان بناءها سنة خمس وعشرين والفس فجاءت من احسن ما يكون وجعل بها ارحاء تدور بالماء وبني بها برجا لطيفا . ولما سار الى رحته ربه تولع بها خادمه نصر الطواشي فزاد فيها عدة بساتين ومن بعده تولع بها المرحوم احمد شلبي وشيد فيها المنارة الرفيعة واهتم بها غاية الاهتمام حتى جاءت صنع الله . ولما سار الى رحته ربه ووقعت الفتن كاد ان يتلاشى حالها

فتداركها بعزمه وحزمه المكرم علي باي فزادت محاسنها على ما كانت عليه وصارت من الاماكن التي يصرب بها المثل . وحدث احسن مما كانت قبل . فلو نظرها بديع مراكش لقلنا له انت بدعة وهذا هو البديع . وان شمع ايوان كسرى فانه تهدم وعلا هذا البنيان الرفيع . وان فخر النعمان بن المنذر بيناه الخورنق والسدير . قلنا هذه القنطرة ومنازلها والوادي والغدير . كيف لا تقهر هذه البقعة وهي ذات المنارة والقباب التي حيطانها ذات العماد . وشيدت معالمها ونزحرفت بالنقوش المذهبة حتى قيل لم يخلق مثلها في البلاد . وصنعت العجائب على حافتي الوادي . وجاءه طائعا فتبا لشهود الذين جابوا الصخر بالوادي . وبكت حامة بدموع نواعرها وزاد حنينها لما صارت أختها بالغرب . ودارت دوائر نواعرها وفقدت قلبها فهي تدور على القلب . وكان هذا الدولاب الذي احدث بالقنطرة على طابع مجردة احسن مما عمل في حجة واولى . وان كانت نواعر حمة اسبق بالزمان فالآخرة خير لك من الاولى . وهذه الابنية التي تمت محاسنها تذهب عن قلب ناظرها الوحشة . فلو رءاها انوشروان لقال لصاحبها انت انا وهذه قصور الدهشة . فمن نظر الى تلك التماثيل المصورة حكم بذوقه ان ليس لها مثل . ومن يزد الاكثار في وصفها فعليه بالقال والقليل . وبهاء فردوسها يشوق ناظره الى فردوس الجنة . وبه من الفواكه العجيبة ما لا يوصف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله الفضل والمنة . ولقد تنزهت في تلك المحاسن . ونظرت الى عذب الماء الذي هو غير هاسن . وقد جرت جداوله ودخلت البستان فصار مروجاً . وتطلعت الى البرج العالي المطل عليه فتلوت تبارك الذي جعل في السماء بروجاً . ونظرت الى الكشك الذي في صدر الايوان وهو مطل على الخليج . فعابنت من نقوشه وصناعاته التي اوتيت من كل حسن بهيج . فجعلت فيه صدة ابيات تحسن ان تكون تاريخاً لمحاسنها . وتساءلت بالسعد في مصارع التاريخ وهو طالع السعد لسكانها . فقلت -

فسردوس قنطرة يا طيب الارج تبارك الله عن ذي المنظر البهيج

يسقى بماء معين من ينبعسه فويسر الشرب طيبا لينا لرج
ومنية النفس ملء العين رويته تنفي الهموم على ذي الباطن السمع
يا ايها الملك اليمون طلعتهم تنفي من الضيم بالارواح والمهج
تباوكت الله عن لفظ يورخها قد جاءك السعد في العالي من البرج
وهذه المنارة التي هي بالقطرة من اعجب المنزهات . واعجب من ذلك
السعادة التي حفت بها من هاي البايات . وكان الناظر على بنائه . المتصرف
في اتقانه برايه . البازل همته . الملازم خدمته . الواقف ضد الاوامر
الشريفة . المشيد لتلك البناءات المنيعة . الناصح الوافي . عبد الرحمن
حرف الرفاعي . وهو من رجال الدولة العلوية . وله قتل ثاقب واخلاق
مرضية . وفيه طلاقة وجه ولين وعقل رزين والمخاض يدل على المتخدم . ولكل
مقام مقال معلوم . ولما حل ركابه الشريف بها اقام ثلثة ايام . ورحل منها
كالهلال وعسى ان يعود كبدر التمام . فتوجه الى الكاف متوكلا على ربه .
فقال امينته وبلغ ما اراد من اربه . ولقد سمعنا بيوم وصوله فكان احسن
وصول . ويوم دخوله قابلهم اهل البلاد باحسن قبول . وخرج الى لقائه ابن
خرطان وابن يوسف بمن معهما من جماعة الصبايحية . واديا حق الطاعة
فرضيت عنهما تلك الاخلاق الرضية . ودخل البلاد بهمة ملوكية . وتفرجت
اهل البلد في تلك الطلعة البهية . ولم يبق من اهل الكاف صغير ولا كبير
إلا من كان تحت اللحد . وكان يوما مشهودا سر به الشاهد والمشهد .
واطلعت البشائر في البرج وتكلمت بافواه المدافع . وتمشت اصواتها
واسمعت من به صمم وقالت هذا هو الفخر الذي ليس له مدافع . وبلغني
ان عدة المدافع التي اطلقت ذلك اليوم تنيف على السبعين . ولم يحص
احد عدد الزرايز والخزائن و بقيت من اول النهار الى حين . وتم الفرح بهذا
الفتح الجسيم . ذلك الفصل من الله والله ذو الفصل العظيم . ولما استقر في
دار سكناه . وبلغ ما تمناه . اقبل الناس بالسلام عليه . وما منهم إلا من
خصم وقبل يديه . وهنا نكثت تدل على ما فيه من الطرافة . وتعلم ان

أخلاقه مجبولة على السياسة والرافة . وهي أن جماعة من التعصبين
كاتبوا من بالحصار وحذروهم بطشه . فأراد بسياسته أن يذهب عنهم
الوحشة . فبعث اليهم صاحب سره . الواقف عند نهيم وأمره . المتخلق
بأخلاق العرب . المتسمي إلى العجم في النسب . الشيخ محمد بن الحسن .
وكان سفيرا بينهم في أول الأمر وفي آخره بالغ فأحسن . وكان أهل الحصار
في ريبة فازالوها . وأمانهم متعلقة بالخوف ففك عقالها . ولما أراد عاقبة
الحصار أن يؤدي حق الطاعة . وأن يتنظم في سلك الجماعة . هبط من
الحصار على وجل . وتردد خاطره بين الأمن والأجل . فقال بعض أصحابه
لمحمد بن الحسن سر معه ليحصل له الأمان . فاقسم أن لا يرح من مكانه
إلا أن يرجع صاحبكم حيث كان . وهذا من ظرفه وهو به أمثل . والرسول
صفة المرسل . ولما وصل الاشته إلى حصرة الباي قابله بلحسن . ووجد
له ما كان إعطاءه قبل ذلك من الأمان . وخلع عليه كركا كان أحده له من
قبل . ونشرت رايات العز على رأسه وضرب الطبل . ورجع إلى مكانه سالما .
وبالقبول والإحسان من الباي غانما . وهبط بعده محمد الملقب كاهية الحصار
المذكور . ومعه الانساباشية فقابلهم بالهبات والسرور . وكان دخوله
إلى الكاف في الخامس عشر من رجب الفرد . فنال من بركة هذا الشهر ما
لم ينله أحد . وبقيت البشائر ثلاثة أيام . وظهر فيها من الطاعة ما ظهر
من العصيان في خمسة اقوام . وفي السابع عشر منه تزوج بكريمة من كرام
الاقبال . جعلها الله بالوفاء والبنين والاقبال . وطلع في العشرين إلى الحصار
وتنزه في مناظرة . وأحاط خبرة بما فيه من أوله إلى آخره . وانعم على من
به بأحسنه ولسانه وبالسبح في الأكرام وتصلوا بالاعتذار وهربوا من نار
العصيان إلى جنة الطاعة فصارت عليهم بردا وسلاما وهو متاهب للروح
إلى منزله ودياره . ليصوم شهر رمضان المعظم ويتلا من مأربه وأوطاره . والله
يبلغ لكل نفس مشاققة إلى روية أهلها . ويعيد شمس طلعه إلى بروج
سعادتها والشمس تجري لمستقر لها . وهنا ما انتهى به خبري . وما أمليته

من ذكرى ، وما التفتت هذه الجواهر إلا من بحره ، ولا تعلت النظم إلا من
نثره . وإن مد الله في الاجل ، وجعل فسحة في العمر والامل . لاجعلن
كتابا مستقلا واشحنه بجميع مآثره . وارصعه بدرر محاسنه من اوله الى
آخره . أن شاء الله . والله يبلغ كل نفس ما تشاء .

الخاتمة

وفيهما أربعة فصول

الفصل الاول

قد تقدم في اول الكتاب التعريف بتونس وما نقلته من اقوال المؤرخين
هل هي قديمة او محدثة والذي صرح هذه انها محدثة مشى على قول
العلامة ابن السمعان ولكن لم يشف الغليل فيما نقله عن المؤرخين وهو
من العلماء الراشدين وكان في أيام ملوك بني أبي حنص واسط دولتهم
وكانت تونس في زمانه في غاية الشرف مشحونة بالفضلاء والعلماء ومن
يقتدى بهم وصنف كتابه للخليفة أبي عمرو عثمان والعجب لم كيف
رعي بهذا القدر اليسير وقصر في اماكن كثيرة ونهت على بعضها وعجزت
عن البعض لحشمتي منه لاني لست بكفو له . ولما تكلم على اصل تونس
وبنائها لم يستوف الكلام عليها إلا أنه قال احدثت بعد الثمانين من
الهجرة الى آخر ما ذكر وقد تقدم في اول الكتاب وعملت بعض امور ما
ذكرها وربما ذيلت عليه وعملت ما قاله غيره ولكن بقيت امور تمس بهذا
المحل تأتي بها أن شاء الله ونذكر بعض امور حدثت في هذه الدولة
التركية وبعض امور وقوانين احدثت بعد الدولة الحفصية وبعض امور
باقية على حالها كما كانت عليه الى ان نستوفي ما نقدر على جمعه
ليكون ملأ من يأتي بعد ان شاء الله تعالى . وقد تقدم ان الذي صرح
صدي انها قديمة من بناء الاول وانما فكتحت في زمن حسان او في زمن
زهير على اختلاف في ذلك بين المؤرخين وانها كانت مسورة ولها خندق

يدور بها . ثم ذكرت ان المجاري على السنة اهلها ان السور من بناء الشيخ سيدي محرز وهذا القول عليه اجماع اهل تونس وكنت اعتذرت في الاول وطلت قولهم بقولي ولعلم جدده بعد المحنة التي وقعت على اهل افريقية من ابي يزيد الخارجي وقد تقدم اكثر هذا الخبر والان اقول ان السور الموجود في زماننا هذا هو غير السور الذي بناه الشيخ سيدي محرز رحمه الله والذي بناه الشيخ دثر ولم يبق منه شيء والله اعلم واظنه هو الذي كان دائرا بالارياض الذي منه باب الخضر وباب ابي سعدون وباب الاقواس وباب الفلاق وباب علاوة وغير ذلك مما هو معلوم عند اهل تونس وبشهادة لهذا ما ذكره ابن السماع ان ابن قافراجين جعل نصف كراء المعاصر او ثلثه وقفا على بناء السور البراني وان الاوقاف التي هي الان على السور من تلك الاوقاف والله تعالى اعلم . وبقيت من هذا السور بقية الى آخر ايام بني ابي حفص لان احوال البلد تغيرت وتلاشت في آخر الدولة ما كان يقع بينهم من الافنان والحن ونحن في طرف من ذلك نسأل الله اللطف بمنه وكرمه وكذلك المكان الذي يقال له الفلة بمقربة من الجيارة خارج الربض القريب من مقابر الجلاز وانما سمي بذلك لانه كان ملته في السور المذكور ولما دهم اهل تونس العدو من النصارى وفروا بانفسهم خرجوا من هنالك خيفة ان تؤخذ عنهم الابواب فخرج اكثرهم من هنالك فكان يحول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة او خرجنا من الفلة وهذا الاسم باق الى اليوم . وسمعت ايضا هذا الخبر من رجل حديثه ممن ادرك تلك الحادثة والله اعلم بحقيقة ذلك . وكذلك لم تكن تونس في اول امرها قاعدية من القواعد لانها ان كانت مما فتح فتكون احوالها تلاشت او لم تكن عامرة كغيرها وان كانت محدثة فقد تكون صغيرة في اول امرها ثم تزايد امرها بعد ذلك ولكن الذي نقله ابن السماع مخالف لما ذكرناه لانه قال كان ابو جعفر المنصور العباسي اذا جاءه رسول من القيروان يقول له ما فعلت احدى القبروانين تعطيما لهما وهذا يدل على انها كانت في غاية العمارة في ذلك

العصر والله اعلم . وايضا لم اجد من تصدى لها او دون فيها الا ما ذكره ابن
الشماع او من تعرض لها غفوا من غير قصد ويمكن ان تكون فيها عدة
دراوين الا انها نهبت في تلك الفتن او ان عمالها كانوا يحرقون اهل هذا
الفن لحقارتهم عندهم ولكن ابن خلدون كان من علماء هذه البلاد وله تاريخ
يعد من التواريخ العظام حتى انه لما حصل في يد تيمور فما انجاء من شره
الا هذا التاريخ لغرابته ولولا خوف الملالة لاستوفيت قصته الى اخرها .
ونرجع الى تونس فنقول انها كانت احوالها متلاشيت ولم يكن لها ذكر مع
القيروان . وانما ابتدأت في الزيادة والنمو لما سكن بها بنو الاغلب ولما
تغيرت دولتهم ببني عبيد كانت دولتهم بالمهدية والمنصورية والقيروان ولما
تملكت منها جرة على افريقية كانت عمالهم بتونس وعصت عليهم غير
مرة وقدم اهلها احمد بن خراسان ورضوا به فكان يذب عنهم وبنيه بعده
فكانت احوالهم مثل الشابييين بالقيروان واحدهم الشيخ الذي بمقبرة
السكاكين باراء دار الحاج محمد لاز والناس يقولون انه من السلاطين
العادلين ولم اقف له على ترجمة لاصحح خبره . ثم لما اراد الله باصلاح
حالتها قامت بها الدولة الحفصية فعظم قدرها بين البلاد وما ذلك الا
لانهم قاموا مقام الخلفاء وخطب لهم بامير المؤمنين وجعلتهم البيعة من
الاندلس ومن مكة شرف الله تعالى قدرها سنة سبع وخمسين وستمائة
فحيثما هم امر تونس وشدت اليها الرحال وهوجر اليها من كل البلاد
وكنتم متشوقا الى الكشف عن هذه البيعة واي شيء كان سببها وسالت من
لم اعتناء بعلم التاريخ فلم يكن عنده جواب الى ان فتح الله علي بعد زمان
وذلك ان الخلافة العباسية كانت ببغداد وانقضت في سنة ست
 وخمسين وستمائة على ايدي التتار لما قتلوا الخليفة المعتصم وبقيت بلاد
المشرق ثلاثة اعوام بلا خليفة الى ان بويع بمصر الخليفة العباسي سنة
ستين وستمائة وكذلك بلاد المغرب ضعفت بها الخلافة الموحية وانهدمت
قواعدها فاحتاج الناس الى خليفة فلم يكن اقرب منهم لما ادعوه من النسب

وأنهم من قريش من بني عدي من جماعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 فحينئذ ارتفع ذكرهم وعبرت البلاد وجاءها الناس من اقطار الارض وكثرت
 علماءها وانتشر ذكرها في الافاق بحيث اذا قالوا علماء أفريقيا في هذه المدة
 انما يعنون بها تونس . وكان بنو ابي حفص يجعلون العلماء ويحافظون
 على الشرع ممثلين لامره واخبارهم في ذلك شهيرة . وكان بتونس اربعة
 من القضاة قاضي الجماعة وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي
 الاهل وقاضي الجماعة عبارة عن قاضي القضاة بالشرق . وكان بالحصرة عدة
 من المفتين فمنهم من يكون متصدرا لها بالقلم ومنهم من يتصدر للاخبار
 فقط وانما تنفذ الاحكام على يد قاضي الجماعة يتصرف في الاحكام الشرعية
 من غير مطلع عليه . وفي المائة التاسعة ظهرت رتبة المفتي وصارت
 ارفع درجة من درجة القاضي واذا اشكل على القاضي بعث الى المفتي
 يسأله ولا سيما في هذه الدولة التركية فان القضاة تجيئها من بلاد الترك
 والغالب عليهم العجوة ومذهبهم مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
 واهل الحصرة على مذهب الامام مالك امام دار الهجرة رضي الله عنه فاحتاجوا
 الى نائب يكون بين يدي القاضي فيكون بمثابة قاضي الخصومات
 والقاضي التركي مقام قاضي الجماعة . وكان بنو ابي حفص يجعلون
 يوم الخميس لاجتماع القاضي والعلماء في مجالسهم وتنفذ بين ايديهم لاحكام
 الشرعية وذلك في كل اسبوع وتلقى بين ايديهم المسائل المعضلة والمباحث
 بين العلماء والاحكام تتصرف بين يدي السلطان فلا يقع بين يديه من
 الاحكام الا ما هو مشهور بين العلماء وذلك المجلس ساعة من نهار وباقي
 الايام يتصرف القاضي في احكامه في دارة او مكان يختص به . ولما جاءت
 الدولة التركية وصارت القضاة من تلك الديار كما قدمنا احتاجوا الى
 مجلس كما مرث به العادة فجعلوه بين يدي العامل وهو المعبر عنه بالباشا
 بلغتهم فيجفل في مجلسه في دار الخلافة وهي التي يقال لها دار الباشا وان
 لم يحضره فالخليفة الذي لم يحضر القاضي والمفتي ونقيب الاسراف

تبركا بالنسب الشريف وتلقى بين أيديهم المسائل المشككة وذلك لما جرت به العادة والعمل بالمحضرة أن المذبح عليه إذا لزمه شيء عند القاضي وخاف من الميل عليه يقول أنا بالله وبالشرع وبالمجاس فيتوقف امره إلى يوم الخميس فإذا حضر اليوم المعلوم رضي بما يحكم به عليه هذه القاعدة إلى يومنا هذا وبزيادة وأنه لما صار المحاكم بها كما قدمنا سرداراً على العسكر وأنه كالناظر على العامل وهو الدولاني بل أن العامل لا حجة له معه صارت الأحكام تنصرف في المجلس وبعد تمامها يخرجون بأجمعهم القاضي والمفتيون ويمضون إلى دارة ويخبرونه بما وقع وبجميع ما حكموا به وربما يتوقفون في معضل لا يتم امره إلا بين يديهم أما لشاغب بين الخصمين أو لالتجاء أحدهما ببعض الامراء فلا يتم إلا بحضرتهم وهلم جرا . وفي الدولة التركية كان يحضر بهذا المجلس المذكور أربعة من المفتين حتى إذا مات أحدهم قام آخر عوضه إلا أن في يومنا هذا ليس بها إلا مفتيان لا غير . وفي أول ولايتهم لم يكن لهم مفتي حنفي إلا القاضي وكان الشيخ محمد بن أبي ربيع ممن يتعاطى حل المسائل من مذهب أبي حنيفة حتى نشأت منهم جماعة تعاطوا المذهب هنالك وذاع بينهم وشاع فقدموا مقابلة على مذهب الامام أبي حنيفة وأول تن تصدر لهذه الرتبة الشيخ أبو العباس أحمد الشريف الحنفي وذلك بعد الأربعين والالف . وأما الذين على مذهب الامام مالك ابن انس فكانوا في أول الدولة أربعة ولا يتقدم أحد لهذه الرتبة إلا صاحب فدين وهنفي وكذلك الباشوات الذين كانوا في أول الدولة غالبهم كان على منهج وفيهم من كانت له خبرة بالعلوم وسمعت ما حكى عن أحدهم وهو فاضلي باشا وكان بعد العشرين والالف من الهجرة وهو آخر باشا كان مقامه بالقصبة ولم يحكم بها أحد بعده من الباشوات كتب بين يديه كتابه تذكرة لمن يتعاطى حسابات المعاصر فكتب هذه اللفظة بالسين فقال المعاصر . ولما وقف الباشا المذكور على هذه الكلمة قال يا حسرتاه على فاضلي باشا كاتبهم لم يشرى بين السين والصاد وهذا دليل معرفته ونباعته رحمه

الله فإذا كان الباشا بهذه المنابة فاحرى ان تكون العلماء اعلى من ذلك
 وكانوا اذا حضروا بالمجلس انما يكون منهم الاختبار بالامور الشرعية اذا
 سئلوا عنها وينفذ احكامهم حاكم الوقت ، واول من اظهر لهذه الرتبة تعظيما
 وزادها بهيئتهم فقهيها الشيخ ابو الحسن النفائي ابن الشيخ سالم النفائي
 وسكان الشيخ سالم مفتيا في اول الدولة معاصرا للشيخ قاسم عظم والشيخ
 ابراهيم والشيخ محمد قشور وكلهم على طريقة حسنة رحم الله الجميع . ولو
 تتبعنا اسماء من ولي منهم الفتيا لعجزنا من حصرهم لغوات عصرهم ويعز علي
 اذ لم ارهم وانما اذكر من ادركته وشاهدته والشيخ ابو الحسن ممن رايتهم .
 وكانت بينه وبين والدي صداقة وكان عظيم الحجاب رفيع الجنب وعاصرة
 في وقته الشيخ ابو يحيى الرصاع وتصرف في حياته والشيخ محمد ابو ربيع
 وهو ممن شاهدته ايضا وكان صديقا لوالدي والشيخ ابو الحسن اتقدهم كلمة
 واصلاهم جماعا فكان يصرف في المملكة تصرف الوزير المستشار بحيث
 انه في احكامه — اذا قالت حدام فصدقوها — وتسام البيت معروف ،
 وكان قبل ذلك اهل المحصرة اذا ترتب على احدهم حق بالاحكام الشرعية
 وحكم الحاكم او افق المفتي بغير المشهور رفع امره الى بعض العلماء فيجبرونه
 بما عليه العمل وربما اطاعوه على محل النازلة او يقولون له المسألة في كتاب
 كذا وفي موضع كذا وان كانت له خبرة او قنوه على مسأله ثم اذا حضر
 بالمجلس الشرعي تكلم بهجته وقال مسألتي كذا وكذا وتقع المشاجرة بينه وبين
 من قال بخلاف قوله وهذا مما يتجربا به العوام على اهل العلم ولما سافر الشيخ
 ابو الحسن المذكور الى الديار الرومية في مهم اقتضى ارساله جاء معه خط
 شريف من الباب العالي وانه لا يسال عن نص افق به ولا يرد ما حكم
 به فانحسرت هذه المادة ولم يتعرض احد لذلك فيما بعد وبه جرت العادة
 الى يومنا هذا ولم يزل في رتبة حالية مدة حياته ومات من كان معاصرا له
 وانفرد بالكلمة هو واخوه الشيخ علي النفائي والشيخ محمد النفائي ، ولما
 كانت سنة تسع واربعين والبق وشي به عند حاكم الوقت يوسف داي .

وشدعت على الشيخ ابي الحسن مسائل شنعها عليه بعض الصكارهين ثم
 فتغير عليه حاكم الوقت المذكور فخرج الشيخ الى ناحية المشرق لزيارة
 النبي عليه الصلاة والسلام فمات في الطريق في مكان يقال له البنع وقبر
 هناك وقبر مشهور وقام اخواه مقامه من بعده . فلما تولى اسطا مراد الدولة
 فكبهما واقام بدلا منهما الشيخ ابا الفضل المراتي والشيخ احمد الرصاع
 وكانت بين الشيخ ابي الحسن والشيخ ابي الفضل المراتي صفائين في
 النفوس موجها حب الرئاسة فلما حلت باخويرة هذه النازلة كان ممن
 افاق بقتلهما فضلا عن العقوبة فنجاهما الله وصودرا بالمال . ولما تولى احمد
 خوجة منصب الدايات بعد اسطا مراد طلبا منه الاذن الى الحج الشريف
 فاذن لهما ولما بلغا الى الديار المصرية والحجازية كتبها سواليا على حسب
 النازلة التي نزلت بيما وبما افاق به الشيخ المراتي فافق طلبا المشرق بما
 وافقتهما وبعد تمام الحج رجعا الى الديار الرومية وعرضا امرهما على الابواب
 السلطانية فقبلت حجتهمما وكسبت الاوامر على وفق مرادهما واقام الشيخ محمد
 في تلك البلاد وترقى الى رتبة الموالي الى ان مات هناك في حدود السبعين
 والالف وله عقب هنالك ورجع الشيخ علي الثفاني الى تونس واستقل بمنصب
 القضا من غير منازع وعزل المراتي وصاحبه احمد الرصاع ولم يزل في وثبته
 فافذ الامر وموافقهم في المنصب الشيخ احمد الشريف الحنفي السابق ذكره
 ومن بعده الشيخ محمد بن مصطفى الازهري فزيل تونس الى ان مات الشيخ
 علي في مرة بعد الستين والالف فعند ذلك استقل الشيخ محمد بن مصطفى
 وانفرد بالمذهبين الى ان توفاه الله سنة ست وستين والالف . فاقم بدله
 الشيخ مصطفى بن عبد الكريم فتولى رئاسة الحنفية لا غير واعيد الشيخ
 المراتي والشيخ الرصاع الى مكانهما . ولما كانت سنة اربع وسبعين صرف
 الشيخ مصطفى عن ولايته الحنفية واقام بدله الشيخ ابو المحاسن يوسف
 درغوث فباشر المنصب بتعفف وامسك وصلابة في الحق ووقوف عند الكلمة
 فكانت تحدث من الشيخ المراتي دفوات ياخذها عنه الشيخ يوسف

المذكور ولم يتم له قولا ويعارضه في سخطانه الى ان تسبب في عزله
وبقي معه الشيخ احمد الرصاع وليس له مع الشيخ يوسف إلا الاسم والشيخ
يوسف صاحب الحل والعقد الى ان مات في الواقعة المتقدم ذكرها رحمة الله
عليه . ولما قدر الله تعالى بالطامة الكبرى وهي الواقعة التي كانت بين
العسكر والمرحوم مراد باي وقد تقدم ذكرها كان الشيخ المسراقي احد اسبابها
وهو الكاتب من املاته الهجته التي شنت عليه فلما لم يتم ما اراده وانصر
الباي المذكور وعاقب سن عاقب عن بيئته وفتا عن عفا عن بيئته صادر
الشيخ المسراقي ونكبه واراد قتله فشفع فيه صهره ابو العباس الشيخ احمد
الشريف فشفعه فيه وذلك سنة اربع وثمانين . ثم ظهر للمرحوم برحة الله
مراد باي ان يولي هذا المنصب الشريف لمن يكون اهلا له فوق اختياره
على شيخ الوقت بالاطلاق . وتن شددت الرجال اليه من جميع الافاق . الشيخ
العالم العلامة . الحبر الفهامة شيخ مشايخ الديار التونسية . وتن يشار اليه
بالبنان في العلوم الموسوية . وتن تفتخر به الفضلاء من امة محمد . وتن سعى
بسعيه المشكور وعلمه المبرور وادركته بركة سبيه لما سمي بمحمد . المتفنن
في العلوم العقلية بما رواه عن الثقات . المتصرف في الغوامض العقلية بممارسة
العلوم وبالحفظ والشبكات . الذي طلع في سماء البلاغة بعلم البيان فظهر
القطب . ونجا نحو المعرفة فذاخرنا به العرب . الهمام الامجد الشيخ ابي
عبد الله محمد المدعو بفتانته . سلم الله من كل الحوادث ذاته . وصرف عنه
كيد الكاهنين . وجمع احبابه بعلومه الشريفة وحياته الى حين . وبشهادة
الله لم استوف حقه فيما قلته . ولم اك من المتعصبين في مدحه بما
قلته . ولم يكابر إلا تن طبع على قلبه . وانقطع سبيه من سبه -
وتن يقل للمسكت اين الشذا ككذبه في الحال من شمه
ولما عرض عليه المرحوم مراد باي ان يتولى هذا المنصب ابي ذلك . وانتع
سن التعرض لهذا الامر الخطير والدخول في صيق هذه المسالك . وتقرر
احتياجه عند اهل البلاد فعظم عند الناس قدره وزاد مكانه وعلم الخاص والعلم

ان تمنع نثرها وديانته وكنت تظفنت على ذوقه السليم بان مدحتهم بعدة
ابيات وقابلت سبائك ابريزه بما سبكتهم من مناقيل النحاس فسترني
بستائر حلمه وهكذا فليفعل الناس بالناس وارث ان ابث بعض ما قلتم
على جهة الايناس وتغزلات في اول القصيدة لمساعدة كنيته على الروي فقلت
بديع المحسن لو ابصرت ذاته رايت المحسن مجموعا شتاته

وانا مستمر في تغزلي الى التخلص وهو المراد وفيه اشارة لاعراضه -
فاعرض جانباً وازور عيـني لما اعرض عن الثنيا فتاته

ولولا خفية الاطالمة لاتييت بها ، ثم بعد ايام اضطر الباي اليه لانه لم
يجد من هو افهم منه سلمه الله لما كان يعرف من ديانته وعلوه على غيره في
منصبه فالزمه على كره منه وهذه كانت تعد من حسنات الباي رحمه الله
فامتثل لامره ذلك ، ورضي بما قضى به المالك ، فسر به اهل الصلاح
والسداد ، واقعدوا به الى طريق الرشاد ، فاختني اريحة ادبية ، ومدحته
بقصيدة رائية ، وجاءت براعة استهلاليها وتخلصها صنع الله الذي اتقن كل
شي ببركة نيته الصالحة ، ومطلع القصيدة وفيه تغزل وتورية حيث قلت -

تمنع يوم الوصل واستعظم الامر واعرض اجلالا فقلت له صبرا
مليح جرى ماء النعيم بوجهه وفي كل قلب من حوارته جبرا
ورحمت وانا مستمر الى ان تخلصت وانه من المخالص العجيبة التي
حصلت لي ببركته ايضا فقلت -

تعلم من شيخ الانام تمنعسا ولكن ولي الامر الزم جبرا
ولا يخفى على اهل الادب ما اشرت به في قلبي تمنع واستعظم وفي التخلص
ولكن ولي الامر الزم جبرا فلا تخفى هذه الكلمات إلا على اكمل لا يبصر
القمر وما اطالت من ذكره إلا بما يستحق من الفضائل ولم ابلغ الى كنه
وصفه والحق يقال والشيخ المذكور ممن اعتقد حبه في الله لا لشي إلا
لشرف علومه وان كنت حرمت ان اغترف من بحره ولم يساعدني الحال
ان التفت من درره فلقد اصابني رذاذ من وابله وذلك ان نجله السعيد النحيب

الشاب الانجد الشيخ ابا العباس احمد ابن الشيخ المذكور عندي لم يد
افادني بمسائل فتق دعني بها واستفدت به زاد الله في حسناته وهو ممن
ترجى له بركة اهيم ان شاء الله لانه تصدر للتدريس في حياة والده وله
مسائل دقيقة على كتب اللوم وعدة علوم زاده الله من فضله وكذلك اخوة
ابراهيم ممن احبه في الله ويحبني فيه واظن ان شاء الله ان والدهما كذلك
ولولا خشية الملالة لاملت في مناقبهما عدة كرايس وفي هذه الببذة كفاية
واحلف بالله ما رقت هذه الكلمات الا بوقاحة مني لاني لست من اهل
التعرض الى ذكره . ولما تم له من الامر بهذه الرتبة ما تم باسرها بتواضع ووقار
ولم يخبر من هيتته بل زاد في تواضعه يقتضي حوائجهم بنفسه ويباشر اموره
لا يكلف بها احدا ولم ياخذ على ما يكتبه اجرا عامله الله بنيتهم وحفظهم
في ذريتهم . واعجب من هذا انه لما امتحن في الواقعة التي سلمه الله منها
بسعاية الكاهين لما قبض عليه وعلى الشيخ يوسف درغوث وقد تقدم ذكرهما
وقتل الشيخ يوسف ونجى الله من ذلك الشيخ محمد المذكور كل هذا من بركته
العلم الشريف لانه لم يدلس فيه ولم يدنس . وكنت كتبت له رسالته
هيتته ولكن لم تصل اليه ومنعتني منه الحشمة وافتحتها بقولي سبحان الذي
اسرى عبده ليلا والمحمد لله الذي انزل على عبده ان اسر باهلك بقطع من
الليل انا منجوك واملك الا امراتك والهم عبده لما حصل في وثاق الاعداء
ان فر من بين العسس فكتب له النجاة الا واعوذ بالله من قوم ليس لهم
عهد يعد ولا ذمة لدمام ولا يراعون فيكم الا وهي طويلته اضربنا من ذكرها
وهو حفظه الله تعالى ملازم للاشتغال بالقراءة وله عدة دروس في الجامع الاعظم
وفي مسجده بمقرية من كتاب الوزير وفي داره هذا مع اشتغاله بها ينفع
الناس اذهب الله تعالى عنه الكدر والوسواس والبأس . ومن نيته الصالحة
ان جعل الله رفيقه المتي على مذهب الخنثية الشيخ ابا السعادة عبد الكبير
ابن المرحوم الشيخ ابي المحاسن يوسف درغوث قدم بعد وفاة والده للخطبة
بجامع المرحوم يوسف داني نسب قدم للفنبا بعد تمنع واستغاث فصار بسيرة

مرصيته . ولم تجر احكامه الا على القواعد الشرعية . وهو في متغزل الشباب .
ولم تظلمه ولم صبوة في السابق يلزم منها الحجاب . وهو حفظه الله من
اهل الصلح بين الخصمين . ومغالب اوقائه في المساعدة بين الناس بلا
مين . وكان تقديمه اول سنة تسع وثمانين والاف عن كره منه وجبوة
على ذلك علي باي لطف الله به وهو حسنة من حسناته كما ان رفيقه
حسنه من حسنات والده رحمه الله .

الفصل الثاني

فيه حوادث ظهرت في الديار التونسية غير ما كانت
عليه في الدولة الحفصية

كانت ايام بني ابي حفص في اول بدايتهم من غرر الايام . وانتشرت
دولتهم حتى عمت بلاد الاسلام . وتقدم من ذكرهم ما فيه كفاية . ولكن
فاقي بطرف من ذلك ليكون خبرة لاهل الدراية . وكانت دولتهم على
اسلوب العرب وعدتهم الرماح والسيوف والنبال ولم تكن المكاحل ظهرت
في مبتدا امرهم وانما ظهرت في اخر ايامهم في ايام الفتن الاحول صاحب
قسماته لعنه الله ومن هنالك اخذت صناعتهما في الزيادة الى ان كثرت في
غالب المعمور . وكانت مساكهم يدعون بالموحدين لانهم من اتباع ابن
تومرت كما تقدم ذكره لانهم مساهم بالموحدين لزعمه انه قائم بالتوحيد اي
بكلمة التوحيد وجعل لاصحابه توحيداً بلسان البربر فمن لا يقوم بحفظه
لا دين له فبقيت اشياعه من بعده على دعوته واقتدوا بامامته . والطبقة
الاولى من بني ابي حفص امتد سلطانهم من تونس الى طرابلس الغرب
ولما تنهقرت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب وكثرت الفتن بين ابناء
الخلافة منهم تسمى بنو ابي حفص بالخلفاء وجاءتهم البيعة من الاندلس
وغيرها وجاءتهم ايضا من مكة المشرفة لعدم الخلافة بالشرق ولم يزل امرهم
على احسن حال حتى وقع بينهم التحاسد واقتراق الكلمة فاخذت دولتهم في

الادبار الى ان كانت دولة السلطان محمد بن الحسن خرجت طرابلس عن حكمه واخذها عسكريا لعثمان وكذلك الجزائر ولم يبق بعده الا تونس وبلد العناب . وفي ايام ولده الحسن نافقت القيروان على ايدي الشاهسين ووافق الشاهي بسوسة والمهدية . وفي ايام السلطان احمد بن الحسن وصل العسكري العثماني الى الحمامات وطالت ايام السلطان احمد في الدولة واحبى بعض ما درس منها وكان عسكريا لا يزيد على الفتي فارس وسماه الزمازمة ويركبون الخيل وكان مغرما بالنجوم واهله وبعلم الاجفار وكانوا يخبرونه بزوال الدولة منه وتصور الى قوم لغتهم اعجمية الا ان سلطانهم يمشي على الاقدام لا يركب الخيل فذهب به رايه كل مذهب فلم يجد ملكا على هذه الحالة فالتفت جندا من العبيد تفاولا وصارت لهم دولة يقال لها الدولة الجناوية ثم قتلهم وكذلك سمي مملوكا له علي باشا تفاولا لما كان يحذره والله غالب على امره . ولما جاءت الدولة التركية ظهر ما كان يحذره لانهم مشاة على الاقدام وكبيرهم الذي يقال له الداي كذلك فهو بمنزلة السلطان على الحقيقة لانه المتصرف بحكمهم في الاقاليم فصحت الاخبار التي اخبر بها ولما تمكن حكمهم ودانت لهم البلاد اتخذوا اصطلاحا واحدا في امور غير ما كانت عليه اولا فمن ذلك ان لهم جماعة يقال لهم اوده باشية واحدهم اوده باشي معناه راس الدار لانهم يقدمون المضاف اليه فلنظرة اوده هي الدار وباشي هو الراس واصلمه باش والياء زائدة عندهم الا انها كاحد الضمان وتحت يد كل واحد منهم جماعة نحو العشرين واكثر واقل ولذلك الواحد النظر على جماعة واعلى من هؤلاء جماعة يقال لهم بلوك باشية واحدهم بلوك باشي والبلوك اسم للجماعة والباش للراس كما تقدم ومعناه راس الجماعة وهو اعلى من لفظة الاوده واعلى رتبة منهم وكلهم بالترقي فمن الاوده باشي الى بلوك باشي ومن البلوك باشية يصير اعينهم وهو كبيرهم لا يصدرون ولا يردون الا عن مسورتهم وكان لاغتر في مبتدا امرهم تاتيه الاوامر السلطانية من الباب العالي من عند الاشنة الذي هناك سم اخذت هذه القاعدة

فصار يلي هذه الرتبة اكبرهم ولم يحتاجوا الى امر سلطانني وعدة الاودة باشية قبل اليوم مائة وخمسون ولما تزايد العسكر زيد فيهم ايضا فعددتهم في زماننا مائتان واذا نقص واحد منهم خطوا بدله ولهم لباس يتميزون به عن سواهم ولهم اقبيته باكمل طويلته واسعت من عند المرافق وفم الكم حقيق ويضم عند الكوعين بصناعة محكمة وعلى رءوسهم طراوير من الجوخ بصناعة مكشفة ممتاز بها ويمتاز البلوك باشي بعمامة يكبرها قليلا فيعرف بها وكذلك الاغمة له عمامة مفردة لا تكون لغيره ولها رجل مكلف باصلاحها ومن تحته جماعة يقال لهم ايمه باشية معناه الحجمة الكبرى لهم علامة على رءوسهم يقال لها اسكفة مزركشة بالثصب يلبسونها سامة من نهار في مواكبهم وهم وكبان امام عاقتهم . وكان في اول الامر الحكم للاغمة والجماعة التي ذكرنا الى ان كان من امورهم ما تقدم عند ذكر مقتل البلوك باشية وتولية الحاكم الدولاتلي فصار غالب النظر في الاحكام له الا ما قل ولهم مكان يحضرون فيه كل يوم سامة من نهار فيحضر الاغمة وهذه الجماعة المذكورة في ذلك المكان ويسمونه دار الديوان ولهم شواش ستة ولباسهم مثل الاودة باشية الا ان الذي على رءوسهم فيه بعض خلاف فيعرفون بذلك فاذا اجتمعوا في المكان المذكور جلس الاغمة على كرسي في الصدر ثم الذي يليه بحيث لا يتقدم احد عن رتبته ولهم كتبة وترجمان ولهم اربعة من اكبر الاودة باشية يقال للواحد منهم باش اوده معناه كبير رءوس الديار ويصلون الى هذه الرتبة بالترقي ثم اذا انفصل عن هذه الرتبة صار من البلوك باشية ويطرقى الى ان يلي منصب الاغمة وصادة الاغمة ستة اشهر لا يخرج من بيته الا الى الديوان او في يوم معلوم ثم اذا جلس في الديوان يكون اكبر الشواش قائما بين كتفيه والترجمان بازاء الاغمة فاذا اخذوا مراتبهم قام خطيبهم فدعا بدعوات للسلطان والعسكر وقرئت الفاتحة ثم يخرج مناديتهم عند الباب يقول من له دعوة فليدخل فاذا دخل قابله الترجمان واخذ دعوته من لسانه ثم ياتيها للاغمة ثم ينادي مناديتهم الى الباش اودات الاربعة فيحضرون

بين يدي الاغتة ويعرض عليهم تلك الدعوة فان كانت من الامور الشرعية ردوها الى الشرع وان كانت قانونية فعلوا بأرائهم او بما جرت به العادة بينهم وان كانت مسالمة معصلة اخروها الى مشورة حاكم الوقت وان كانت صدرت من اذنه اخصيت فاذا تمت احكامهم حط لأكابرهم طعام الكوة ثم ينصرفون الى مآربهم إلا ان اغتتهم يروح الى بيته واذا افرق ذلك الجمع انصرف من اكابرهم جماعة مثل الخوجات واكبر الشواش ومضوا الى حكام الوقت فيخبرونه بجميع ما حكموا به إلا النادر الذي لا يعبا به هكذا دايم كل يوم الى انتضاء مئة اشهر يعزل ذلك الاغتة ويقوم مقامه الذي يليه وهم جرا ولهم مواكب يظهرون فيها ابته الملك وينشرون ناموسا للسلطنة وذلك انهم اذا ارادوا اخراج المحلة على حسب العادة نادى مناديهم وهم الشواش برحوبون الخيل ويلوجون في الاسواق وينخبرون جماعة العسكر ويأمرونهم بالتاهب للخروج ومن التمد يصحبون وقد لبسوا عالة حوبهم ويجمعون عند باب القصبه ويكون الحاكم هناك ثم يبصي الاغتة والاولدة باشيته الى دار الخلافة ويحضر هناك الخوجات الذين يحملون البيارق فينشرونها ويحضر الباي المعين او خليفته فيخلع عليه الباشا خلعة سلطانية ثم يخرج كاهية الباشا معه وبين ايديهم الشطار والايك مشاة على لاقدام وتنشر الرايات الملوكية وتندق النوبة العثمانية بالطبول والانقرة والزنجهارات ويخرجون بادب وسكينة مصطفىين من دار الخلافة الى باب القصبه ويكون العسكر قد اجتمع هناك فاذا قرب الديوان اي الجمع الذي فيه الاغتة والباي الى باب القصبه قام الداي بنفسه ان شاء ومشى في اول الصف وان شاء قدم احد الاكابر من جماعته وامره بالمسير عوضه وذلك لتعظيما له بحيث يكون هو المتصرف تلك الساعة وامره نافذ على ذلك الجمع فاذا خرجوا من المدينة الى طاعرها حيث يكون الوطق والاخبيته المهيئة للسفر دخل الباي والاغتة والجماعة المستعدة للسفر ورجع البايقون الى البلد ويكون قد تعين على المسافرين منهم جماعة يتعاطون الاحكام في السفر مثل الاغتة

والأداة بأشيئته والبلوك بأشيئته ومن يقوم مقام الدائي فيهم مدة إقامتهم في السفر إلى أن يرجعوا إلى الحضرة ولهم أدب في رحيلهم وإقامتهم وأمر آخر أصربنا عنها فإذا رجعوا من سفرهم بعثوا أرسالا يخبرون بوقت مجيئهم في يوم كذا فيتأهبون للقائهم على العادة التي قدمنا إلّا أن في يوم دخولهم زيادة على ما ذكرنا وذلك أن العسكر الذي يخرج من البلد إذا صاروا من حصار المدينة وتقابل العسكران يجعلون هروزا وهو أن يرموا بمكاحلهم ثلثا ثم يجيبهم المسافرون بثلاث ثم يجتمع العسكران ويدخلون البلد ويكون يوما مشهودا تجتمع الناس لمشاهدته ويبضي أكابر العسكر إلى دار الخلافة ويخلع هناك على البلي أو على خليفته خلعة سلطانية ويرجع بأكابر الديوان إلى منزله وتندق هنالك الطبول ساعة لم ينصرف ذلك الجمع فكذا ذابهم في كل عام مرتين وهذا الناموس لم يكن مثله في البلاد الغربية التي تحت أيدي العساكر العثمانية . جعل الله أعلامهم بالعدل منشورة . وأحكامهم بالشفوق مذكورة . وجعل سيف هذا السلطان قاطعا في رقاب الكافرين .

... : انشأ لأصلاح الدنيا والدين *

الفصل الثالث

فيما تميزت به الديار التونسية

وما تفتخر به بين أحيائها

اعلم أيها الواقف على هذا المجموع أن لتونس مفاخر جمّة لو استقصيناها لطال بنا المجال ومخرجنا من الحد ولكن نأتي من كل شيء بطرف . وقد كانت قبل هذا الزمان في غاية من الشرف . وأهلها في النعيم والشرف . بحيث لم تكن بلد تضاهيها . ونفوس أهلها مطمئنة بآمنها وأمانيتها . وكانت محط الرحال . ومبلغ الأمال . إلّا أن في زماننا هذا تلاشى أكثر نعمتها . ولكن بقيت منها بقيّة تستل على عليك لتعلم تميزتها . وإذا افتخرت مدينة من مدن المغرب فما أحقّ الفخر بتونس . وإذا حل بهما غريب نال الشان من

تونس ، والدليل على ما كانت عليه من رفاهية أهلها في القديم وبقيت إدارة
حوان غالب أهلها كانت لهم جنات وبساتين يخرجون إليها بعيالهم في زمن
الصيف والخريف وتكون الناس في أسواقهم يتعاملون إلى آخر النهار ومبيتهم
في بساتينهم ومن الغد يهبطون إلى البلد ولهذا كان سوق الربع وهو أكبر
أسواقهم لا يفتح إلا بعد طلوع الشمس وجرت عادة إلى اليوم ولهم غير
ذلك من الأعياد والمواسم والتفاخر بالأعراس الحافلة وإظهار التنعم حتى بالمأتم
وناهيك أن أعيادهم مشهورة فمما يستعملونه في أيام العيد من الحلوات
والأطعمة التي لا توجد إلا في الحضرة المقررة الذي يتفاخرون به وهو مشهور
بينهم لا يحتاج إلى تعريف وهو أطيب حلوائهم وليس بعده شيء حتى أني
التقيت بمن أكله في الحضرة فأعجبه غاية الإعجاب فقال عجبت من في
بيته المقررة كيف ينام الليل وكذلك اللحم الذي يسمونه المروزية نسبة
إلى مروز مدينته ببلاد العجم يطبخونه بأبزار تفلح لها قيمة ويرون أكلها
عقيب الصوم من التطيب وكذلك الخبز المعلوم في أعيادهم لم ير مثله في
العمور ويتفاخرون بعظمه ونقاوته حتى أن الرغيف الواحد لو وضع بين
جماعة من الناس من عشرين فصاعدا لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز إلى
فجر شهر وأكثر وهو في غاية الحسن وسبب تسميته عندهم لم ذكر فالتقرر
بينهم أن بعض العمال كان يها في الزمن السابق دامت ولايته واشتد
سلطانه فمضى به بعض الكاهنين إلى استاذة وأدعى أنه استقل بالأمر وخرج
عن الطاعة وحرصه على الفتك به فتحرك إليه استاذة بعسكرة فلما قرب
من تونس خرج العامل بذات نفسه وقيل أنه ابن خراسان وصحب معه
رغيفا من أعجب ما يكون فلما وقعت بينه على استاذة ترجل وقبل بركابه
وأخرج ذلك الرغيف وناول له فاحضه من يده وقبله ورده إلى صاحبه
ورجع من مكانه وقيل لخاصته هذا مستمر على طاعتنا والاشارة لذلك خطابه
باسان الحال أن هذا ما أنعمت به علي فإن أردته فهو مردود إليك فعلم
حسن طويته فأنقاه على عمله ورجع مسرورا فمن هنالك استمر الحال على

لتكبير هذا الرغبة وقد يكون اتفاق ذلك اليوم انه يوم عيد او انهم تظاهروا
بسلامة عاملهم بسبب ذلك الرغبة الى ان صارت لهم عادة في كل عيد
هذا هو المأثور بينهم ويغلب على ظني غير ذلك وهو ان حريمهم اي حريم
هذه المدينة اكثر انهماكا من رجالهن ويكرهن الالتمسان بالخدمة عدة ايام
بعد العيد فلماذا جعن بين الخبز والمروزية لطول بقائهما . وكذلك العادة
التي جرت بين اهل المحصرة ان مدة اعيادهم خمسة عشر يوما وهذا المعهود بينهم
وجرى العمل به وادركنا قبل اليوم ان اسواقهم لا تفتح الا بعد تمام الخمسة
عشر يوما وتكون ايام تنزهات خارج المدينة وتلاشى البعض وبقي البعض .
ومن ايامهم المشهورة اليوم العاشر من شهر المحرم يحتفلون له غاية الاحتفال
ويصرفون فيه اموالا وافرة في الاطعمة والفواكه وقل ان تجد من لا يصرف
شيئا او قل ولو حصرا اتفاق ذلك اليوم لبلغ مقدارا غريبا وكذلك اليوم
التاسع منه يواطفون فيه على اكل الدجاج والطعام الذي يقال له الدويذة
وهو بمثابة الكنافة عند المصريين ولكن الدويذة اصنم عند اهل المحصرة
ويعبرون عن طعامهم هذا فيقولون الفطير وما يطير ويعطون هذا اليوم وان
كان عظيما الا انهم اكنروا في تعظيمه عن سواهم ويرون للانفاق فيه من
التوسعة على العيال وملازمة اكل الدجاج على جهة التطيب لان الحكماء
قالوا لا بأس به مرة في السنة والمداومة عليه تورث النقرس اعاذنا الله
منه . وكذلك جرت العادة بزكاة اموالهم يخرجونها في هذا اليوم ويلازمون
على حرمة والانفاق فيه وتزين الخوانيت التي تباع فيها الفواكه اليابسة
ويكون لها منظر عجيب وتنفق الناس من مدهم على قدر اقدارهم حتى لا
يخلو مكان احد من الفاكهة الا القليل منهم . ولقد حضرت لرجلين تفاعرا
احدهما من الجزائر والاخر من تونس فقال التونسي للجزيري وددت ان
هذه الخوانيت يعني التي بها الفاكهة في يوم عاشوراء ترفع ليلا وتحت في
الجزائر فاذا أصبح اهل الجزائر وراوها على هذه الحالة ثم احدث ليلا الى
مكانها اظن ان نساءكم يطأكنكم ويأتين الى بلادنا وهذه مبالغتي اني بها

ومن رأى ذلك اليوم شهد بما قلناه وهذا من الايام المشهورة عند اهل تونس
وتباع فيه من آلات الطرب والملاهي لصبيانهم بما لا حصر له وهذا من
وفاءهم عيشهم وانهم اكهم وكذا جرت عادتهم وهي باقية الى الان ، ومن
اعبادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة ومسايعهم المشكورة تعظيمهم ليلة المولد
الشريف وذلك لاجل محبتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه
وسلم . واول من اعتنى بتعظيمه في البلاد الغربية وظهر فيه شعائر الولادة
المحمدية السلطان ابو عنان المريني شكر الله سعيه ثم اقتدى به بنو ابي
حفص في الديار التونسية واولهم امير المومنين ابو فارس عبد العزيز وكان في
اول المائة الثامنة واحتفل بتشييد شعائره هذا اليوم المبارك جعل الله ثوابه
في صحائفه واطلعه في ظل النجاة يوم لا ظل الا ظله عرشه واقتدت به بنو
ابي حفص من بعده ولم تزل عادتهم مستمرة على تعظيمه ما لهم الله بنياتهم
خانهم يظلمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الاول وينشدون الاشعار في
المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب وربما يجعلون ديدانات
وهي المعبر عنها بالاصطبلات وتقرأ فيها النشاميس وتتشد الابيات الشعرية
التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع وتكون
تلك الليلة اشهر ليالي ستمهم ويصنعون الاطعمة الفاخرة احتساباً لله وربما
يجعلها بعضهم للباهة والتفاخر ولكل امرء ما نوى وتكون ليلة عظمى
بدار تنقيب الاشراف يحضرها الاجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع
فيها السماع والاناشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف
البلد وتكون مدهم من الليالي العظمى ولتنقيب الاشراف عادة ياخذها من
السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن
بني ابي حفص ودامت هذه الدولة عليها وادركنا قبل اليوم بالزاويتين
المشهورتين القشاشية والبكرية محاسن جنة بحيث قدوم زيتها خمسة
صفر يوماً لا تخليان من المدائح وتهرع الناس للشرج والمبيت وقد تلاسى
الحال ، واما غيرها فبحسب الامكان والافاق وهذا الشهر المبارك له حرمة

عند أهل الحضرة لتعظيمهم لهذا اليوم زاد الله في حسناتهم وربما وقع فيه ما يذمه الشرع وذلك لجعل العوام ويرون ذلك صلاحاً ومن أراد تفصيل ذلك فليطالع الموردي أخبار المولد للعلامة جلال الدين السيوطي فلهن فيه شفاء الغليل . ومن أيامهم المشهورة أول يوم من شهر مايه فانهم يتفقون فيه أموالاً لا تحصى ويتأخرون فيه بالأطعمة الفاخرة التي لا توصف ويكثرون من الانفاق فيه ويجتهدون في صناعة المرقاز حتى لا يخلو منه إلا مساكن الضعفاء ويكثرون من الرياحين والبقول ويباع في هذا اليوم من التارنج والليم الحلو والليمون بقدر ما يبيع في السنة كلها ومن الحماش مثل الحصص والباقلام والخضراء والخس وغير ذلك ما يقوم بالديانة سنة في غير هذا اليوم ويجعلون اختصاصاً في بيوتهم مزينة ويعبر عنها بالخوانيت وتعلق فيها جميع البقولات والرياحين الموجودة حتى لا تخلو دار من ديارهم من مثل ما ذكرنا إلا ما قل ويتجاوزون إلى الغاني والآلات الطرب لما لا حد له وانهم ما كهم في هذا اليوم أكثر من أيام الأعياد . وأدركنا بعد الخمسين والآلاف من الهجرة مكاناً لهم عند باب الخضراء يسمونه بالوردة يجتمع فيه أهل الخلاعة والبطالة ويكثرون من المجنون هنالك من مغان ومطربين ومشعوذين وتباع فيه الفواكه اليابسة والحلواء وتخرج أهل الخلاعة إرسالاً بعد صلاة العصر إلى وقت الغروب ويكون هناك مفرج عظيم أبهج من أيام العيد ويستمر على هذه الحالة خمسة عشر يوماً هذا دايمهم في كل سنة توارثوا ذلك خلفاً عن سلف وأبطلت هذه الأيام في زمن أسطاً مراد ثم أعيدت من بعده ولكن على غير هيئتها الأولى ثم أبطلها أحمد خوجة ولم تعد بعد . ولقد أدركت للقوم في هذه الأيام خلاعة لم تكن لغيرهم في غالب المعمر في هذا المكان الذي يقال له الوردة ولم أدر لم سمي بهذا الاسم إلا أنه بطني أنه كانت به حديقة بالوردة فسمي بها والله أعلم وانقرضت هذه الحالة ولم يبق إلا اسمها وأما الذي يستعملونه في الديار فهو باق على حالته وزيادة وعند النسوة تأخر بينهن لما يبدون من الزيتة والأطعمة ولم يعلم

أحد من أهل المحصرة ما السبب لظهور هذا اليوم إلا لمنكر ظمهم فيه حيث يقول هذا اليوم عيد لفرعون لعنه الله فكيف يعظمونه ويستدل بقوله تعالى - موعدهم يوم الزينة - والمجيب عنهم يقول فيه نصر الله موسى عليه السلام على فرعون وكل ليس تحته طائل لانا غير مكلفين بهذا اليوم ولا هو في شريعته غيرنا وهذا من خرافات العوام ، وسمعت من مشيخة المحصرة ما يقارب الظن وهو أن أول يسوم من شهر ماية تكون الشمس فيه مضرة بالصبيان الذين هم دون البلوغ فلهذا يجعلون تلك الحوائث لتقي صبيانهم الحر بحيث يلعبون فيها وتختيمهم من اللعب خارج الديار وكذلك يجعلون في انوف صبيانهم شيئا من القطران لخاصيته في راحته والله اعلم . ومنهم من يقول هذا اليوم هو النوروز ويحكم بصحته وليس عنده علم ما هو النوروز ولا لاي شيء وضع في هذا اليوم ولم لم يكن في غير هذا الشهر ولم اخص به هذا الشهر دون غيره الى غير ذلك إلا انها جبلت بجبولون عليها صاغوا عن كابر الى يومنا هذا والذي صح عندي أنه هو النوروز لاشك فيه إلا أن النوروز كان في غير هذا الشهر ثم صار اليه ولذلك حكاية تطول ولكن فاني ببعضها ليتعلم من يقف عليها ان كاديين من أهل المحصرة لم تكن افعالهم سدى وسيتلى عليك ان شاء الله تعالى ذكر أهل السير والاخبار ان النوروز كلمة اعجمية معناها اليوم الجديد لان نو هو الجديد وروز هو اليوم لان العجم يقدّمون المضاف اليه على المضاف واول من اظهر هذا اليوم بارض فارس ملك من ملوك الفرس اسمه جمشيد من الطبقة الاولى من ملوك الفرس الذين يقال لهم البيشدانيه وهو الثالث من ملوكهم وكان قبل ابراهيم عليه السلام وجمشيد معناه شعاع القمر لان جم اسم القمر وشيد اسم الشعاع وكان ملك الاقاليم السبعة وسلك السيرة الصالحة ورتب الناس على طبقاتهم كالحجاب والكناب والزم كل صاحب طبقة مكانه لا يتنقل منه الى سواء وجعل النوروز عيدا يتنعم الناس فيه وكان صاحب عدل ووضع لكل امر خائفا مخصصا به فخاتم الحرب مكروب عاير الرفق والمداواة

وخسائم الخراج العدل والعمارات وخسائم البريد والرسل والامانث الصدق والامانات وخاتم المغارم الانصاف والسياسات وبقيت تلك الانار الى ان مجاها الاسلام وعآخر حاله تكبر وتجب وتترك السيرة الصالحة فتترك عليه الخواص وقام عليه بيوارسب فقتله واستقل مكانه . وكان النوروز اول يوم من يناير ويسمونه ايضا دينماه معناه غرة الحول الجديد والمهرجان يجعلونه سادس عشرين برجمات هذا اصطلاحهم في ذلك الزمان واول سن احدثه من ملوك القبط بمصر مقلدوش بن مقناوش وهو اول سن عبد البقر واستخرج الحكمة واول سن عمل العجل يجرها البقر وفي زمانه بنيت البهتسا من اعمال مصر ودام ملكه ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في الاهرام الصغير ودفن معه من الاموال والعجائب شيء كثير منها اصنام مدبرة على الكواكب السبعة التي يرى بها الدفائن والخبيات والفساد من الذهب والفضة عشرة آلاف جام من ذهب وفضة والفساد لقنون الاعمال من الكيمياء وغيرها ولم اخبار غير هذه ليس هذا محلها وانما جذبنا مساق الحديث . ونرجع الى ذكر النوروز . وامسا الصابيون فهو عندهم يوم دخول الشمس برج الحمل وهو من اعظم الاعياد عندهم لان الشمس حلت في برج شرفها ثم ان الفرس جعلوه في الخامس من حزيران لان فيه استواء الزرع عندهم واذا حل خرجت العمال لاستفتاح الخراج . وكان هذا العيد عندهم لإدراك الغلال يستبشرون بالسنة فيظهرون فيه من المأكول والمشرب ويتهادون بينهم ويهادون روساءهم وهو من اعظم الاشياء عندهم ولم يزلوا على ذلك الى ان اتى الله بالاسلام وهم باقون على حالهم . وفي اول الاسلام كانت السنون متقاربا بعضها من بعض والزمان متقارب بين الشمسي والقمر في حساب السنين وملت الاسلام خراج اهل ذمتها وزكاة اموالها ومواقيت حجبها بالسنة القمرية وجميع شعائر الاسلام كذلك . واما اشارة الغلال فتكون عند تمامها وحساباتها بالسنة الشمسية وايام السنة الشمسية ثلثمائة يوم وخمس وستون يوما ركسور فيكون التفاضل بينهما احد عشر يوما على التقريب والروم

كانوا يكسبون سنينهم يوما في كل رابع من السنين وأما الفرس فانهم يكسبون شهرا قاما بعد مائة وعشرين سنة فاذا انقضت هذه المدة ودخل شهر ايار الفجر ورجعوا الى حزيران فكان النوروز من الخامس من حزيران الى الخامس من ايار لا يتجاوز اكثر من ذلك . ولما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وكنان عامله على العراق خالد بن عبد الله القسري وجاء وقت التكيس عند اهل العراق اعلوا خالدا المذكور فمنعهم فبدلوا له اموالا فابي وبعث الى هشام يخبره ويقول له هذا من الذي قال الله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يصل به الذين كفروا يحلون عاما ويحرمونه عاما فانه الجواب بمنعهم فمنعوا وصار النوروز لا يتعدى زمانه وفيه يكون افتتاح الخراج والسنة تتقدم الى ان تتفاوت جدا . وفي ايام المتوكل على الله العباسي كانت سنة احدى واربعين ومائتين تجري في سنة اثنتين واربعين ومائتين فتنبه لهذا الامر وامر ان تلغى سنة احدى واربعين وتذكر سنة اثنتين ولولا خشية الاطالة لاستوفيت السبب في ذلك وكيف تنبه وفيه قصته يطول شرحها . وفي تلك السنة جيبت البلاد بذكر سنة احدى واربعين واثنين واربعين وخرجت بذلك الكتب الى العمال ومات المتوكل على الله ولم يتم له ما اراد ومن بعده رجع الامر الى الحالة الاولى . وفي خلافة المعتضد بالله جعل النوروز على حساب الروم وكذلك رتب المصريون حسابهم ووافقهم حساب الفبط وفي ايام المعتضد كانت سنة ست وسبعين ومائتين تجري في سنة سبع وسبعين ومائتين فنقلت سنة ست الى سنة سبع . وكان المعتضد على الله العباسي آخر النوروز من وقته ستين يوما وجرت جباية البلاد على هذا النمط وقدم المهرجان يوما واحدا ولم تنزل خلفاء بني العباس بآخر النوروز من وقته عشرين يوما واكثر واقل ليكون سببا لتأخير الخراج . وفي خلافة المطيع لله العباسي وسلطنة معز الدولة بن بويه والوزير المهلب كان النقل من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وكتب في ذلك العصر الصابي رسالته وارادع فيها من الصناعة الفلكية ما يعجز عنه الكتبة وهي

رسالة مشهورة ولولا الاطالة لاوردتها بكمالها لخص صناعتها كما ان رسالة القاضي عبد الرحيم اليسانبي كثيرة الایجاز والاعجاز وكان هذا النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمئة تجري مع سنة احدى وخمسمئة وكذلك سنة خمس وستين وخمسمئة تجري مع تسع وستين وخمسمئة فنقلت برسالة من انشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم المتقدم الذكر ورسالته موجودة في ايدي الناس ولولم يكن له من الرسائل الا هذه الرسالة لكفتم فخرها . وكانت الخلفاء من بني العباس وسلاطين وتهم مولعون بايام النوروز وتعظيمه وكذلك الروساء والكتاب ولهم فيه مجالس انس مشهورة وتهدى لهم فيه الهدايا الجليلة وتمنحهم فيه الشعراء ولهم فيه الاشعار المستحسنه ومجالس الانس التي يتفاخر بها بعضهم على بعض وغير ذلك مما هو مشهور وجرت به دولة بني امية بالاندلس ولكن ليس لي علم به اي وقت كان عندهم الا ان لهم فيه مجالس مذكورة بين اكابرهم وهدايا جرت بها عاداتهم الى انقراض دولتهم . واسما تونس حرسها الله تعالى فحساباتهم بشهور الروم وذلك انهم يكسبون يوما في السنة الرابعة فكان النوروز لا يتعدى وقتهم في كل سنة الا ان الفرس كانوا يجعلونه في الخامس من شهر ايار و ايار هو شهر مايت بحساب الروم وانما يجعلونه في حزيران في السنة الكبيسة لانهم اذا اراشوا تكبيس سنينهم كما جرت به عادتهم بعد المائة والعشرين سنة كما تقدم به الخبر جعلوا تلك السنة ثلثة شهورها فاذا صاروا في شهر حزيران الذي هو يونية بحساب الروم الغوا ذلك الشهر ورجعوا القهقري الى شهر مايت فلماذا كان اختلاف حال النوروز مندهم كما ذكرنا ومنعهم خالد بن عبد الله الفسري على فعلهم وزعم انه من النسي الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والنسي المذكور في هذا وليس هذا محل بيانهم وتمشى اصطلاح النوروز في مدينة تونس اول يوم من شهر مايت لان غالب سنينهم بطيب فيها زرعهم وتخرج الجبابة الى اطراف البلاد وكذلك جملة ثمار تظهر في هذا الشهر واهل تونس يقولون تظهر يوم مايت

سبع غلال ويعدونها ولهم اختلاف في عددها وليس لهم في رصهم الا ظهور هذه الفواكه في هذا اليوم وجرت به العادة من زمن بني ابي حفص الى يومنا هذا ولولا خشية الاطالة لاتيتم بجملة من القصائد والمقطعات التي قبلت في النوروز وما ذكرت هذه النبتة الا ليعلم من يقف على كتابي هذا ان اهل المحصرة لم يكن عندهم مدى كل ما هو متعامل بينهم لان السلطنة في تونس كانت ضخمة وملوكها يعدون من الخلفاء وهذا مما هو مشهور عند اهل الامصار الا انه لما تغيرت الدول جهلت مسائل كثيرة مما كانت عليه واندست قواعد كان الاهتمام بها وصعب الامر على ردها كما كانت عليه فمن بعضها ما يناسب النوروز مما كانت تهتم به الملوك في اول الزمان مثل النفل للسنين كما ذكرنا وهذا اليوم جار في وطن الساحل ويعنون به بالبحول وذلك ان جباة اعشارهم من الحبوب والزيتون تباينت عن مراتبها حتى انهم يذكرون في تذاكر اعشارهم سنة ثمان ولما بين تجبى سنة احدى وتسعين ولم يشطن احد الى هذا الامر وان تمادى الحال على مر السنين تفاقم الى اكثر من ذلك وهذا من الازدلاف بسبب المباينة بين السنة الشمسية والقمرية لان القواعد تلتزم على حساب السنة القمرية والاعشار على حساب الشمسية فسقطت في كل ثلث وثلثين سنة شمسية سنة قمرية واستمر العمل بها واتسع الخرق على الراقع والكلام يطول ولكن جذبتنا المادة وفي هذا القدر كفاية والله اعلم بحقائق الامور وما تخفي الصدور ولهم اصطلاحات غير ما ذكرنا لو تتبعناها لطال بنا الاكنار وخرجنا عن حد الاختصار . واما تعظيمهم لليلة النصف من رجب ويلة السابع والعشرين منه وكذلك ليلة النصف من شعبان ويلة السابع والعشرين منه ايضا لا يخفى على احد من الناس هذا التعظيم وان كان لغيرهم مشاركة في هذه الايام فان تعظيم اهل المحصرة اعظم من غيرهم وكذلك شهر رمضان المعظم قدرة فانهم يحتفلون فيه غاية الاحتفال ويقومون بواجبه وواجب حقه اتم القيام ويختصمون في غالب المساجد للبرء ان التعظيم في صلاة التراويح الا فيما قل من المساجد . وكذلك اعتناهم

بمختم المسند الصحيح للامام البخاري رضي الله عنه وبقيته الاسانيد الستة
إلا أن البخاري عندهم اشهر وروايته اظهر وان سكان غيرهم من المغاربة
يقدمون كتاب الامام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه على كتاب البخاري
وكلهم على حقيقة وصحة . فاهل تونس لهم ولع بالرواية لكن المشاهير من
علمائهم وغيرهم مولع بالخشتم لا غير واردنا ان ناتي بصورة الختم لنتم به الختم
ويحصل لنا حسن الختم ان شاء الله ولكن فاتي ببعض ونذكر بعض علماء
الحضرة الذين ادركتهم في هذه الايام تبركا باسمائهم لانهم فرسان هذا الميدان
وعلماء هذا الشأن ولم اتعرض لغيرهم ممن تقدم كثرتهم وفواتهم وربما نفس
الحاجة لبعضهم فناتي به عفا ان شاء الله تعالى * فمن المشاهير من علماء
الحضرة الشيخ الامام علم الاعلام القدوة البركة المتتدي به الميرك به المعمر
الذي الحق الاصاغر بالاكابر وتخرجت به جماعة من الاعلام في ايام حياته
وراي من تلامذته ما قرث به عينه وله الاسناد العالي ورحل الى الديار
المصرية والاماكن الحجازية والتقى بالرجال واخذ عن جم غفير واجيز واجاز
وافاد واستفاد بالحرمين الشريفين وارض الحجاز الامجد الشيخ ابو العباس
احمد الشريف زاده الله شرفا وهو اليوم بركة هذا الاقليم وملازم لافادة الطالبين
بجامعه المبارك بازاء دار الباشا وهو من المحافظين على رواية المسند زاد
الله في علومه ونفع به المسلمين يبداه من اوله الى اخره في مدة الثلثة
اشهر الى ان يختمه على وثق المراد فيكون الختم على بابيه وهو حفظه الله
باق الى يومنا هذا متمتعا بسمعه وبصره ملازما للمندريس بجامعه المعروف
به ملاصقا لدار الخلافة وهو في سن الشيخوخة في الثمانين وفيه خشوع
ورقة وتخرج به جماعة وسلكوا طريقته زاد الله في شأنه بمنه وكرمه *
ومنهم الشيخ المعروف التحرير الخبير الفقيه المتكلم المشطقي المحكم
المفوض العروضي الاصولي البياني الاديب المذهب الورع المرحب الذي
جع بين المعقول والمنقول مفتي الحضرة العلية وشيخ شيوخ البلاد الافريقية
المشهور في ادبه باهن نبأته الشيخ ابو عبد الله محمد عرف فنانته ابقي الله

بركته وقد تفضل بهي من ذكره ولا بأس بأعادته تعظيما لقدرة وهو باقى الى يومنا ملازما لافادة الطالبين وله عدة دروس منها في المسجد الاعظم وشيرة مع ما ينظر فيه من مصالح المسلمين وتخرج به جم فقير وتصدروا في حياته لفتح المسلمين نفع الله ببركته * ومنهم شيوخنا وصديقنا الشيخ الفقيه والخبر النبيل الوحيد الشيخ الامجد ابو عبد الله محمد عرف ابن الشيخ متصلا بعلوم شتى ملازم للاشتغال والافادة بجامعة المعلق بمقربة من سوق المختارين وبالمدرسة المتصيرية وقد سبق التعريف به في اول الكتاب وهو من المحافظين على التعليم لعلوم الدين وتخرج به جماعة كثيرة وهو من بدار الشيخ احمد الشريف وبه تخرج واخذ عن جماعة غيره متبع الله بحياته المسلمين * ومنهم الشيخ العلامة وحيد دهر وفريد عصره المتصرف في علوم كثيرة الا انه بعلم المنطق اشتهر من علم كشيرة ابيه من قبله بهذا الفن وهو مدرس بالمدرسة المرادية المحدثه عند باب الربع وهو وتد من اوتاد العلماء الانجاد الحاج الشيخ ابو عبد الله محمد عرف الغمداد زاد الله في حسناته * ومنهم الشيخ البركة الندوة المدقق المحقق المتكلم الورع المتبرك به المشتهر بطورع في هذه البلاد الشيخ ابو الحسن علي عرف الغمداد انتهى الله بركته وهو من المدرسين في الجامع الاعظم من تونس وله درس بجامعة المشهور به في حرمه الدباغين وبالزاوية الخلفاوية في ربح باب السويقة متبع الله المسلمين بحياته * ومنهم الشيخ المعمر العلامة المتورع المتبرك به الشيخ ابو العباس احمد عرف المهدوي وهو كان خطيب بجامعة الخلق قريبا من باب الجديد زاد الله في حسناته * ومنهم الشيخ الفقيه المثمن الورع العفيف الشيخ سعيد الشريف وهو من بدار الشيوخ الشيخ سيدي احمد الشريف والشيخ سيدي محمد فتاة وتصدر في حياته لافادة بالجامع الاعظم وفيه وقار وسكينة زاده الله من فضله * ومنهم الشيخ الفقيه عبد القادر الجبالي وهو من المدرسين بالجامع الاعظم ومن تلامذة الشيخ فتاة وفيه نية وتدين وفاف * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس

المصرف في علوم كثيرة إلا أنه بعلم الحديث الشريف أشهر الشيخ سعيد
 الحجز امام جامع الخطبة خارج باب الجزيرة وفيه نية وتدين وعفاف
 زاده الله من فضله * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد عرف
 قويسم من اهل باب السويقة ولاهل روضه فيه اعتقاد * ومنهم الشيخ
 الفقيه المدرس المتعفف ابو القاسم الغماري من اهل باب السويقة ايضا امام
 بجامع حومة الاندلس وفيه تدين * هؤلاء من مشاهير المالكية وغيرهم خلق
 كثيرون ولكن لم يبلغوا شأوى من ذكرنا وغيرهم لم يحضروا اسماؤهم إلا عند
 ذكرهم * ومن مشايخ الحنفية الشيخان الفقيهان الشيخ محمد بن شعبان
 امام جامع المرحوم يوسف داي وخطيب جامع المرحوم محمد باشا والشيخ
 مصطفى بن عبد الكريم المنفصل عن الفتيا وهو اليوم امام جامع المرحوم محمد
 باشا * ومنهم الفقيه النسيه الشيخ ابو الحسن علي عرف الصوفي عنده ملكة
 في العربية والصرف والفقه وعلم الحديث * ومنهم الفقيه الشيخ ابو
 الحسن علي كرباصه مدرس بالمدرسة الشماعية عنده ملكة في علم الحساب
 والميقات والفرائض ومختص بعلم الهيئة والهندسة * ومنهم الفقيه الشيخ
 ابو عبد الله محمد المهتار وهو راو للحديث في جامع القصبه * هؤلاء الذين
 بلغوا درجة الرواية للسند الصحيح وغير هؤلاء جماعة يتعاطون الرواية وانما
 دخلوا بمخالفتهم بين ذوي الاقتناص واكثرهم بين بناء وغواص ولم يكن بالديار
 التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني من تعالى الرواية والدراية إلا
 الشيخ العالم الرباني الشيخ ابو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني
 سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الاعظم من
 اجل المجالس وتحضرة الاجلاء من اهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة
 في العلوم الجميلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في الثلاثة اشهر رجب وشعبان
 ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم تلاه ولده
 العلم الشهير والعالم التحرير الشيخ ابو بكر فصار بسيرة والده وقام بعلم الحديث
 الشريف احسن قيام وشهد له بالدراية علماء الاسلام فكان في هذا الفن

فسيح وحده وحصل له سر أبيه وبركة جده الى أن سار الى رحته ربه
في سنة ثلث وتسعين والفت فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا
غير وجرت بها العادة للبرك وانقطعت المادة من السير لان ولديه لم
يبلغا مبلغه ولا سعيهما إلا أن الله تبارك وتعالى من بمن اقام مقامه
بملازمة الرواية للبرك بالمحدث النبوي وهو الشيخ العالم العامل البركة
سيدي علي الغماري فسح الله في مدته هو الذي يتعاطى الرواية في
الجامع الاعظم الى يومنا هذا والله الحمد . وحيث بلغا في خاتمة الكتاب الى
ذكر ختم البخاري الشريف وجب ان نذكر صورة الختم عسى ان يحصل لي
مبركة الختم ومجانسته الختم والختم ان شاء الله تعالى لا اله غيره ولا خير
إلا خيرة وهو نعم المولى ونعم النصير *

الفصل الرابع

في تعظيم اهل المحصرة لختم البخاري

ولهم اهتمام عظيم يحتفل الشيخ لذلك اليوم غاية الاحتفال ولهم اماكن معلومة
وايام معدودة بحيث يكون يوم كذا في المسجد الفلاني عند الشيخ فلان فتهرع
الناس الى محله وتوقد الشموع وتسرج القناديل ويختر المكان بأنواع الطيب
وقد تكلم الوالد رحمه الله على تعظيم اهل افرقيته لختم البخاري وله في
ذلك تصنيف سماه تاهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح ونقل عن
اشياخه من العلماء جلته من آداب المحدث واستفتاح مجلس الاملاء ثم
قال واستحسن الشيوخ عند الاملاء استفتاح مجلس الاملاء بقراءة قاري لشيء
من القرآن العظيم ثم يستتصت لسماع الحديث ثم قال قلت وعليه عمل
الناس اليوم بافرقيته عند ختمهم للبخاري يقرؤون قبل افتتاح المحدث من
سورة الملك الى سورة سم الى آخر سورة من قصار المفصل ويختمون بآية

الكروسي وءاخر البقرة ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقرأ
 الراوي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولختم جامع البخاري
 في القيروان بلدنا شان عظيم ومشهد كريم . ومن تعظيمهم له واجلالهم ابناء
 انهم يشتغلون به عن ادم شيء من جميع اشغالهم ويفلقون حوائثهم وينادي
 المنادي قبل ذلك الا ان الختم لجامع البخاري غذا صباحا او عشية في موضع
 كذا فيفرغ الناس ويشارعون لذلك وتشارع له النساء والصبيان والخواص
 والعوام ويبدأ الراوي بما فيه تعظيم لجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من بعض سيرته ومعجزاته حتى يحصل لذلك صحيح برفع الصوت بالصلاة
 عليه والتسليم ثم يذكر مواظ ودقائق ويخوف الناس حتى يكون ويندمون
 على ما فرطوا في جنب الله تعالى في أيامهم السالفة وربما حصل للذنوب
 بسبب ذلك التوبة ثم يذكر بعد ذلك من سعة رحمة الله تعالى ثم يصلي
 ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالجامع الصحيح فربما
 اشتغلوا بذلك من طلوع الشمس الى قرب الزوال ، واما عمل اهل تونس
 بخلاف ذلك فلا يقرأون إلا ءاخر الجامع الصحيح او ءاخر الشفا للقاضي
 صياض بعد ان يستفتحوا بقراءة القرءان العظيم وعمل اهل القيروان اخص
 واهم وعمل حضرة تونس اخصر والله تعالى ينفع كل احد بيته وكل بحسب
 سعته وقوته واجتهاده لينفق ذو سعة من سعته ثم ذكر كل ترجمته وما
 يناسبها ثم قال وعادة اهل تونس ان يفتحوا مجلس الختم بترجمة كلام الرب
 مع اهل الجنة ومنهم من يبتدي بباب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
 وروايته عن ربه عز وجل وعادة اهل القيروان منهم من يبتدي بباب الماهو
 بالقرءان مع الكرام البررة ومنهم من يبتدي بترجمة باب بل هو قرءان
 جيد في لوح محفوظ ومنهم من يبتدي بترجمة باب والله خلقكم وما تعملون .
 انتهى باختصار منه . قلت هذا قبل اليوم واما في هذا الزمان اختصروا
 بزبادة عما كان قبل لان هذه الرتبة لا يصل اليها الا زيد وعمرو وفي هذه
 الايام تصدر اليها خالد وبكر لمحبتهم للمباهاة وليقال فلان من الرواة .

فاما الامثال فلم يرونها إلا احتسابا لله ويدأومون على روايتها الثلاثة اشهر فلذا كان يوم الختم جعلوه على بابهم وبعضهم لم يتعاط شيئا من ذلك إلا انه يحتفل ذلك اليوم ليدهي من اربابهم حتى أن بعضهم يمشي من اول السنة يجمع في اقوال العلاء ويحفظها باللوح فاذا جاء ذلك اليوم املأها من حفظه وسودها ولو سأل احد في ذلك الجمع عن مسألة لعجز ان يسندها وهذا في بعض من تكون مباشرتهم للختم بوقاحة منه واستجراة وإلا فلا جلاء من اهل المحصرة حاشاهم من هذه الرتبة الغير المرضية وغالبهم منزلة عن الرتبة الدينية والدنيوية فاذا حضر يوم الختم تكون عليه مكينة ووقار ويلوح عنه نور الحديث الشريف ويكون يومه يعد من الاعمار فاذا اتي على ما املأه ختم مجلسه بحديث الشيخ ثم يسبح الله تعالى ويأتي ببعض المواظ ما يناسب ذلك المجلس ثم يدعو بما يتقبل الله منه ويومن على دعائه اقوام باصوات مرتفعة يقولهم اللهم ءامين يا رب العالمين فاذا كان في آخر التامين قالوا اللهم ءامين يا رب العالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم تقرأ الفاتحة عدة مرار بما يقتضيه المجلس وينصرف ذلك الجمع بعد ان يقبل اكثرهم على ذلك الشيخ ويهنونه ويتبركون به ويكون له جمال في ذلك المجلس والله تعالى يجازي كل احد دينه وهو المطاع على ما في طوبته ولكل امرء ما نوى . ولنختم هذا الختم بحديث الختم الذي جاء عن سيد البشر ونطق به وما ينطق عن الهوى وهو قوله صلى الله عليه وسلم كلمتان حبیبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . اللهم يا قابل الدعوات ويا مقيل العثرات اسالك بحبيبك وصفيك محمد صلى الله عليه وسلم افضل ولد عدنان والاحاديث التي وردت في هذه الليلة المباركة واخبرت بانك تقسم فيها الارزاق وتجييب فيها الدعاء والاستغفار ولها شان بين الليالي واي شان اسالك الاجابة وان تغفر ذنبي وتشرعيني وترحم شيعي وان لا تأخذني بما فرطت ولا بما رقت وجمعت وان تعاملني بحلمك ورحمتك

في الدنيا والاخرة انك اهل التقوى واهل المغفرة وكما فتشت لساني بكلمة
التوحيد في الابتداء اجعل ختامي بها عند الختام يا رب العالمين .
وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنى
وتسعين و الف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى
عالمه واصحابه اذكى التحية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *



فهرس الكتاب



صحيحة

- ٠٠٦ الباب الاول في التعريف بنونس
- ٠١٥ الباب الثاني في التعريف بافريقية
- ٠٢٢ الباب الثالث في فتح جيوش المسلمين افريقية
- ٠٥١ الباب الرابع في الدولة العبيدية
- ٠٧١ الباب الخامس في الاسماء الصنهاجية
- ٠٩٥ الباب السادس في الدولة الحفصية
- ٠٩٥ الفصل الاول منه في ذكر سن تولى من الخلفاء في المغرب ممن بلغ
درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة الخ
- ٠٩٦ بنو امية
- ٠٩٩ الادارسة
- ١٠٢ المرابطون
- ١٠٧ المرحدون
- ١٠٩ وفاة المهدي

- ١٢٢ الفصل الثاني في تن تولى من بني أبي حفص
١٢٧ بنو مرين
١٤٢ صاحب كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب
١٥٤ خير الدين باشا
١٦٩ الباب السابع في الدولة العثمانية
١٩١ عثمان داي أول الدايات
١٩٢ مجيى أهل الأندلس إلى إفريقية
٢١٥ البايات محمد باي
٢٢٧ مراد باي ابن محمد
٢٢٤ محمد باي وعلي باي ولدا مراد
٢٣٥ محمد الحفصي
٢٦٨ بناء القنطرة
٢٧٢ الخاتمة الفصل الأول منها
٢٨٢ الفصل الثاني في حوادث ظهرت في الديار التونسية الخ
٢٨٧ الفصل الثالث في ما تميزت به الديار التونسية الخ
٣٠٠ الفصل الرابع في تعظيم أهل المحصرة لحتم البخاري



تم الكسباب
بعون الملك الوهاب



لما لكم السعادة والسلامة وطول العمر ما هملت غصامة
وما طلعت نجوم بنات نعش وما فاحت على غصن يمامة



۲۲۵۸	وفاق
۲۲۵۹	وفاق
۲۲۶۰	وفاق

الحمد لله وحده

ببستان ما يوجد الآن في المطبعة من
الكتب للبع



كتاب الوطأ للامام مالك رضي الله عنه
كتاب واسطخ السالك في سلسله الملوك
كتاب سلوان الطاع في دواوان الانواع
كتاب لونه الساكي وذمعه الساكي
كتاب مناقب الائمة الاربعه رضي الله عنهم
كتاب تعلم المتعلم طريق التعلم للامام الرضوي
ومسا قريب ان شاء الله تعالى نفع من طبع
تاريخ الزركسني وعمدة ابن رطب وحسانيته
الصبان على مصام النخ

